نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين

"سر برية آثوس"

ΟΙ ΑΟΡΑΤΟΙ ΕΡΗΜΙΤΕΣ ΤΟΥ ΑΘΩΝΑ

تأليف

الراهب فلاسيوس الأجيوريتي

(الجبل المقدس آثوس)

جمه عن اليونانية الحديثة

د. سامح فاروق حنين

الراهب فلاسيوس الأجيوريتى

منشورات الجبل للنشر والتوزيع وبترا

نساك جبل آثوس غير المرئيين
"سر برية آثوس"

ترجمه عن اليونانية الحديثة وعلّق عليه

د. سامح فاروق حنين

نساك جبل آثوس غير المرئيين

"سر برية آثوس"

"يُحَلّقون فوق الجبال كالحمام،

وعلى القمم الشاهقة والمغائر كالنسور"

(القديس إفرام السرياني)

منح تصريح

Χορήγηση Ἀδείας

Ἐγώ ὁ Μοναχός Βλάσιος Ἁγιορείτης (περιοχή Βίγλας Ἁγίου Ὄρους) ὁ συγγραφέας τοῦ βιβλίου «Οἱ Ἀόρατοι Ἐρημίτες τοῦ Ἄθωνα», δίνω στόν Μηνᾶ Aziz Μιχαήλ τήν ἄδεια νά μεταφράση τό βιβλίο τοῦτο στήν Ἀραβική γλῶσσα.

Πρέπει ὅμως νά δοθῆ ἄδεια καί ἀπό τόν Ἐκδότη τοῦ βιβλίου κύριον Κωνσταντῖνο Παπαγιαννούλην, (Ἐκδοτικοῦ Οἴκου «ΤΕΡΠΟΣ» Κατερίνη).

Βλάσιος Μοναχός
Ἁγιορείτης.
Βίγλα - Ἅγιον Ὄρος
63086 Καρυές
Θυρίς Ταχυδρομική 93

سلسلة: الرهبنة الأرثوذكسية.

عنوان الكتاب: "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين. سر برية آثوس".

الكاتب – المصحح: الراهب فلاسيوس الأجيوريتى .

المترجم : د . سامح فاروق / المراجع : لجنة المراجعة بالجبل للنشر والتوزيع.

المراجع اللغوي : ماريا خلة.

الناشر : الجبل للنشر والتوزيع .

عنوان الناشر : ٤٠ ش الحجاز – مصر الجديدة – القاهرة . ٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٦٤٠/٢٠١٧

المطبعة : دار الراعي الصالح للطباعة والتوريدات

٠١٢٢ – ٣٦٤٨١٠٧

هذا الكتاب مُهدى

إلى كل أولئك المتوحدين مجهولي الاسم

في برية آثوس، الذين قضوا حياتهم

في التوبة، والنقاوة، ونعمة الله،

معتازين لكل شيء،

متعزيين فقط بالمسيح،

متذوقين مسبقًا الملكوت السماوي،

فقد تركوا عظامهم المقدسة في هذه البرية ،

دون أدنى خدمة من البشر،

ليس إلا خدمة الملائكة،

وعاشوا حياة الفضيلة والتواضع في الخفاء،

دون أن يدري بهم إنسان.

اعتراف بالفضل لذويه

أشكر زوجتي العزيزة: جيهان

وأولادي الأحباء: أغابي وإبرآم

على مساعدتهم لي في إنجاز هذا الكتاب في وقت قصير.

د. سامح فاروق حنين

٢٢/ ٦/ ٢٠١٧

مقدمة الناشر

الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو باكورة إنتاج بترا و الجبل للنشر والتوزيع.

هذا الكتاب للأب الراهب المتوحد فلاسيوس الأجيوريتى ، هو أحد الأباء المتوحدين في أكثر مناطق جبل أثوس وعورة و إنعزالاً ، و كان الوصول له ومقابلته معجزة في حد ذاتها و رغم إنعزاله التام عن العالم ووسائل الإتصال الحديث ،لكنه كان يعرف الكثير عن مصر والكنيسة القبطية و أحداث الإستشهاد الأخيرة فيها.

يروي الأب فلاسيوس في هذا الكتاب شهادته للأباء غير المرئيين من سكان المغائر والمتوحدين المعاصرين الذين قال عنهم القديس بولس الرسول في رسالته للعبرانيين: "و هم لم يكن العالم مستحقاً لهم تائهين في براري و جبال و مغاير و شقوق الأرض". (عبرانيين ٣٨:١١).

هذا الكتاب هو صوت صارخ لبعض آبائنا الرهبان الذين أدخلوا العالم لقدس أقداس رهبنتهم و أعني "القلاية" من خلال شيطان التكنولوجيا الصغير و تناسوا أن حدود هذه التكنولوجيا وما ورائها من وسائل التواصل الإجتماعي هو خارج باب القلاية. هو صرخة لكل راهِب ترك موائد الفقراء و جلس على موائد الأراخنة و الأغنياء.

هو صرخة لكل راهِب يبرِّر نزوله إلى العالم طلبًا للعلم و الاستنارة ، متناسيًا أن أبينا العظيم أنطونيوس دَحض أفكار الفلاسفة مكتفيًا بإستنارة الروح القُدُس.

هو صرخة لكل من ترك العالم بسلبياته و إيجابياته من أجل الواحد. هو صرخة للضمير الرهباني.

أعرف أن هذه الكلمات ربما تغضب بعض آبائنا الرهبان ولكن إن سمحوا لنا ، فليعتبروها مثل صوت السيدة الوقحة التي قابلت أبانا العظيم القديس أنطونيوس الكبير على شاطئ نهر النيل وأخبرته أن مكان الرهبان ليس "العالم" ولكن "البرية" ، وفي إتضاعه العظيم قبل كلماتها بجدية .

الجبل وبترا

يقع جبل آثوس (Ἄθως)، أو الجبل المقدس (Ἅγιον Ὄρος) كما يطلقون عليه، أقصى شرق شبه جزيرة خالكيذيكي، شمال شرق بلاد اليونان. وهو عبارة عن مجتمع رهباني ويصل ارتفاعه نحو ٢٠٣٠ مترًا وعاصمته هي كارييس (Κάρυες). ورغم أن بعض النُسّاك قد سكنوا جبل آثوس قبل ٨٥٠ م. إلا أن الحياة الرهبانية قد تنظمت فيه وتألفت مجموعة رهبانه في القرن العاشر الميلادي (بالتحديد عام ٩٣٠ م.) عندما أسس القديس أثناسيوس الآثوسي، بمساعدة الإمبراطور البيزنطي نيكيفوروس الثاني فوكاس، أول دير وهو اللافرا الكبرى[١]. ورغم اعتراض نُسّاك الجبل المقدس على تنظيم الحياة الديرية إلا أن قوانين القديس أثناسيوس قد فُرضت عليهم فرضًا على يد الإمبراطور يوحنا الأول تزيمسكيس والذي منح الجبل المقدس أول كتاب تنظيمي له (τυπικόν).

---

[١] اللافرا هي نوع من الحياة الديرية القائمة على حياة الشركة، حيث يعيش كل مجموعة من الرهبان معًا ولكن كل واحد منهم في قلاية منفصلة، وعليه فاللافرا تضم مجموعة من القلالي. وتُشتق كلمة اللافرا "Λαύρα" من: λίαν ἔχειν αὔραν أي "المكان الهَوّي" انظر في ذلك:

Ὠρίων Θηβαίος Γραμματικὸς Καισαρείας, *Περὶ Ἐτυμολογιῶν*, ed. F. G. Sturz, Leipzig 1820, λάμδα, p. 91,[27].

والكلمة "Αὔρα" مشتقة من «τὸ ἀήρ» أي "الهواء"، انظر في ذلك:

Ὠρίωνος τοῦ Θηβαίου, ἔκδ. F. G. Sturz, Leipzig 1818, ἄλφα, p. 611, 13, *Encyclopedia of the Early Church*, τόμ. 1, (1992), p. 475.

وقد احتفظ جبل آثوس دائمًا باستقلاله الإداري تحت الحكم المباشر للإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية العثمانية وفي عام ١٩٢٧ أصبح تحت السيادة اليونانية. ولا يسمح لأي أنثى من الإنسان أو الحيوان بدخول الجبل المقدس.

في العام ١٤٤٠ م. وصل عدد الأديرة إلى أربعين ديرًا، وقد استمر منهم حتى الآن عشرون ديرًا، أحدها روسي، والآخر سلافي والثالث روماني. وفي العام ١٤٣٠ م. احتل الأتراك مدينة تسالونيكي، فخضع رهبان الجبل المقدس لحكم الأتراك، الأمر الذي أدى إلى انهيار سريع للحياة الديرية وفقرها وهجرها. وكرد فعل لهذا ازداد تبني نظام حكم أكثر تحررًا، فتأسست في القرن السادس عشر أول تجمعات نسكية (σκήτες) إسقيط[٢] (وجمعها أساقيط) وكان مكانها حول كنيسة عامة كتجمعات رهبانية مستقلة عن الأديرة.

وقد عانى الجبل المقدس كثيرًا على يد الأتراك وذلك خلال حرب الاستقلال اليونانية (١٨٢١ - ١٨٢٩ م.) حيث حرقت مكتبات بأكملها، ورغم ذلك لا تزال مكتبات أديرة الجبل المقدس تضم ثروة عظيمة من المخطوطات الكلاسيكية والبيزنطية القديمة.

---

[٢] ويقصد بكلمة "إسقيط" (σκήτις) منسك راهب أو مبنى ملحق بدير رئيسي، حيث يعيش مجموعة من الرهبان تحت إرشاد أب شيخ في الرهبنة بحريتهم، ولهم إدارة خاصة بهم وكذلك حياة ليتورجية بعيدة بعض الشيء عن الدير الرئيسي.

ويرجع الدستور المنظم للمجتمع الرهباني الحالي في الجبل المقدس إلى عام ١٩٢٤ م. ويضمنه دستور اليونان عام ١٩٢٧. ولوزارة الخارجية اليونانية حاكم ممثل لها في الجبل المقدس يضمن الحكم الذاتي للجبل، ولكن الإدارة الفعلية تتمثل في لجنة يمثل كل دير من العشرين فيها عضو واحد ويطلق عليه اسم "المجمع المُقدس".

أحد عشر ديرًا من الأديرة العشرين يمكن أن نطلق عليها "أديرة محافظة"، أي تقليدية، أما التسعة الأخرى فيمكن أن نسميها "أديرة ليبرالية"، حيث التلمذة والصوم موجودان بشكل أكثر حزمًا وصرامةً في الأحد عشر ديرًا[٣].

ولما كان من الصعب على القارئ تخيل أحداث الكتاب دون أن يكون ملمًا بخريطة جبل آثوس الجغرافية، فقد قمنا بوضعها هنا ليَطلِع عليها القارئ أولاً قبل الدخول إلى أعماق الكتاب.

---

[3] *The New Encyclopedia Britannica*, 15th ed., Chicago 1990, vol. 1, p. 670.



خريطة للجبل المقدس

ملاحظات على الترجمة

١. كثيرًا ما يصف الكاتب جبل آثوس بكلمة "ἔρημος" والتي تعني في اليونانية "صحراء"، ولأن اليونان عامةً وجبل آثوس على وجه الخصوص ليستا أراضي صحراوية فقد آثرنا ترجمتها بكلمة "برية"، فالبرية هي الموضع القفر غير المسكون وليس بالضرورة أن يكون صحراء. ولكن بدايةً من الجزء الذي يحمل عنوان "روايات شبيهة من جبل سيناء" سيجد القارئ أننا سوف نستخدم كلمة "صحراء" كترجمة لكلمة "ἔρημος".

٢. يذكر الكاتب كلمة "καλύβη" والتي تعني في اليونانية "كوخ"، ولكن يذكرها بشكلين، مرة بحروف استهلالية ويقصد بها هنا مسكن منعزل يمنحه ديرًا ما لكل ثلاثة رهبان، ومرة أخرى بحروف صغيرة ويقصد به كوخ صغير خاص براهب بناه لنفسه.

٣. وردت في الكتاب كلمة "καθίσματα" وتترجم حرفيًا "مقاعد"، وفي جبل آثوس هي عبارة عن أكواخ صغيرة يمنحها الدير لراهب.

٤. بقدر المستطاع قمنا بترجمة الأسماء اليونانية إلى العربية لمعرفة معناها، وأحيانًا أخرى تركناها كما هي وخاصةً إن كانت لا تعني الكثير في النص ولا تفيد كثيرًا، وخاصةً إن كانت أماكن ينحدر منها رهبان جبل آثوس. فمثلا ترجمنا "καυσοκαλύβια" "الأكواخ الملتهبة"، "κρύα νερά" "المياه الباردة"....إلخ، أما كلمة

"Γιαννακόπουλα" فتركناها كما هي "ياناكوبولا" لأن اشتقاقها ومعناها صعبان فهي تعني "أولاد يوحنا الصغير"! فالتمس القارئ العزيز عذرًا إن وجد بعض الأسماء مترجمة (translation) والبعض الآخر منقولا بحروف عربية فقط (transliteration).

٥. رأيت أنه من الأفضل ترجمة عناوين الكتب الواردة في الهوامش ليعرف القارئ هذه العناوين، لأن تركها كما هي باللغة اليونانية لا يفيد كثيرًا.

٦. يُورد الكاتب ألقابًا كثيرة لسكان جبل آثوس ويصفهم كذلك بصفات أكثر، فمثلا يقول "ἐρημῖτες"، "ἀναχωρητές"، "ἀσκητές" ومعنى الكلمات الثلاثة تقريبًا واحد، فهم يعنون ""متوحد، ناسك"، أما صفاتهم فكانت على النحو التالي: "ἀόρατοι" = "غير مرئيين"، "ἀφανεῖς" "غير ظاهرين"، "μυστικοί" "سريون" = "خفيون"، وهذه الصفات تكاد تتشابه أيضًا في معناها ويقصد بها أن لا أحد يرى هؤلاء الآباء الرهبان. وهذه الطبقة من الرهبان تقابل من يطلق عليه في لغة الأدب الرهباني القبطي "الآباء السواح".

٧. يتكلم الكاتب عن أحد شيوخ برية آثوس ويصفه بـ"Κύρ-Ἠσαΐας"، حيث كلمة "Κύρ" اختصار لكلمة "κύριος" وتعني "سيد، رب، مولى"، فقمنا بترجمتها "السيد إشعياء". قد يبدو لقبًا غريبًا فهو ليس كلقب "شيخ" أو "أب"، ولذلك لا يستغرب القارئ إن

وجد لقبًا كهذا وقد آثرنا ترجمته كما هو في اليونانية وعدم تحويله إلى لقب آخر.

٨. بعض القصص متكررة أو تحكى بطريقة مختلفة وقد تكون مقتضبة والبعض الآخر تتشابه في تفاصيلها، ففضلنا تركها كما هي وعدم تدخلنا في شيء وخاصة أن الروايات مرقمة، فلو حذفنا إحداها بسبب تكرارها فكان سيخل بترتيبهم.

٩. كثير من الروايات بها الكثير من التفاصيل الجغرافية ووصف الأماكن أكثر من اللازم وقد لا تكون مهمة لحبكة الرواية (مثل الروايتين رقم ٣٨، ٣٩)، ولكن هذه رؤية الكاتب، فلم نختصر فيها شيئًا وتركناها أيضًا كما هي.

١٠. يميز الكاتب بين أسماء القديسين وأسماء الأديرة التي تحمل أسماء القديسين، فإن كان يقصد أحد الأديرة أو القلالي أو الأكواخ التي تحمل اسم قديس وضع اسم القديس بين فاصلتين "Ἅγιος Νεῖλος" هكذا وهذا يعني "دير القديس نيلوس"، أما إن كان يقصد القديس نفسه أورد اسمه بدون فاصلتين. وقد راعينا نفس هذه الطريقة في ترجمتنا.

١١. لقب "الأجيوريتي" هو تعريب للقب اليوناني "ἁγιορείτης" ومعناه "الراهب الذي يُنسب إلى الجبل المقدس" وهو يرادف لقب "الآثوسي" = "Ἀθωνίτης" أي (الراهب الذي يُنسب إلى جبل آثوس)، وقد قمنا بتعريب الاثنين بدلا من ترجمتهما.

١٢. تتأرجح لغة الكتاب بين اليونانية الحديثة السهلة البسيطة المعروفة باسم "الذيموطيقي" (أي الشعبية) وبين اللهجة المعروفة باسم "الكاثاريفوسا" (أي الفصحى) القريبة الشبه باللهجة الكويني. وفي أجزاء كثيرة في الكتاب يستعير الكاتب من كتابات أخرى مكتوبة بالكاثاريفوسا ويوردها كما هي دون أن يحولها إلى الذيموطيقي. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن اللهجة الكاثاريفوسا ليست صعبة بالنسبة للكنسيين؛ لأنهم معتادون على سماعها وقراءتها في الكنيسة. وأحيانًا نجد في ذات الجملة اللهجتين معًا، وتفسير ذلك هو أن هؤلاء الكنسيين من كثرة سماع الكاثاريفوسا يصرفون بها اللغة المنطوقة.

١٣. كثيرًا ما يتكلم الكاتب عن نوع من الرهبان يُطلق عليهم اسم "ἡσυχασταί" = "دعاة الهدوء" أو "الهدوئيين" و"ἡσυχία" = "الهدوء" وهو مصطلح متعارف عليه لطريقة صلاة رهبانية وتأمل بهدف الاتحاد بالله من خلال هدوء النفس الداخلي. وقد ترجمنا "ἡσυχαστής" وهو المتوحد الذي يمارس هذا الاتجاه النسكي التصوفي باسم "الهدوئي" وترجمنا "ἡσυχασμός" أي طريقة تسليم النفس لله من خلال الصلاة الذهنية باسم "الهدوئية".

١٤. ننصح القارئ العزيز بالرجوع أولاً إلى الصفحات التي يشرح فيها الكاتبُ المصطلحات الديرية الواردة في الكتاب قبل قراءته، ليتعرف على أنواعها المختلفة ويكون فكرة عنها وعن الفروق بينها. ص ٢١٢.

توطئة

جزيل القداسة، الأخ في المسيح، الأب فلاسيوس، أرجو أن تتقبل تهاني القلبية على كتابك الجديد، والذي يعبر عن حبكم وتوقيركم للجبل ذي الاسم المقدس، منارة الأرثوذكسية الفريدة.

فكتابكم هذا الجديد يكرم بشكل خاص جزيرة القديسين، وطننا المخضب بالدماء، العون الضروري لكل مسيحي أرثوذكسي بل ولكل إنسان يعيش بعيدًا عن نعمة الله. فقد أصبحت البشرية جمعاء غابة. يعيش الناس في ظلام دامس، بعيدًا عن نور المسيح. يصعد الناس جلجثة الحياة مكتئبين، حزانى. يعيشون الحياة التي تسمى "الموت". يعيشون بدون محبة، بعيدًا عن الله، الذي "يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (١ تي ٢: ٤). فقد أرسل ابنه الوحيد، كلمته، وصار إنسانًا، ثم تألم وصلب ودفن، وصعد لكي يلدنا من جديد، ويقيمنا ويقودنا إلى حياة جديدة، حياة الفرح الأبدي والنعيم. وبعد أن صعد إلى السماء أرسل المعزي ليواصل عمله. وأنار الروح القُدُس الرسل وهؤلاء أناروا خلفاءهم، قديسي الكنيسة، لكي ما يقودوا النفوس البشرية إلى طريق السماء المؤدي إلى الفردوس. وأصبح قديسونا، بحياتهم المقدسة، استمرارًا لعمل المسيح. وأصبح القديسون أعضاء إلهية في الكنيسة، كهنة لله الآب، وأحباء لله وللبشر. والله يسمع تضرعات هؤلاء البشر القديسين، بصلاحه الفائق وتحننه، لأنهم ضحوا ولا زالوا يضحون بحياتهم المقدسة من أجل

محبتهم في المسيح. والملائكة كانوا يُصعدون ويصعدون صلوات البشر إلى عرش الله، الذي يسمع صلواتهم كما يقول يعقوب الرسول: "طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا" (يع ٥: ١٦). ولذلك فنحن الأرثوذكس نرد لهم تمييزًا شريفًا ونقدم لهم سجودًا عرضيًا، متمثلين بحياتهم المقدسة. فقد ربحوا المسيح من خلال العفة، والأصوام، والسهر، والصلاة القلبية الدائمة.

فمن أعماق قلبي أتمنى أن ينعم الله عليكم بوافر نعمته وبركته، وبصلوات الآباء القديسين لكي تمموا عملكم. فأنتم مجاهد كفء لديننا ووطنا.

تقبلوا محبتي في الرب

الحقير إيرينيوس

٢٠٠٥/٤/٥

أسقف باتارا **Patara**

مقدمة

محتوى هذا الكتاب هو نتاج عناء لمدة ست سنوات. فاختيار المعلومات التاريخية وتجميعها من كتب مختلفة، قديمة وحديثة، التي تشير إلى النُسّاك غير المرئيين، والتقاليد الشفهية المختلفة، والمعلومات المأخوذة من شيوخ قدامى ومن شهود عيان محدثين، تمثل نصوص هذا الكتاب.

هذا العمل لا يحتل مكانة علمية، ولا زخرفًا أدبيًا، بل هو كله عمل من نوع غريب ولا علاقة له بالكتابة الخيالية. وهو مكتوب بلغة بسيطة حتى يكون مفهومًا عند القارئ البسيط قليل المعرفة.

أثناء مدة الست سنوات من البحث لجمع المعلومات طفت بأماكن تنسك كثيرة وأكواخ، وتقابلت مع شيوخ مبجلين وأفاضل ونُسّاك حقيقيين في برية آثوس، الكثير منهم، أقصد المتقدمين في الأيام، تركوا العالم الحاضر، أي "الكنيسة المجاهدة"، ورحلوا إلى الكنيسة العليا "الكنيسة المنتصرة"، حتى قبل أن يطبع هذا الكتاب. ومررت بأماكن غير مطروقة، ووصلت إلى أماكن نائية من برية آثوس من أجل التقاط صور مناسبة لهذا الموضوع.

وكما أوضحت آنفًا، روايات هذا الكتاب، نصفها تقريبا مأخوذ من كتب قديمة ذات مضمون نسكي أجيوريتى (خاص بالأجيون أوروس = الجبل المقدس) سواء كتب قديمة أو معاصرة، ونصف الروايات الآخر

يُنشر مكتوبًا لأول مرة، إذ أن بعضها، وإن كانت ترجع إلى مائة أو خمسين عامًا مضت، إلا أنها ظلت تسلم شفاهية في برية آثوس.

بعد المقدمة، سيكون هناك حديث في المدخل عن دهاليز برية آثوس وعن من يُطلق عليهم "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين". الجزء الأول من الكتاب يتضمن آباء جبل آثوس سواء القديسين القدامى والمشهورين منهم أو المحدثين المشهورين أيضًا. أما الجزء الثاني فيتضمن قصصًا مكتوبة وشفهية وروايات عن نُسّاك عرايا ونُسّاك آخرين ومتوحدين، من أجل العثور على مغاير أو اكتشاف رفات رجال وعن روائح عطرية مختلفة، وكذلك شهادات أخرى عن النسك المعاصر في جبل آثوس. أما في الملحق فنشير إلى روايات متماثلة أو شبيهة من خارج جبل آثوس، مثل سيناء وكريت. بعد ذلك نقدم أقوالاً مختلفة واقتباسات من الكتب المقدسة (العهدين القديم والجديد) التي تشير إلى التوحد والحياة الهدوئية، ثم أقوال مختلف آباء الكنيسة عن الهدوء ثم حديث عن الرهبنة وعن مختلف فروعها (أنظمتها)، وعن التوحد عامة وعن التوحد في آثوس خاصة، ثم حديث عن محبة الآباء القديسين وميلهم نحو البرية ومقتطفات من أقوال آباء مختلفين عن حياة الوحدة. ثم في النهاية نورد حديثًا للقديس إفرام السرياني بعنوان "عن الآباء المنتقلين".

اختير لهذا الكتاب عنوان "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين" لأن محور الروايات وما هو جدير بالإعجاب يخص هؤلاء النُسّاك في جبل آثوس، وخاصة ما تحيطه الروايات بسر. وللعنوان "نُسّاك جبل آثوس غير

المرئيين" معنى وشرح . الأول يعني هو أنهم يسمون "النُسّاك غير المرئيين" أي كل النُسّاك الذين يظهرون مرة واحدة أو أكثر ثم يختفون إلى الأبد، وهذا أمر غامض، والتفسير الثاني لكلمة "غير المرئيين" هو أن هؤلاء النُسّاك المختفيين في الغابات والمغاير، لأنهم لا يظهرون وليس لهم احتكاك بعوام الناس، يطلق عليهم "غير المرئيين". ومع ذلك، فرغم أننا نقدم روايات هذا عددها عن "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين" إلا أن الأمر لا يزال سرًا، وهو "سر برية آثوس".

٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤

(تذكار القديس توما الرسول

والقديس كينديوس صانع العجائب)

الراهب فلاسيوس

مقدمة الطبعة الثانية

بعد نفاذ الطبعة الأولى، نقدم، بنعمة الله، إصدار الطبعة الثانية من هذا الكتاب، مع بعض الحذوفات، والإضافات، والتغييرات، والتعديلات والتصويبات في النصوص، حتى تخرج هذه الطبعة أكمل وأجمل.

فبعد توزيع الكتاب تساءل البعض عن الدوافع وراء هذا العمل. ولأن الكثير من الزوار والحجاج إلى الجبل المقدس، هذا الموضع المبارك، عندما قرأوا أو سمعوا روايات مختلفة عن "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين"، كانوا يسألون الرهبان باستمرار ليعرفوا أكثر. وقد سُئلت أنا نفسي كثيرًا عن هذا الموضوع. فرأيت أنه من الأفضل، عندما يجلس راهِب ليقُصّ روايات عنهم، أن تجمع هذه الروايات الموجودة، سواء المكتوبة أو الشفهية، على قدر المستطاع، وتكون مادة هذا الكتاب للتسهيل على المهتمين. فهذا هو السبب الرئيسي والدافع الأساسي لتأليف هذا الكتاب.

الراهب فلاسيوس

مدخل[٤]
في دهاليز برية آثوس

عندما رأي دانيال رؤياه الرهيبة على نهر بابل، كان وحيدًا تمامًا. ونفس الشيء حدث مع إشعياء وحزقيال عندما رأيا رؤياهما التي أظهرها لهما الله، كانا أيضًا وحيدين. وموسى النبي، عندما رأى العليقة المشتعلة في برية سيناء، كان وحده مع رعيته. وعندما تكلم الله مع النبي إيليا التشبيتي، كان الأخير أيضًا وحده. كما أن آخر الأنبياء، الذي هو يوحنا المعمدان، عندما صار إليه كلام الرب أن يعمد، كان هو أيضًا وحده.

نفس الشيء حدث هنا في هذه الأماكن من برية آثوس، فكل الآباء والنُسّاك الذين رأوا شيئًا من الله، كانوا وحدهم. وكل الذين قابلوا نُسّاكًا غامضين، كانوا أيضًا وحدهم.

فعندما يدخل الزائر التقي إلى برية آثوس، سواء من جهة إسقيط القديسة حنة، أو من جهة كافسوكاليفيا، أو من جهة خائيرى، يدرك أنه دخل إلى منطقة توجد بين السماء والأرض، في منطقة غريبة عن واقع العالم، في موضع معطر بعرق النُسّاك، في مكان غريب عن روح العالم. يرى الزائر الأشجار، والصخور، ومجاري المياه والينابيع، كل شيء يحوطه روح النسك، ويملأ الزائرَ باستمرار شوقٌ إلى رؤية نُسّاك آثوسيين

---

[٤] تم اختزال باقي هذه المقدمة الطويلة ووضعها في الجزء الرابع من هذا الكتاب للتسهيل، كذلك أيضا أقوال الكتب المقدسة التي تمدح حياة الوحدة.

ومقابلتهم. وفي بعض الأحيان كانت تفوح رائحة عطرة جدًا في هذه الأماكن النسكية، الأمر الذي يدل على وجود رفات مقدسة مدفونة هناك لمتوحدين غير معروفين.

فهؤلاء البشر القديسون، هدوئيون ونُسّاك، الذين عاشوا في هذه الأماكن، سواء القدامى منهم أو المحدثين ، سواء المعروفين أو المجهولين، كهؤلاء الذين يطلق عليهم "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين"، الذين يدور حولهم باستمرار حديث في ثنايا نصوص هذا الكتاب، عندما كانوا يدخلون إلى دهاليز برية آثوس، كانوا يشعرون بأنهم يتواجدون في الفردوس رغم كل حروب العدو غير المنظور.

كانوا يعيشون بأصوام، وسهرانيات، وصلوات غير منقطعة مع الرب، الذي منه كانوا يطلبون معونة ضد حروب عدو حياة التوحد، يطلبون النعمة، والرحمة والمعونة منه، يطلبون رعاية والدة الإله الفائقة القداسة وحمايتها، لكي يستطيعوا أن يخرجوا منتصرين ولكي يعيشوا كملائكة أرضيين أو كبشر سمائيين.

نرى في الحديث الخاص بأبينا في القديسين غريغوريوس بالاماس عن حياة القديس بطرس الآثوسي أنه كتب هكذا: "أنطلق هؤلاء البحارة برجاء صالح، أما هو فقد تقدم إلى المخابئ بنوع من الوقار وصعد إلى الجبل المقدس ودخل إلى الأعماق، وسلم ذاته لله وحده، وتعهد بأن يعيش له وظل يهتم بهذا الوعد ليتممه".

وما هو هدف المتوحد في هذه البرية؟ لنترك القديس غريغوريوس نفسه يجيبنا: "الهدف هو أن يستطيع الإنسان أن يسمح لنعمة الله أن تجدد إنسانه الداخلي، وأن تقوده إلى المثال الأول، حتى يظهر بوضوح (فيه) ذلك الجمال القديم الذي لا يوصف".

وكم هو مزعج لعدو الطغمة الرهبانية والجنس البشري عامة الهروبُ من العالم وهجره ومحبة الوحدة بحسب السيرة التي في المسيح، وهذا واضح من كلام القديس نفسه: "لأنه كان يرى أن هذا العظيم (بطرس الآثوسي) لم يُضرب بسهامه (بسهام إبليس)، لهروبه من العالم وملذاته، الأمور التي اعتاد ذاك أن يسرق بها النفوس الضعيفة".

ويمكن لإنسان ذي فكر عالمي أن يفكر هكذا: كيف يستطيع إنسان أن يعيش وحده في البرية، دون أن يكون له رفقة بشرية، أو تعزية من إنسان، دون أن يتكلم، أو يتباحث مع أحد، أو يطلب مساعدة الآخر في سد احتياجاته؟ كيف يستطيع أن يعيش وحيدا في البرية، بدون بيت، بدون فراش، بدون تدفئة في الشتاء، بدون مِرْوَحَة في الصيف، بدون أطعمة ومآكل، بدون حضور إلى الكنيسة أيام الآحاد، بدون ترويح عن النفس، بدون ملبس، بدون نعل، بدون طبيب في وقت المرض، بدون أدوية، بدون الأمور الأخرى التي تتطلبها الحياة البشرية؟ الإجابة هي: أن الإنسان الذي رذُل العالم رذَل أيضًا كل ما للعالم! يعيش في البرية وحيدًا ولكن له شركة مع الله بالصلاة والدرس الإلهي. له رفقة في حضور الله والملائكة والقديسين. التعزية تأتيه من المعزي، أي من الروح القُدُس. يتكلم ويتباحث

مع المسيح ومع القديسين من خلال الصلاة. في كل عوز يحتاج معونة كلي القدرة، الذي يقدمها له بطريقة عجيبة وغريبة. بيته هو المغائر والأكواخ المحيطة وشقوق الأرض وتجاويفها. فراشه هو الأعشاب الجافة وأوراق الأشجار. يحتمل برد الشتاء ويعاني من قيظ الصيف، متذكرًا العذاب الأبدي ونار الجحيم الأبدية، وبنعمة الله يقبلهما (البرد والحر). طعامه هو عشب الأرض، الكَستَن، التوت البري، وما يرسله إليه ذاك الذي يعول الطيور وحيوانات البر، فكم بالحري صنعة يديه هل سيتركه يقع فريسة للجوع! حضوره اليومي للكنيسة هي صلواته المقدسة وطلباته واتحاده بالله من خلال الصلاة الدائمة ودراسة الأقوال الإلهية. ترويحه عن نفسه هو مداخله المختلفة، ليس للقاء بشر، ولكن دخوله إلى أماكن أكثر وحشة وعزلة من أجل حديث أكثر نقاءً وأكثر هدوءً مع خالقه ومن أجل التأمل في شهداء الإيمان وتذكرهم وسير الآباء القديسين والأبرار ونماذجهم وتعاليمهم المقدسة. ملابسه هي شجيرات الحديقة (وبعضهم لم يكن لهم حتى هذه الشجيرات، عارفين أنهم لا يحتاجونها إذ لم يكونوا منظورين لأحد من البشر). نعله هو ما كان ينتعله منذ ولادته[٥]. طبيبه هو المسيح، ليس فقط طبيب للجسد ولكن أيضًا طبيب للنفس. أدويته، إن احتاج، هي ماء مقدس، أو زيت من قنديل إحدى أيقونات والدة الإله ، أو أيضًا التضرع إليها، عندما كان يقدِّم التضرع لأجل شفاء. للناسك كل شيء ولا يعوزه شيء، لأن صديقه ومعينه هو خالق الكل، خالق ما يرى وما لا يرى.

---

[٥] ربما يُقصد ما كان يلبسه في رجليه يوم أن ترك العالم وقصد البرية. (المترجم)

وبناءً عليه فأسعد الناس جميعًا هو الناسك. لأن فوق كل شيء كان له سلام المسيح في داخله والنعمة "التي تفوق كل عقل" (في ٤: ٧). حتى وإن مَرّ بضيقات أو احتياج، فإنه نفسيًا سعيد وفرح.

فلننظر ماذا يقوله في هذا الصدد القديس إسحق السرياني: "لأن الله كلي الصلاح لم يسر بأن يستريح عبيده في هذه الحياة الحاضرة، بل بالأكثر أراد أن يكونوا في أحزان، وأثقال، وعناء، وفقر وعري، ووحدة وعوز، وأمراض ومهانات، وضرب وقلب مكسور وجسد عليل، وفكر حزين بعيدًا عن الأقارب، في جلوس غير مشابه لجلوس البشر، في سكن منعزل هدوئي، لا يراه نهائيًا إنسان، حرٌ من كل شيء يمكنه أن يجد فيه عزاء أرضيًا" (عظة ٣٦).

إذن من الحسن والنافع أن يقيم الهدوئي في البرية، لأنه ينجو من كثير من فخاخ الخطية، رغم كل العوز والأحزان الجسدية التي يلاقيها هناك. لأن الإقامة في العالم تجلب شرورا كثيرة وعظيمة للسقوط، سواء بالأفعال أو بالأقوال. كما يقول أيضًا القديس إسحق: "لا شيء آخر يفتر النار الملتهبة بالروح القُدُس في قلب الراهِب لتقديس النفس مثل الخُلْطَةُ والمحادثة والثرثرة" (عظة ٤٣).

بالفعل، فالمتوحد الذي يحتمل صعوبة الحياة في البرية ويقيم فيها ويسير في طريق المسيح المنير ويحفظ قوانينه الرهبانية وينفذها، فإنه لا يبقى غير مثمر، بل يزهر روحيًا ويأتي بكثير من ثمر الروح القُدُس وينال مواهب عديدة، كما يقول القديس إسحق عن أب شيخ إنه قال: "من يتعلم

بالتجارب حلاوة الهدوء في قلايته، فهذا ليس كمحتقر قريبه يفر من الخلطة معه، بل بسبب الثمر الذي يجنيه من الهدوء" (الرسالة الأولى).

ولنر الآن الثمار والمواهب والتعزية التي ينالها المتوحد الموجود في برية آثوس. فمن طول تباعده عن الناس ينسى روح العالم وكل شر فيه ويجعل جسده مسكنًا للرُوحُ القُدُسُ ونفسه مركبة له، وأما أفكاره فتصير مقدسة، تفوح برائحة المسيح وقلبه. فكما أن الحديد يصير أحمر بتلامسه مع النار وكلما طال وقته فيها كلما صار عنصرًا حاملاً لها، هكذا المتوحد المجاهد، عندما يطلب الله ويجده في الخلوة المطلقة ويطول في الاتحاد الإلهي هذا، يصير حاملاً للّه، وصاحب مواهب، ومنيرا باللّه، وناظرا للإله في الروح.

ولنر الآن ماذا يقول بعض الآباء عن هذا الموضوع. يقول العظيم غريغوريوس بالاماس في سيرة القديس بطرس الآثوسي: "وإذ كان متقدمًا جدًا روحيًا، استحق هذا المطوب أن يرى مناظر إلهية ليس فقط في أحلامه بروح التخيل، الذي تسميه الفلسفة "مركبة النفس العاقلة"، بل قد تخطى هذا الخيال وتقدم إلى الاتصال بما هو غير مادي بقلب نقي".

ويقول القديس إسحق السرياني: "من هنا يتضح أن كثيرين، من الذين وصلوا إلى درجة الطهارة، استحقوا أن يروا قديسين، في رؤى الليل دائمًا، وبعد أن انطبعت رؤيتهم في نفوسهم صارت لهم كل اليوم مدعاة فرح من خلال الهذيذ الداخلي، ولذا يمارسون فضائلهم بحماس، وتلتهب قلوبهم بشعلة كبيرة ورغبة فيها".

لا بد أن كثيرين من قُرّاء هذا الكتاب قد سمعوا أو قرأوا حتى ولو رواية واحدة عن من يُطلق عليهم اسم "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين". فالبعض يسميهم "النُسّاك غير المرئيين"، والبعض الآخر يطلق عليهم "النُسّاك العرايا"، وآخرون يسمونهم "الشيوخ السريون"، وآخرون يسمونهم "المتوحدون غير المنظورين". فالأمر يتعلق بمجموعة من النُسّاك، يتراوح عددهم بين سبعة إلى اثنى عشر أو عشرة، يقيمون في أكثر مناطق برية آثوس وحشة، ولا تراهم عين إنسان. يتراءون فقط لمن هم يريدون أن يتراءوا له، كمثل أكثر الرهبان بساطة أو نقاوة، أو لزائر تقي ونقي له حياة مسيحية نقية.

وهنا يجب أن أنقل ملاحظة لأحد الرهبان وهو من الكتاب المعاصرين[٦] عن هؤلاء النُسّاك الغامضين، والتي أعتبرها أنسب ملاحظة في محتواها ووصفها وأقصرهم في هذا الصدد: "النُسّاك العرايا: خلال تاريخ الجبل المقدس الطويل يوجد التقليد التالي"، يعيش مجموعة من النُسّاك يتراوح عددهم بين سبعة إلى عشرة في نسك شديد، وعملهم الوحيد هو الصلاة الدائمة إلى الرب من أجل كل العالم. وقد نال هؤلاء نعمة خاصة من الله بأن يعيشوا بلا مأوى وعرايا وأن يكونوا غير مرئيين لعيون البشر".

---

[٦] نقلا عن كتاب الراهب يوسف ديونيسياتوس "الشيخ أرسانيوس الحبيس" شريك الشيخ يوسف الهدوئي، ٢٠٠٢.

فشهرة هؤلاء النُسّاك، أو بالأحرى هذا التقليد، محفوظ لأكثر من مائتي عام على الأقل ويتم تناقله من جيل إلى جيل في الرهبنة الأجيوريتية وبالأخص في النسك، وليس هذا فقط بل وفي كل بقاع الأرثوذكسية.

فظهورات هؤلاء النُسّاك الغامضين، على فترات، لأشخاص أو أفراد من الرهبنة أو من الحياة المسيحية في العالم، على الأرجح يريدون بها أن يظهروا بطريقة نبوية مستقبل هؤلاء الأفراد أو حالتهم. ولكن مرات كثيرة كانت ظهورات هؤلاء الرجال القديسين الغامضين تحدث لتأكيد قداسة الموضع الذي يعيش فيه اليوم الرهبان الآثوسيون وللتأكيد على استمرار السيرة النسكية الشديدة للنُسّاك الجدد ولرهبان جبل آثوس الذين يجب أن يسيروا على قدر طاقتهم على آثار الآباء المتوحدين القدامى، دون أن يتكاسلوا، لأن معينهم في جهادهم ضد عدو الذهن هو المسيح، ومعينتهم والمدافعة عنهم هي الفائقة القداسة والدة الإله، سيدة الجبل والقيمة عليه، وشفعاؤهم من أجل خلاصهم هم قديسو الجبل المقدس الذين أضاءوه على مر العصور. وهذه الظهورات تحدث أيضًا للتأكيد على الإيمان بالله، حتى لا يقل عدد النُسّاك المحدثين اليوم بسبب صعوبة البرية ولكي لا يهتموا باحتياجات الحياة ولأجل عمل اليدين ولضروريات حفظ الجسد، بل أن يضعوا رجاءهم في الله الذي يحفظ حياة الطيور ووحوش الغابة بطريقة عجيبة، كما حفظ حياة آباء برية آثوس القدامى.

وأنا قد تباحثت مع شيوخ كثيرين من جبل آثوس، وإسقيطيين وسكان أديرة شركة، وسكان قلالي، ونُسّاك، عن هذا الموضوع، الذي

هو وجود نُسّاك عرايا غير مرئيين حتى اليوم، ووجدت أن كثيرين يؤمنون بالفعل أن هؤلاء النُسّاك موجودون حتى اليوم. وتقابلت بالفعل مع رهبان وشيوخ بسطاء أفاضل مجاهدين يؤمنون بهذا التقليد، أي بوجود هؤلاء النُسّاك حتى اليوم في أماكن داخلية من برية آثوس، ويعيشون حياة بدائية، بسيطة، فقيرة، حيث يعولهم الله بطريقة عجيبة. وقد حكى لي أحد الشيوخ البسطاء أنه يعرف بعض هؤلاء المتوحدين السريين الذين يعيشون في منطقة أعلى وأكثر وحشة وأن العناية الإلهية تدبر لهم الاحتياجات الضرورية للمعيشة بطريقة عجيبة وخاصة، وأنهم في الليالي يسهرون مصلين وهم وقوف. ولكي لا ينعسوا فيسقطوا إلى أسفل، بعد صلوات نصف الليل التي يتعبون فيها، يستندون على حبال، مربوطين من تحت إبطهم، وهذه الحبال معلقة بعوارض خشبية. وأبى أن يقول لي عن الموضع الذي يعيشون فيه ولا عن سيرتهم النسكية العجيبة هذه.

ويوجد رهبان آخرون يؤمنون أن مجموعة النُسّاك السبعة هذه موجودة حتى اليوم ويكمل عددهم في حالة رقاد أحدهم بآخر فاضل من رهبان الجبل المقدس، الذي يلجئ إليهم بطريقة عجيبة فيصيرون مرة أخرى سبعة.

ويوجد تقليد آخر يؤكد أن هؤلاء النُسّاك السبعة (وطبقاً لرواية آخرين عشرة) سوف يقومون بخدمة القداس الإلهي الأخير في قمة جبل

آثوس[٧]، في كنيسة تجلي المسيح المخلص الصغيرة. ثم بعدها ستكون نهاية العالم أي المجيء الثاني. هؤلاء النُسّاك السبعة (أو الاثنا عشر) في الجيل الأخير، لن يذوقوا الموت بل سيتحولون، أي سيتغير شكلهم وستصير أجسادهم غير فاسدة وغير مائتة مثل أجساد كل البشر الأحياء حينئذ. كما يقول القديس بولس: "لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ" (١ كور ١٥: ٥١، ٥٢).

ويوجد بالطبع بعضٌ يرون أن تقليد "النُسّاك غير المرئيين" هذا لا يعدو كونه خرافة.

ومن بين الرهبان والشيوخ الذين سألتهم عن "النُسّاك غير المرئيين" وجدت ثلاثة لا يؤمنون بوجود "غير المرئيين". فهم يؤمنون باحتمال أنهم يوجدون مختفيين في دهاليز آثوس، أما أنهم غير مرئيين أو أنهم سبعة أو اثنا عشر، فلا يؤمنون[٨].

وتبريرهم في هذا الصدد هو أن المسيح قال في الإنجيل المقدس: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٦). وأيضًا: "وَلَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ

---

[٧] هذا مذكور أيضا في كتاب الأرشمندريت شيروبيم كارامبلا بعنوان: "ذكريات حنين من بستان والدة الإله"، طبعة ١٩٩٣.

[٨] أحد هؤلاء الرهبان، وهو شيخ اليوم، قال لي إنه عندما كان شابًا سأل الأب الروسي المعروف بنسكه وفضائله تيخون (+ ١٩٦٨) عن هؤلاء النُسّاك السبعة أو الاثني عشر غير المرئيين، فأجاب بأن صلاحهم ووصول عددهم إلى سبعة أو اثنى عشر ما هو إلا مجرد خرافة.

سِرَاجًا وَيُغَطِّيهِ بِإِنَاءٍ أَوْ يَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرٍ، بَلْ يَضَعُهُ عَلَى مَنَارَةٍ، لِيَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ" (لو ٨: ١٦). ويسوقون أيضًا أمثلة من حياة الآباء القديسين المشهورين بالفضيلة وقداسة السيرة وكيف أن الله لم يجعلهم "غير مرئيين" بل "مرئيين" حتى يقترب منهم الناس وينتفعوا من مشوراتهم ومَثَلهم وكذلك من مواهبهم. يقولون إنه ليس ثمة داعٍ لأن يكونوا "غير مرئيين"، وخاصة أن القديس باييسيوس ومن قبله الشيخ يوسف الهدوئي وآخرين غيرهم لم يكونوا "غير مرئيين" بل "مرئيين" حتى ينفعوا الآخرين. ولكن كل من القديس باييسيوس والشيخ يوسف الهدوئي قد أشار كتابة إلى وجود النُسّاك غير المرئيين أو الخفيين.

وإن قبلنا الآن هذا التقليد أو آمنا به، أي أن هؤلاء النُسّاك السبعة يعيشون في آثوس وهم غير مرئيين، فيجب أولا أن نفتش الكتب الإلهية وسير آباء كنيستنا لنجد هل كانت هناك حالات شبيهة وأحداث غريبة وغير اعتيادية.

نجد في العهد القديم، في سفر التكوين، الآتي: "فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ" (تك ٥: ٢٣- ٢٤). فلأن أخنوخ عاش على الأرض إنسانًا فاضلاً وكانت حياته مرضية جدًا في عيني الله، فقد نقله الله (أي أخذه). ولم يره إنسان قط على الأرض أيضًا لأن الله نقله، أي أنه وضعه في مكان آخر، في موضع آخر لا يعرفه إلا الله. فلو قلنا إن الله نقله إلى السماء،

فسوف نسمع حينئذ المسيح يقول: "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يو ٣: ١٣).

ونجد أيضًا أنه كان لإرميا النبي عبد يسمى أبيمالك من الحبشة، وكان هذا العبد بارًا ومتواضعًا ويخاف الله، ولأنه كان مرهف الحس ورؤوفا لم يشأ أن يرى مقتل الإسرائيليين غير الأتقياء وسبيهم. ولهذا أرسله إرميا النبي ليجمع بعض التين، ولأنه كان منتصف النهار والطقس حارًا جدًا، دخل إلى احدى المغارات ليستريح ومعه سلٌ ملآنٌ تينا. فأخذه النعاس فنام. واستيقظ بعد سبعين عامًا ونزل إلى المدينة عندما عاد العبرانيون من سبي بابل. وكان لا يزال اللبَنُ في التين المقطوع طازجًا[٩].

ونجد في سينكسار الرابع من شهر أغسطس/ آب أن الكنيسة تحتفل بتذكار الفتية السبعة الذين في إفسوس، وأسماؤهم كالتالي: إكساكوستوديانوس، يامبليخيوس، وقسطنطينوس، مكسيميليانوس، مرتينيانوس، ديونيسيوس، وأنطونينوس. ويحتفل لهؤلاء الفتية السبعة مرة أخرى في ٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول. هؤلاء الفتية المسيحيون الذين من إفسوس تواروا واختبئوا في مغارة أيام الاضطهاد الذي آثاره امبراطور روما الكافر داكيوس (٢٤٩- ٢٥٠ م.). وظل هؤلاء الفتيان في المغارة نائمين مدة ١٨٤ سنة، بلا طعام، بلا ماء، بلا أي شيء يسد رمق الإنسان. لأنه "حيثما أراد الله، تقهر قوانين الطبيعة"[١٠]. فقد قاموا أي "استيقظوا" من

---

[٩] هذه الرواية لا توجد في نصوص العهد القديم، بل في كتب العبرانيين الأبوكريفا.

[١٠] هذا القول للقديس يوحنا الذهبي الفم (المترجم).

نومهم بعد سنين عديدة (عام ٤٣٤ م. وبحسب رواية آخرين سنة ٤٤٦ م. أثناء حكم الامبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الصغير)، بحسب مشيئة الله، ليظهروا للناس قوة الله وكذلك الإيمان بقيامة الأموات، لأن في ذلك الوقت كانت تسود بدعة لا تقبل قيامة الناس من الأموات في نهاية هذا العالم. تبدو هذه الظاهرة غريبة في تاريخ الكنيسة بل وتاريخ البشرية، ولكن هؤلاء الفتية آخيرا ناموا (ربما يقصد ماتوا) كلهم بطريقة طبيعية.

ونجد أيضًا في العهد القديم (سفر الملوك الرابع، ٢: ١- ١٩)، عندما أصعد إيليا النبي "إلى السماء"، كان متواجدًا بجوار النهر تلميذه إليشع، فاقترب منه خمسون رجلا من أبناء الأنبياء وقالوا له أن يفتشوا ليعثروا على إيليا النبي لعل روح الرب يكون قد اختطفه وألقاه في الأردن أو على سفح جبل من جبال تلك المنطقة. ورغم أن إليشع النبي لم يقبل هذا الاقتراح في بداية الأمر، إلا أنه رضخ لهم بعد ذلك، وعندما مَشّطَ الرجال كل المنطقة لمدة ثلاثة أيام لم يجدوا إيليا لأنه بالفعل "كان قد أُصعد إلى السماء".

ونجد في العهد القديم أيضًا (سفر المكابيين الثاني، ٢: ١- ٨)، أنه في أيام إرميا النبي عندما اقتربت أيام سبي العبرانيين أوصاهم إرميا أن لا تغويهم تماثيل البابليين الذهب والفضة الكاذبة وأن لا يتركوا إله إسرائيل الحقيقي. وأيضًا قبل دخول البابليين إلى أورشليم وأخذهم الشعب مسبيًا إلى بابل، أوحي الله إلى النبي أن يأخذ خيمة الشهادة، وتابوت العهد ومذبح البخور وأن يخبأهم. وبعد أن أخذها ومضى بها إلى الجبل، حيث

أظهر الله قديمًا من هناك لموسى أرض الموعد، وأخفى الأواني في مغارة وجدها هناك، وبعد أن بنى مدخلاً للمغارة وسده، مضى من هناك. فرجع بعض الرجال الذين كانوا مع إرميا ليضعوا علامة على المكان والطريق ليعرفوا أين بالضبط توجد الآنية، ولكن لم يستطيعوا فعل ذلك لأن الموضع صار غير منظور لهم (اختفى عن أعينهم). وعندما علم إرميا النبي بما فعلوا عاتبهم قائلاً إن هذا الموضع سيبقى مجهولاً حتى يجمع الله شعبه إسرائيل مرة أخرى ويغفر لهم خطاياهم، عندئذ سوف يكشفه الله وسوف يظهر مجد الرب كما ظهر في أيام موسى النبي والملك سليمان.

ونجد أيضًا في "المرج القديم"[11] أن أحد الشيوخ المتوحدين في مغارة بالقرب من جبل سيناء، بصلاته أخذ شكل نخلة لكي لا يقطع اتحاده بالله عندما رأى تلميذه آتيا من بعيد الذي ظنه أحد المسلمين. ثم بعد ذلك أخذا شكلاً بشريًا مرة أخرى، كما هو مدون بالتفاصيل فيما سيأتي.

ويقال إنه في كتاب "بارسانوفيوس الحبيس والنبي يوحنا" يشار إلى أن الأب بارسانوفيوس كان يعرف إنسانًا (واضح أنه كان يتحدث عن نفسه) يستطيع أن يبقى صائمًا، بلا خبز، لمدة طويلة متغذيًا فقط على الصلاة وكلمة الله. كما أشار الرب في الإنجيل المقدس منتهرًا الشيطان قائلاً: "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ" (مت ٤ : ٨).

---

[11] يقابل كتاب "بستان الرهبان" في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (المترجم).

نستنتج إذن من كل هذه الإشارات والروايات من الكتب المقدسة ومن سير الآباء القديسين أن الله يستطيع أن يعول "النُسّاك العرايا" أو "المتوحدين غير المنظورين" أو "النُسّاك غير الظاهرين" صوامين لمدد طويلة وعرايا أن لا يشعروا بالبرد، وأن يحفظهم لأزمنة طويلة كما هم سبعة، وأن لا يحتاجوا إلى مأوى وأن يكونوا غير مرئيين في عيون البشر.

وكما أشرنا سابقًا في مقدمة هذا الكتاب أن عنوانه "نُسّاك جبل آثوس غير المرئيين" له معنى وشرح. فهو يعني من جهة أن هؤلاء النُسّاك قد نالوا نعمة من الله أن يكونا غير مرئيين وأن يعيشوا حياة غامضة، ومن جهة أخرى يعني أن نُسّاك جبل آثوس هؤلاء غير ظاهرين وغير مرئيين من جهة عيون البشر لأنهم مختفون والأماكن التي يسكنون فيها معزولة جدًا وغير ممكن الوصول إليها مما يجعل من الصعب على البشر أن يقابلوهم أو يلاقوهم.

والاستنتاج النهائي الذي يمكن أن يخرج به المعلق المهتم المميز لموضوع النُسّاك غير المرئيين هو الآتي: "كل ما يحكى عن نُسّاك غامضين يظهرون مرة أو أكثر ثم بعد ذلك يختفون إلى الأبد يخص قديسين قدامى وآباء أبرارًا قدسوا برية آثوس ويظهرون ليأكدوا على قدسية المكان والمنطقة التي يظهرون فيها، أو لينبئوا بإحدى النبوات من الله التي على وشك أن تتحقق. هذه الظهورات بكلمات قليلة هي شهادة عيان من قديسين قدامى. وما يحكى من روايات عن روائح عطر غامضة دليل على وجود رفات أحد النُسّاك القديسين غير المعروفين في هذا المكان. وباقي الروايات

تشير إلى نُسّاك قدامى ومحدثين عاشوا أو لا يزالوا يعيشون في دهاليز آثوس السرية غير المقترب إليها[١٢].

[١٢] يمنع الشيوخ الأفاضل المميزون في الجبل المقدس الرهبانَ الجدد غير الناضجين روحيًا من التنسك في هذه الأماكن القاحلة من جبل آثوس بأصوام متطرفة وذلك للهروب من الخداع والأمراض.

الجزء الأول

نُسّاك مشهورون في آثوس

قدامى ومحدثون

الفصل الأول

نُسّاك مشهورون تنسكوا حول جبل آثوس
(آباء قدامى ومحدثون)

أول من أشار إليه كاتبو السير هو القديس بطرس الآثوسي الإسكولائي، أو من سخولاريا، والذي كان ناسكًا يسكن المناطق التي تحت جبل آثوس. كان ينحدر على أكثر احتمال من القسطنطينية وقد عاش في القرن السابع الميلادي.

أرسله إمبراطور القسطنطينية حينذاك كرئيس حملة عسكرية ضد الأعداء، حيث أُسِرَ في المعركة وحُبِسَ في سجن سامرا. أخذ يصلي هناك ويتشفع بالقديس نيكولاوس لكي يحرره وسوف يصير راهبًا، كما كان عليه نذر لله من زمن قديم. فظهر له القديس نيكولاوس وقال له:

- نعمة تحرير الأسر هذه أخذها من الله القديس سمعان الثيوذوخوس.

فترجى القديسُ بطرس القديسَ سمعان لكي يخلصه فظهر له الأخير مع القديس نيكولاوس وبعد أن خلصاه من ربطاته حرراه وأخذاه إلى روما، حيث رسمه بابا روما، وكان حينئذ أرثوذكسيًا، راهبًا في الكنيسة أمام جمع غفير من المؤمنين وكرسه لله ثم أطلقه.

نزل القديس بطرس في سفينة وسافر وكان يطلب شفاعة السيدة العذراء مريم لتقوده إلى حيث تريد مشيئة الله له أن يتنسك. وعندما وصلت السفينة إلى شواطئ جبل آثوس الصخرية توقفت ولم تقدر على الإبحار. وكانت القديسة العذراء مريم قد أعلمته قبل أيام قليلة بأن مشيئة الله هي

أن يتنسك ويقضي بقية أيام حياته في أماكن جبل آثوس. سأل القديس البحارة ليقولوا له أين هم الآن فأعلموه أن الشواطئ الصخرية التي بجوارهم هي لآثوس. فقال لهم القديس إن لم ينزلوه من السفينة الآن فلن يستطيعوا الإبحار.

توقفت السفينة عند ما يُطلق عليه الآن كارافوستاسي. وعندما أنزلوا القديس للوقت تحركت السفينة وأبحرت إلى وجهتها.

صعد القديس بطرس إلى تلك الأماكن الصخرية ووصل إلى الموضع الذي توجد فيه اليوم مغارته. وبعد أن نظفها وطرد منها، بفعل صلاته، الأرواح الشريرة التي كانت تسكنها، جعلها مسكنًا له. وكان يقضي أيامه في أصوام وسهر وصلوات، محتملاً برد الشتاء وقيظ الصيف محاربًا ضد الشياطين.



القديس بطرس الآثوسي

عاش القديس في مغارته ٥٣ سنة محتملاً تجارب كثيرة ومناوشات من الشياطين. وقد بليت ملابسه بمرور الزمن وسُر الله بأن ينبت شعر في جسده ليغطيه وكان يتغطى بورق شجيرات برية.

وبتدبير إلهي، وقبل انتقاله من هذا العالم للقاء المسيح مشتهاه، اكتشف موضعه أحد الصيادين، الذي زاره مرة أخرى في العام الذي يليه بصحبة أحد الرهبان وعلماني حيث وجدوه قد رقد في الرب. وقد أحضروا رفاته إلى ثراكي حيث عمل معجزات وطرد أرواح شريرة كثيرة. ويُحتفل بتذكاره يوم ١٢ يونيه/ حزيران.

السيد إشعياء الناسك

عاش الراهب إشعياء المتوحد كناسك في الجانب الشرقي من جبل آثوس، في منطقة غابات حيث كان يوجد بقربها نبع ماء. ولا تزال القلاية التي سكن فيها باقية حتى اليوم وقد أخذت شكل مقعد وينتمي إلى لافرا القديس أثناسيوس الكبرى، ولكن كنيسته توجد في دير الثالوث القدوس. ولا يزال نبع الماء موجودًا حتى اليوم.

ويقول التقليد إن الراهب إشعياء قد خلف في الإسكيم الملائكي العظيم القديسَ أثناسيوس مؤسس اللافرا الكبرى. أي كان شيخَ دير القديس أثناسيوس لأنه عندما مضى القديس من جبل كيمينا كان راهبًا لابسًا اسكيمًا صغيرًا.

ولا تزال قلايته التي أخذت شكل مقعد في دير الثالوث القدوس تحمل اسمه حتى اليوم "السيد إشعياء". وهي توجد بين اللافرا الكبرى ومنطقة فيغلا أقصى جبل آثوس.

وقد اختار القديس أثناسيوس، كرجل إفراز، الشيخَ الفاضل البار إشعياء ليرسمه راهبًا يلبس إسكيمًا كبيرًا، مقدرًا فضائله وسيرته الهادئة المختفية.

وقد ازدهر الأب إشعياء حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي.

القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي[١٣]

وُلد القديس مكسيموس "نسر البرية"[١٤] في مدينة لامبساكو من أعمال بروبونتيذا. وبعد أن عاش منذ طفولته حياة الفضيلة في وطنه، ذهب بعد ذلك إلى القسطنطينية. عاش هناك بالفضائل الإنجيلية بكل تقوى ثم انتقل بعد ذلك إلى جبل بابيكيون، حيث اختلط هناك مع رهبان متنسكين في حياة البرية. وهناك سمع عن الجبل المقدس وعن سيرة الرهبان الآثوسيين فجاء إلى الجبل وأقام لمدة قصيرة في دير اللافرا الكبرى. هناك عاش سيرة ملائكية في كل الفضائل وخاصة الصلاة

---

[١٣] كلمة يونانية تعني "ساكن الأكواخ الملتهبة" (المترجم).

[١٤] لقب يُطلق على كثير من الرهبان الذين وصلوا إلى درجة عالية من القداسة.

وعدم القنية. فلم يكن له قلاية ولا فراش بل كان يقضي ليلته في صحن الكنيسة.

وعندما اشتاق إلى حياة أكمل وأكثر نسكًا مضى من اللافرا وذهب إلى جبل آثوس، حيث نال هناك على قمة الجبل نعمة الله ومُنح الزيارات الإلهية وظهورات والدة الإله، التي كانت تقويه في جهاده وصلاته، حالة بظهورها قوى الشيطان ومضايقاته.

بعد ذلك نزل إلى أسفل إلى "بيت صغير" يقال له "باناجيا"، وسكن هناك فترة ما. ارتحل من هناك وادعى الجنون، سائرًا في شكل متباله طواف، لكي يغلب الكرامة والمجد الباطل. كان يبنى أكواخًا من أعواد الشجيرات البرية وعندما كان يمضي من هناك كان يضرم فيها النار ويحرقها، ولهذا سمى "كافسوكاليفيتي" أي "ساكن الأكواخ الملتهبة".



القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي

وعندما جاء القديس غريغوريوس السينائي إلى الجبل المقدس دعا الأب مكسيموس وتحدثا معًا حديثًا روحيًا حتى أن القديس غريغوريوس أقنعه بأن يقيم في موضع يستطيع فيه أن ينتفع منه كل من يأتي إليه. ولأجل الطاعة أقام القديس في مغارة وجدها في منطقة "السيد إشعياء"، فأغلقها بأعواد الشجيرات البرية وترك فيها فتحة صغيرة كباب.

في هذه المغارة عاش أواخر سني حياته مثابرًا على السيرة النسكية بكل نقاوة واهتمام ناميًا في الصلاة الذهنية (القلبية). ومن ذلك الحين بدأ مسيحيون أتقياء أن يتقربوا إليه، رهبانًا وعلمانيين، حيث تعجبوا من موهبة الشفافية عنده وسيرته العجائبية الملائكية.

وأخيرًا رقد في الرب بسلام شبعان أيامًا في الثالث عشر من شهر يناير/ كانون الثاني عام ١٣٢٠ م. (وبحسب رأي آخرين ١٣٧٥ م.) ودفن في قبر كان قد أعده لنفسه. وكان قد أوصى قبل موته بأن لا ينقلوا رفاته، الأمر الذي تم بالفعل. ولكن بمرور الوقت نُسي موضع المغارة والقبر وهما مجهولان حتى اليوم.

ويشتم كثير من الرهبان والزائرين العابرين من المنطقة التي كان يعيش فيها القديس رائحة عطور نافذة.

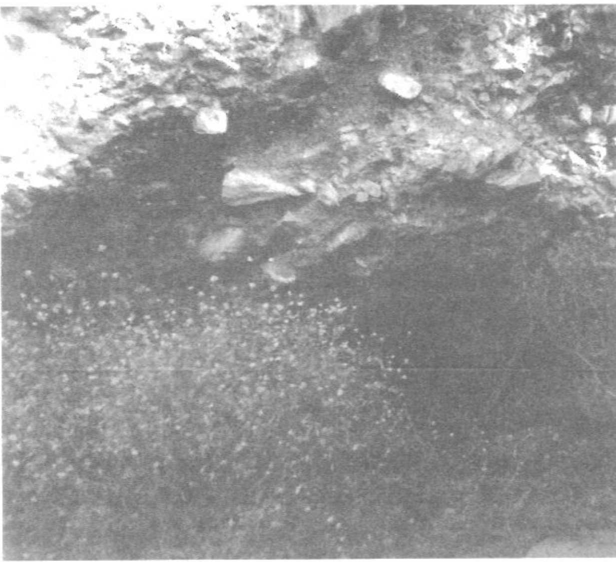
كان هذا القديس معاصرًا للقديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي. وعاش لفترة ما في إسقيط القديسة حنة. وخدم أيضًا في مقاعد اللافرا الكبرى ككاهن، متممًا التعاليم الإلهية ومعطيًا الأسرار الطاهرة للهدوئيين هناك وسكان المقاعد.

ولأنه كان يرغب في حياة أكثر هدوء خالية من الاهتمام فقد انسحب جنوب غرب منطقة الكافسوكاليفيا في قلاية منعزلة بالقرب منها توجد مغارة كان يدخل إليها القديس ويهدأ مصليًا.

كان له تلميذ اسمه مرقس، يقوده الأب نيفون في طريق حياة البرية المستقيم والخضوع. وقد نال هذا الأب مثلث الطوبى من الله موهبة الرؤية المسبقة والمعرفة المسبقة للأحداث. وكان عاملاً لا يكل في الصلاة الذهنية (القلبية) والنقاوة وغير مبالٍ تمامًا بالأمور الوقتية والأرضية.

وبعد سنوات كثيرة من رقاده بنى رهبان أتقياء كنيسة صغيرة على اسمه ولا تزال موجودة حتى اليوم في المكان الذي تنسك فيه بالقرب من مغارته.

يُحتفل بتذكاره يوم ١٤ يونية / حزيران. ولا يزال قبره ورفاته المقدسة مجهولين حتى اليوم.



مغارة القديس نيفون

القديس غيرونديوس الفوليفتريوتي

كان هذا القديس رئيساً لدير الفوليفتيريين في المنطقة الساحلية من إسقيط القديسة حنة. ولكن نظراً للمضايقات وأعمال النهب المستمرة من جانب الساراكينيين[15] وسبيهم للرهبان، ترك الأب غيرونديوس ديره مع رفقته[16]، وقد صعد الرهبان الآخرون إلى الأماكن التي يوجد فيها اليوم

---

[15] لقب يُطلق على المسلمين وربما يقصد بهم هنا الأتراك (المترجم).

[16] الرفقة أو الصحبة (συνοδεία) هو مصطلح رهباني يقصد به مجموعة من الرهبان الشباب بين ٢٠ و٣٠ سنة، يعيشون معا خارج دير أو خارج قلاية. وهذه المجموعة الصغيرة تعيش في كنف أب شيخ روحاني يسمى "هيغومينوس" ورويداً رويداً تصبح هذه الرفقة قطب جذب لرهبان شباب وعندما يزيد

إسقيط القديسة حنة وبنوا هناك أكواخًا لهم من أجل حماية أكثر، أما القديس غيرونديوس فقد صعد مع تلميذ له إلى أماكن أعلى وهناك بنيا منسك القديس بندلايمون وتنسكا هناك منشغلين فقط بالأمور الروحية والنقاوة.

ذات مرة، عندما زرعوا حديقة في منسكهما ليكون لهما شيء من التعزية، جف الماء المقدس، ولم يكن لديهما ماء حتى للشرب. فصلى القديس غيرونديوس فنبع ماء مقدس مرة أخرى، ولكن والدة الإله كشفت لهم أنه من أجل الشرب فقط.

وهكذا عاشا بقية أيام حياتهما في صلاة وصوم وسهر ونسك حتى مضيا إلى المسيح مشتهاهما. ويعيد للقديس غيرونديوس يوم ٢٦ يوليو / تموز.

وقد عاش القديس غيرونديوس خلال القرن الرابع عشر وكان معاصرًا للقديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي.

القديسان ديونيسيوس الخطيب وميتروفانيس الأب الروحي

صار هذان القديسان راهبين في دير ستوذيتوس الشهير بالقرب من القسطنطينية. ولأن العثمانيين البربر احتلوا المدينة وصار كل الشرق، أي

عددهم يبحثون عن أديرة أخرى. ومثال على ذلك رفقة دير ديونيسيوس والتي خرجت من قلاية القديس نيكولاوس بورازيري. وخلاف هذه الرفقة الشبابية هناك رفقة الرهبان المسنين.

أسيا الصغرى، غارقًا في ظلام الإمبراطورية العثمانية، فقد هجرا ديرهما وجاءا إلى "منار" الأرثوذكسية، أي الجبل المقدس.

في البداية أقاما في إسقيط الكاريين، ثم بعد ذلك إذ رغبا في موضع أكثر نسكًا وأكثر عزلة، انتقلا إلى الجانب الغربي من جبل آثوس بالقرب من إسقيط اللافرا كما كان يسمى وقتها إسقيط القديسة حنة. هناك، بعد أن وجدا مغارة ما، تفرغا للحروب الروحية.



القديسان ديونيسيوس الخطيب ومتروفانيس الأب الروحي

ترك القديس ديونيسيوس بعض الكتابات التي لا تزال موجودة حتى اليوم في مكتبة إسقيط القديسة حنة في مخطوط يعرف بعنوان "كوفاراس"، أما القديس ميتروفانيس فكان يخرج ويعترف ويساند المسيحيين في خالكيذيكي. وقد ترك هو أيضًا عملاً يتحدث عن حزن أحد المسيحيين وتجربته ولكن عن التعزية الحلوة التي نالها من رؤيا كشفها الله له.

ازدهر القديسان خلال القرن السادس عشر.

القديس نيلوس الميروفليتي

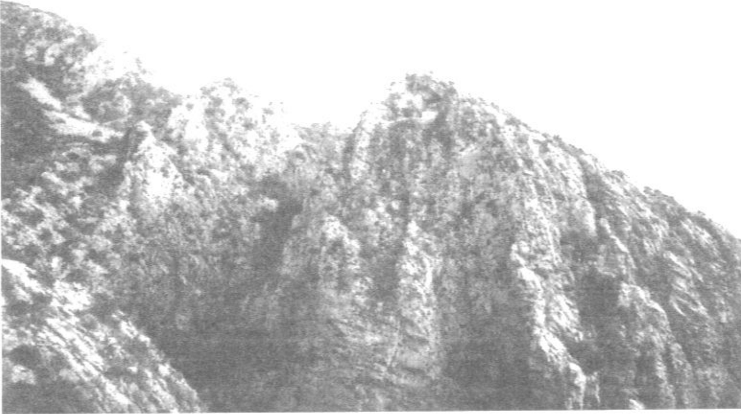
ينحدر القديس نيلوس من بلدة القديس بطرس كينوريا بجزيرة البيلوبونيسوس. في بداية مسيرته الرهبانية التحق بدير العذراء الفائقة القداسة بمنطقة ماليفي، حيث صار راهبًا على يد عمه الراهب القديس مكاريوس وتغير اسمه من نيكولاوس إلى نيلوس إكرامًا للقديس نيلوس السينائي المتوحد.

ونظرا للزيارات المستمرة له وكذلك لقلة الهدوء المطلوب لحياة الرهبنة غادر هو وعمه الراهب وأتيا إلى الجبل المقدس. ويقال إن نيلوس نال نعمة الكهنوت. سكنا كلاهما في الجانب الجنوبي من جبل آثوس بالقرب من كارافوستاسي، حيث كان يوجد كوخ به كنيسة صغيرة

على اسم "الختان". هناك انشغلا برسم الأيقونات المقدسة ليدبرا ما يعينهما على متطلبات العيش.

بعد رقاد الراهب الشيخ مكاريوس انعزل القديس نيلوس طلبًا لمزيد من الهدوء في مغارة نائية بعد كنيسة "الختان"، حيث قضى بقية أيام حياته حبيسًا في أصوام وسهر ناميًا في الصلاة الذهنية (القلبية)، والنقاوة مهتمًا بطهارة النفس. وكان يهتم بضروريات عيشته أحد الرهبان المعروفين له الموثوق بهم.

ورقد أخيرًا في قلاية صغيرة بسيطة كان قد بناها داخل المغارة حوالي عام ١٦٥١. ونظرًا لطهارة نفسه وجسده استحق من الله موهبة أن يفوح عطر من مغارته المقدسة.



يلاحظ هنا مغاره القديس نيلوس الميروفليتى وكنيسته الصغيرة

القديس غريغوريوس البيزنطي

عاش خلال القرن الرابع عشر. كان معاصرًا ومرشدًا روحيًا لنظرية الطفولة التي قال بها القديس غريغوريوس بالامس. عاش حياة مقدسة في برية آثوس. لم يتبق من سيرته شيء، ماعدا إشارة مقتضبة في سينكسار الكنيسة الأرثوذكسية الكبير تحت يوم ٦ أبريل / نيسان.

القديس نيكيفوروس الراهب

عاش هذا الأب في مكان منعزل من نفس هذه البرية خلال نفس الفترة تقريبا (القرن الرابع عشر). ويشار إليه في سينكسار شهر مايو / أيار تحت اليوم الرابع منه. وقد ترك إرشادات مكتوبة عن طريقة الصلاة الذهنية (القلبية)، وهذه الإرشادات موجودة في الفيلوكاليا التي جمعها الأب نيكوديموس الأجيوريتى.

القديس أكاكيوس الكافسوكاليفيتي

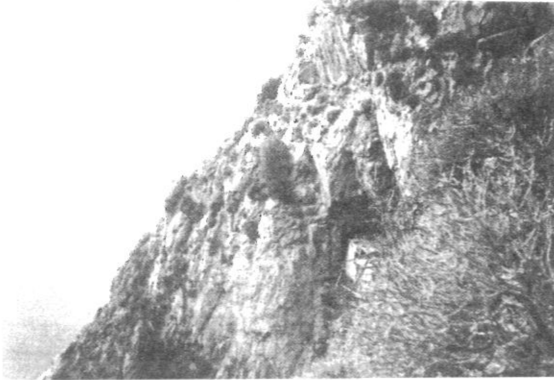
ينحدر هذا القديس من أغرافا. جاء إلى الجبل المقدس ككاهن وبعد أن طاف بعدة أماكن وأديرة استقر، أو اختار له، منسكا في منطقة "كافسوكاليفيا" في كوخ "التجلي"، ثم بعد ذلك انتقل إلى مغارة القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي، والتي بنى عليها تلاميذه كوخ "رقاد

والدة الإله". وبمرور الوقت تجمع حوله آباء وهكذا أسسوا إسقيط الكافسوكاليفيتيين (ساكني الأكواخ الملتهبة).

عاش القديس بأصوام وصلاة مستمرة وسهر غير محتمل ومن خلالها نال من الله مواهب إلهية. رقد يوم ١٢ أبريل / نيسان عام ١٧٣٠. ويُحتفل به رسميًا في كنيستنا كقديس.

القديس ثيودوروس الذي في فيغلا

كان هذا القديس معاصرًا للقديس أكاكيوس. عاش في فيغلا باللافرا الكبرى في قلاية منحدرة داخل مغارة. قضى حياته في قداسة ورقد في قلايته عام ١٧٣٢[١٧]. ولم تعلن قداسته رسميًا حتى اليوم.



مغارة القديس ثيودوروس التي في فيغلا

---

[١٧] وبحسب رواية آخرين رقد عام ١٧٥٠.

الفصل الثاني

(آباء محدثون في برية آثوس)

الشيخ يواقيم المغائري

ينحدر الشيخ يواقيم من الجزيرة الكبرى كريت. أخذ في المعمودية اسم ستاماتيس وكان في حياته في العالم لصًا. وكثيرًا ما كان يدخل في مصادمات مع إداري موطنه، أي الاتراك.

بعد ذلك حدث له حادث وقادته النعمة الإلهية الي الجبل المقدس ليقضي بقيه أيام حياته في الإيمان والنسك والتوبة.

اختار حلبة نسكه في حدود "إسقيط القديسة حنة"، والذي كان عبارة عن مغارة بسيطة أحاطها بصخور ليمنع بها الرياح القوية.

كان يحضر القداسات الإلهية ويتناول كل أحد وكذلك في الأعياد الكبرى في "إسقيط القديسة حنة".

احتمل تجارب كثيرة من الشياطين وتجارب أخرى من الطبيعة ولكنه كان يمجد الله. ويقولون إنه كان لديه موهبة وكانت نهايته مقدسة. رقد نحو نهاية القرن التاسع عشر.

وقد أعلنت الكنيسة الروسية مؤخرًا قداسته.

الشيخ باخوميوس المغائري المتوحد

ذهب الشيخ باخوميوس ذو الأصول السلافية في البداية إلي دير خيلانداري المقدس، حيث أقام هناك عدة سنوات. وإذ كان يرغب في حياة

هادئة أكثر خلوًا من الاهتمام وأكثر نسكًا ذهب إلي أماكن جبل آثوس وأقام هناك في قلاية القديس أثناسيوس الآثوسي[١٨] مع راهب آخر. وهناك لبس الإسكيم الكبير.

كثيرًا ما كان يدخل باستمرار إلي أماكن المنطقة البرية، حيث كان يمارس الصوم والنسك ناميًا في الصلاة الذهنية (القلبية) صانعًا أكواخًا خشبية ومناسك[١٩]. وطلبًا لحياة روحية أصعب وأكثر نسكًا، صعد أعلي من منطقة (كريا نيرا) = (المياه الباردة) نحو جبل آثوس، حيث وجد مغارة كبيرة فقام ببناء قلاية ودرجات خشبية بها. كان يزوره رهبان ذوى أصل سلافي طلبا للمنفعة الروحية بسبب إعجابهم بسيرته النسكية.

في نهاية حياته ترك مغارته بسبب شيخوخته وأمراضه، ورقد في الرب في قلاية ما في منطقة كيراسيا غير الممهدة. ولا تزال مغارته تحمل إلى هذا اليوم اسم "مغارة باخوميوس".

وعاش هو أيضًا خلال القرن التاسع عشر.

---

[١٨] هذه القلاية توجد بين الكافسوكاليفيا وكيراسيا.

[١٩] نستخدم هنا كلمة "مناسك" بمعنى اسم مكان من الفعل تنسك "أي مكان التنسك" (ἀσκητήρια) وليس بمعني "شعائر".

الأب سيرابيون الروسي
ناسك جبل آثوس

كان الأب سيرابيون راهبًا في دير القديس بندلايمون. وإذ كان يجاهد من أجل خلاص نفسه، أتاه شغف ملتهب للهدوء في موضع بري، لكي لا يطيش فكره من اهتمامات حياة الشركة وخدمة الدير وسط عدد غفير من الرهبان ومشغوليات مختلفة. ومن كثرة قراءاته في سير القديسين وكتابات الآباء اشتاق أكثر إلي حياة الوحدة، فلم يستطع أن يبقى أكثر في الدير. وبعد أن أخذ إذن أبيه الروحي مضي من دير الروس وذهب إلي مناطق جبل آثوس.

قبل أن يصعد إلي جبل آثوس، مَرّ بالشيخ كالينيكوس الهدوئي الشهير بالطفولي الحبيس لينال بركته وكذلك إرشاداته. قال له الشيخ كالينيكوس "إن الشيطان ما أن يراك الآن وحيداً سيحاربك بأكثر ضراوة. وأما أنت فلا تجزع، بل صل دائمًا واشعر بوجود المسيح بجانبك. كن دائمًا، كل أيام حياتك، متحدًا بالمسيح، لأنك بالأتحاد معه تستطيع أن تغلب حيل العدو". وإذ نال بركة الشيخ، صعد إلى جبل آثوس حوالي عام ١٩١٢- ١٩١٣م.

وبعد أن وجد مغارة، ليست بعيدة عن البيت الصغير المسمى "باناجيا"، اتخذها مسكنًا له. وكان يحضر ماء من "باناجيا". وذات مرة أثناء مرور راعي خراف من هناك بالقرب منه، قام القديس بوضع ثوب

أسود على باب المغارة حتى لا يظهر. وتنسك هناك ولم يعمل شغل اليد ولا أي شغل آخر. بل كان منشغلاً دائمًا بالصلاة الذهنية (القلبية) ومتأملاً دائمًا في ملكوت المسيح العتيد.

طعامه كان عبارة عن كَسْتَن (أبو فروة) (والتي كان يجففها خلال فصل الشتاء)، ونباتات، وثمر شجر البلوط، وأرْز، وبصلة النباتات، وتوت بري، وأعشاب، وخضروات برية.

وبعد أن قضى هناك عدة سنوات وحده، مجاهدًا في البرية والهدوء بالجهاد الذي هو حسب الله، أعلمه الرب بقرب نهايته، ولذلك نزل إلى الشيخ كالينيكوس الهدوئي الحبيس ليراه للمرة الاخيرة ولينال بركته. وإذ طرق الباب فتح له الشيخ وحالما رآه عرف أنه المتوحد الأب سيرابيون أدخله إلى الداخل بمحبة كبيرة وأخذ يسأله ليعلم كيف قضى أيام حياته في البرية دون أن يرى وجه إنسان. فأجابه الأب سيرابيون:

- "نهارًا وليلاً كانت نفسي ممتلئة من فرح الصلاة الذهنية (القلبية) الذي لا يعبر عنها ورؤية الله. وبالشركة مع الله كان قلبي يتهلل. عشت متأملاً باستمرار في أسرار إلهنا. وكانت نعمته تلازمني نهارًا وليلاً. هذا كله شعرت به خلال فترة حياتي في هدوء. وعندما أتى ذلك النور داخلي وأنار كل ما فيّ، لم تكن لي رغبة أخرى. كان الفردوس حاضرًا. شيء واحد اشتهيته، وهو التناول المقدس. أردت أن أخذ بركتك لأن نهايتي اقتربت ولا أريد أن أمضي من هذا العالم بدون التناول من الأسرار الطاهرة".

صلى الأب سيرابيون ككاهن خديم للأسرار ومعه الشيخ كالينيكوس كمرتل. وبعد القداس الإلهي والتناول من الأسرار الإلهية مضى الراهب الروسي إلى جبل آثوس.

ومنذ ذلك الحين لم يعلم أحد أين ترك الناسك الروسي دائم الذكر عظامه المقدسة.

الشيخ جيراسيموس الكارميليتي

عاش الراهب جيراسيموس، محب الهدوء والصلاة، متنسكًا أعلي قمة الجبل الذي يسمى كارميلي، الذي كان يوجد أعلى كيراسيا. علي قمة هذا الجبل بُنيت منذ سنوات عديدة كنيسة النبي إيليا وقلاية.

قضى جيراسيموس جزء كبيرًا من حياته على هذا الجبل الصخري ناميًا في الصلاة الذهنية (القلبية) ودراسة الكتب المقدسة وكتابات الآباء. تقدم في الفضيلة ونال موهبة الدموع. كان يقظًا جدًا في صلواته وحلوًا وحنونًا كأب في مناقشاته سواء مع الآباء أو مع الزوار الذين كانوا يأتون إليه من أجل المنفعة.

يقولون إنه حدث عدة مرات وهو هناك على جبل كارميلي في الظروف المناخية الصعبة أن ضربته صواعق دون أن تؤذيه لأن الله كان يحرسه.

ولأسباب غير معروفة أوصاه أبوه الروحي أن يترك جبل الكارميلي وبعد أن مَرّ أولا بمنطقة كاروليا انتقل وسكن بعد ذلك في إسقيط اكسينوفونديني في "الإفانجيليزموس" = (البشارة). ولكنه لم يسترح وقفل راجعًا بالقرب من كاروليا، في الأكواخ التي تدعي "خيوتيس"، حيث ظل هناك حتي رقاده.



يلاحظ في الخلف جبل كارميلي

الراهب سيرافيم
(ناسك آخر من جبل آثوس)

كان شابا تقيًا نقيًا وخائف الله من أثينا، وعندما توفي والداه تأمل بُطل العالم فقام ووزع كل ممتلكاته المتنقلة علي الفقراء، أما ممتلكاته الثابتة فقد تركها لموظفيه، وهكذا تحول من عبدٍ للارتباطات الأرضية

إلي حر ومن غني إلى فقير، إذ كانت لديه الرغبة في أن يرفض العالم ويصير راهبًا.

وبعد أن وصل إلى الجبل المقدس، مَرّ أيضاً بالإسقيط الجديد. وهناك حل ضيفًا في كوخ "القديس ديمتريوس" عند الأب نيوفيتوس. وما أن علم الأب نيوفيتوس أن الشاب يرغب في الرهبنة وأنه يحب جدًا حياة الوحدة والهدوء، أخذ يقُصّ عليه أمثلة كثيرة من حياة الآباء القديسين وتعاليمهم. ولكي ما يشعل حماسة أكثر حكى له أيضًا عن المتوحدين غير الظاهرين في جبل آثوس. ولما سمع الشاب هذه الروايات أخذ يترجى الأب أن يصلي لأجله حتى يتنسك هو أيضاً في جبل آثوس. فقال له الأب نيوفيتوس:

- "ابق ههنا حتى تُجرب أولاً لعدة سنوات، وتصير راهبًا ثم بنعمة المسيح تجاهد قانونيًا".

فأطاع الشابُ الشيخَ وظل بالقرب منه لمدة خمس سنوات كعلماني دون أن يعلم أحد غرضه. ثم رسمه الأب نيوفيتوس راهبًا لابسًا إسكيمًا كبيرًا وسماه سيرافيم. ثم صلى لأجله وأعطاه قليلاً من الطعام ورحل الراهب سيرافيم إلى برية آثوس.

بعد ثلاث سنوات في البرية، رغب في أن يرى أباه الشيخ، وأن يزوره ويطلعه على حياته الروحية. وعندما تقابلا في كوخ القديس ديمتريوس، حكى الشاب للشيخ التجارب التي مَرّ بها مجربًا من الشياطين. وبعد أن تناول من الأسرار الطاهرة، مضى إلى مغارته، ملجأه في جبل آثوس.

ثم بعد خمس سنوات أخرى زار الشيخَ نيوفيتوس وتحدثا سويًا. وكشف له الشاب عن جهاده في البرية وكيف أن لديه الرغبة في أن يتناول باستمرار من الأسرار الطاهرة. حينئذ أعطاه الأب نيوفيتوس حُق الأسرار الطاهرة وبعد أن نال بركته رحل الأب سيرافيم الناسك المطيع إلى مغارته وبريته المحبوبة التي صارت الآن مُحَرّزة بالأسرار الطاهرة الإلهية. ومنذ ذلك الحين لم يره الأب نيوفيتوس مرة أخرى. وغير معروف متى رقد في الرب وأين ترك رفاته المقدسة.

الجزء الثاني

الروايات المحفوظة
عن نساك آثوس غير الظاهرين

معظم الروايات المحفوظة عن برية آثوس
(عن نساك عرايا، أو عن اكتشاف مغائر ورفات متوحدين مجهولي الاسم، أو عن انبعاث روائح طيبة أو عن أحداث أخرى غريبة)
نوردها كما هي موصوفة ومحفوظة في سجلات تاريخية وتقاليد شفاهية
وروايات شهود عيان معاصرين

١. عن أوائل الآباء الهدوئيين في آثوس[٢٠]
(من سيرة القديس أثناسيوس الآثوسي)

"بعد أن مضى إلى محبوبه القديم جبل آثوس ومشى فيه وطاف وبحث في كل مكان ولاحظ جمع الرهبان المتنسكين وبحث في سيرهم الصعبة تعجب من مسيرتهم البرية الهادئة وسُرّ وبُنى نفسيًا لنجاحه في مقابلة أناس مثل هؤلاء، بمثل هذه الحرية والحالة التي كان يتمناها منذ فترة. لأن أولئك الآباء الطيبين لم يكن لهم مشغوليات زراعية ولم ينهمكوا في أمور مختلفة، ولم يكن لهم اهتمامات جسدية، ولم يكن لهم جحش ولا حمار ولا كلب، بل بعدما أنشأوا أكواخًا من العشب عاشوا فيها مثل حبساء صيفاً وشتاءً، تلفحهم الشمس ويجمدهم البرد. وإن احتاجوا ذات مرة إلى نقل متاع إلى موضع ما، كانوا يقومون بنقله بأنفسهم، بأن يضعوا المراتب على أكتافهم ويحملوها إلى حيثما أرادوا. وكان طعامهم المكسرات[٢١] (فروع الأعشاب البرية) وثمار أشجار متنوعة".

---

[٢٠] عن كتاب "البار أثناسيوس الآثوسي"، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠، (الراهب بولس اللافريوتي).

[٢١] يرى آخرون أن المكسرات هذه يقصد بها ثمار شجرة البلوط.

٢. الناسك الغريب الطواف

(من سيرة القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي)[٢٢]

"كان القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي يقول عن القديس حامل الإله الأب نيفون الآثوسي إنه كان يوجد فوق كوخه مغارة صغيرة وذات يوم دخل المغارة لينام. وعندما استيقظ جلس فرأى أمام المغارة امرأة متزينة، وإذ عرف حيلة عدو الخير رشم ذاته ثلاث مرات بإشارة الصليب المكرم فمضى الشيطان واختفى.

وقال أيضًا إنه ذات يوم، وكان الاثنين، جاء راهب وجلس أمام كوخي ولم أره قط بل كانت هذه المرة الأولى، كان نحيفًا جدًا من النسك الشديد. ثم جاء صباح اليوم التالي (الثلاثاء) وتحدث معي، وإذ لم يكن لدينا خبز أو أي شيء آخر لنأكله خرج وجلس فوق الكوخ حتى الخميس صباحًا، ثم جاء مرة أخرى وتحدثنا. ثم خرج وجلس كالمرة السابقة في نفس المكان حتى يوم السبت صباحًا. حينئذ خرجت أيضًا من كوخي للترويح عن جسدي ومنذ ذلك الحين لم أره ثانية.

[٢٢] سينكسار الكنيسة الأرثوذكسية الكبير، ١٣ من شهر يناير / كانون الثاني، الجزء الأول، الطبعة الأولى، أثينا ١٩٥٠، (الراهب فيكتور ماتثيوس).

٣. النساك السبعة غير المنظورين في جبل آثوس [٢٣]

في العام ١٨٣٥، أي بعد سنوات من انسحاب الأتراك من الجبل المقدس، كان بعض المسلحون[٢٤] يقومون بصيد تيوس برية في جبل آثوس.

وبينما كان أحدهم يسير في موضع صخري غير مطروق رأى أمامه في مغارة ناسكًا شيخًا غير معروف، عريانًا متوحدًا. وبعد أن تبادلا التحية، سأله الناسك عما جرى في الجبل المقدس. فأجابه الرجل المسلح:

- "بمعونة الفائقة القداسة، نحمد الله أن انسحب الأتراك غير المؤمنين من الجبل المقدس، وبعد الثورة اليونانية أتى إلى هنا في الجبل المقدس انتداب تركي".

فلما سمع الناسك هذا الكلام قال للرجل المسلح:

- "أي أتراك؟ وأية ثورة؟".

قال له الرجل المسلح:

- "ألم تسمع شيئاً، طوال هذه السنوات، عن أنه استلزم سفك دم يونانيين كثيرين حتى تأتى الحرية؟

قال له الناسك:

---

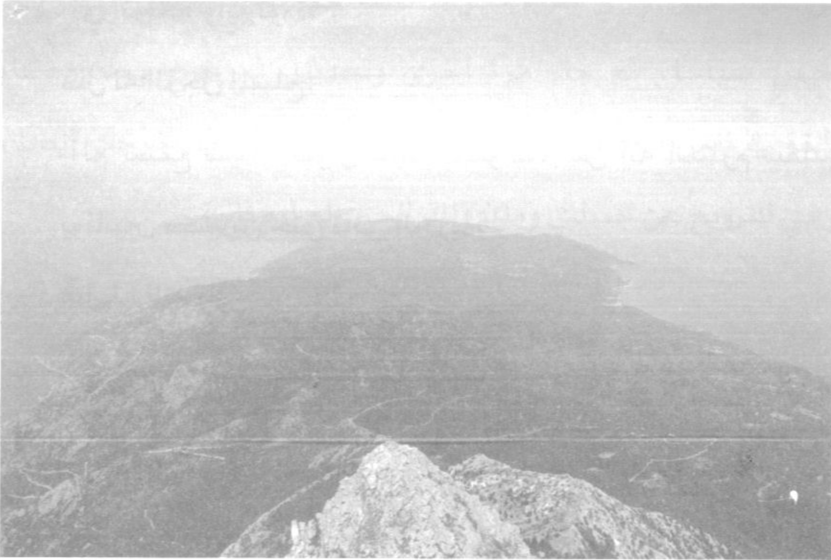
[٢٣] "سير رهبان جبل آثوس خلال القرن التاسع عشر"، إصدار دير النساء المقدس بشارة العذراء، أورميليا ١٩٩٥.

[٢٤] Σερδάρηδες = كلمة تركية يقصد بها هنا مواطنون حراس (مسيحيون مسلحون) للجبل المقدس وكان لهم زي تقليدي.

- "لم نسمع شيئاً من هذا. نحن هنا سبعة ولم نذهب إلى أي مكان آخر، نحن نقيم هنا".

تعجب الرجل المسلح من جهل الناسك بأحداث الثورة اليونانية وأنهم سبعة وأنهم لم يذهبوا إلى مكان آخر، ثم عندما ذهب إلى إسقيط القديسة حنة حكى ما رآه للرهبان والشيوخ هناك.

حينئذ تعجب هؤلاء أيضًا لهذه الأخبار وإذ تجمع بعض الآباء وإن كانوا متقدمين في السن بدأوا في المسير كفريق واحد إلى جبل آثوس. ورغم أنهم فتشوا في تلك المناطق الصخرية غير المأهولة، التي أظهرها لهم الرجل المسلح، بدا من المستحيل العثور على ذلك الناسك المجهول ولا المغارة التي كان يقف مقابلها ولا واحد من السبعة الذين أشار إليهم ذلك الناسك الغامض المجهول في حديثه مع الرجل المسلح.



آثوس

٤. رؤيا وفواح عطر في منطقة "السيد إشعياء"
(من سيرة القديس الشهيد الجديد قسطنطينوس الذي من الآجاريين)[٢٥]

قبل أن يعتمد القديس قسطنطينوس ويصير مسيحيًا، كان تركيًا مسلمًا. وبعد أن استنار بالله وآمن بالمسيح جاء إلى الجبل المقدس طالبًا أن يعتمد، الأمر الذي تم أخيرًا بعد العديد من الصعوبات. بعد هذا ذهب إلى مناطق كيدونييس في آسيا الصغرى، واعترف بالمسيح الإله الحقيقي. هناك قاسى عذابات كثيرة وعقوبات من أقرانه الأتراك، أُرسل بعد ذلك إلى القسطنطينية. وبعد أن اعترف هناك بالمسيح، حُكم عليه أخيرًا بالموت شنقًا. ويحتفل بتذكاره يوم ٢ يوليو / تموز.

وذات مرة، عندما كان القديس متواجدًا في الجبل المقدس، قبل أن يعتمد بقليل، ذهب من إسقيط الكافسوكاليفيتيين إلى دير اللافرا الكبرى. وعندما وصل هناك في المنطقة التي يقال لها "السيد إشعياء"، حيث توجد أشجار عالية جدًا، رأى القديس أعلى قمم هذه الأشجار العالية صلبانًا. فسقط على الأرض وسجد قائلاً:

- "يا رب ارحم!"، ما كل هذه الصلبان الكثيرة هنا!. واشتم رائحة عطرة فائقة.

---

[٢٥] سينكسار الكنيسة الأرثوذكسية الكبير، ٢ من شهر يونيو / حزيران، الجزء السادس، الطبعة الرابعة، أثينا ١٩٧٠، (الراهب فيكتور ماتثيوس).

لا شك كانت هذه الظاهرة إعلانًا ورؤيا من الله، الذي يعلن بوضوح ويشهد لجموع القديسين النُسّاك الذين رقدوا في هذا المكان، الذي توجد فيه قلاية الثالوث القدوس في "السيد إشعياء" أي (مقعد اللافرا الكبرى). لأن الصلبان تشير إلى منامة القديسين وقبورهم، أما الأشجار العالية فتشير إلى سيرتهم السامية، وقداسة هؤلاء الرجال وخصالهم، الذين رقدوا في هذا الموضع.



يلاحظ في الدائرة قلاية الثالوث القدوس التي تدعى السيد إشعياء مقعد اللافرا الكبرى

٥. "ياناكوبولا" والنُساك غير المنظورين

في منطقة برية تقريبًا لا يمكن الوصول إليها توجد بين طرق فيغلا و"القديس نيلوس"، توجد قلاية برية مبنية تُسمى "ياناّكوبولا". وتُكرم في

عيد "بشارة العذراء". لم تُسكن طيلة الثلاثين عاماً الأخيرة بل مهجورة وخربة. وآخر شيخ سكنها كان يدعى غابرييل.



منسك ياناكوبولا

في قلاية "يانّاكوبولا"، أُشيع حوالى القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر، أن سبعة نُسّاك مجهولين كانوا يأتون على فتراتٍ ويتناولون الأسرار الطاهرة من يد شيخ بسيط فاضل تقي اسمه الأب خريستوفوروس ثم يمضون إلى مخابئهم الخفية.



منطقة موحشة متاخمة لمنسك ياناكوبولا

٦. مغارة الثلاث رفات[٢٦]

في منطقة خائيرى السفلى، قبل مجيء الراهب باناريتوس بزمن طويل، كان يعيش هناك راهِب من بلاد مولدلفيا يُدعى جرمانوس. وكان له تلميذ اسمه هيلاريون. وكان هؤلاء النُسّاك، متى أرادوا التناول من

---

[٢٦] هذه الرواية مأخوذة عن كتاب "سير رهبان جبل آثوس خلال القرن التاسع عشر"، إصدار دير النساء المقدس بشارة العذراء، أورميليا ١٩٩٥.

الأسرار الطاهرة، يذهبون إلى إسقيط الكافسوكاليفيتيين أو الإسقيط الروماني (نسبة إلى رومانيا) الذي للمكرم "يوحنا المعمدان" في فيغلا.

وذات مرة، عندما ذهب الشيخ جرمانوس إلى الكافسوكاليفيتيين ليتناول من الأسرار الطاهرة، في مكان بالقرب من "القديس نيلوس"، اشتم رائحة ذكية جدًا، كانت تخرج من بعض الصخور. فوضع في ذهنه أنه عند عودته من الكافسوكاليفيا يبحث أكثر عن مصدر هذه الرائحة لكي لا يتأخر عن القداس الإلهي.

وبينما هو راجع من الكافسوكاليفيا حاد عن الطريق الرئيسي وذهب حيث اشتم سابقًا الرائحة العطرة التي كانت في بعض الحجارة المبنية. وعندما قام بهدم الحجارة رأى بداخلها مغارة ولاحظ وجود ثلاث رفات لرهبان غير معروفين. ودون أن يمس شيئًا بسوء بنى الحجارة مرة أخرى مؤقتًا ومضى إلى كوخه في خائيرى.

بعد ذلك كشف لبعض الرهبان كيف أنه وجد ثلاث رفات وكيف كانت تنبعث من المغارة رائحة عطرة جميلة. وفي نومه[27] رأى الشيخ جرمانوس ثلاثة نُسّاك يقولون له:

- "نحن الثلاثة نقيم هنا في المغارة التي وجدتها. لا تضرنا! وقل للآخرين أن لا يضرونا. لا تقلقنا! نحن ثلاثة وكنا نعيش هنا. ولا نريد أن يضرنا أحد".

[27] قام آخرون بتسجيل هذه الرواية ولكنهم يؤكدون أن الثلاث نُسّاك المجهولين كلموه في مكان وليس في حلم ليلاً.

هذا ما قاله النُسّاك المجهولون للشيخ جرمانوس. وهكذا احتفظ بالسر أكثر ولم يظهر المغارة لأحد، إلا لتلميذه هيلاريون.

ورقد الشيخ جرمانوس حوالى عام ١٨٢٠.



منطقة صخرية بين خائيرى وكافسوكاليفيا

٧. اكتشاف رفات مقدسة في منطقة خائيرى السفلى[٢٨]

في "خائيرى" السفلى، وبالقرب من موضع يقال له "برذيكى"، كان يعيش راهِب اسمه باناريتوس. وكان هذا الموضع يوجد بين الكافسوكاليفيا ودير اللافرا الكبرى.

---

[٢٨] توجد إشارة إلى هذه الرواية في كتابي "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، و"سينكسار الكنيسة الأرثوذكسية الكبير:، تحت يوم ٩ من شهر يوليو / تموز.

وذات مرة وهو يحفر في حديقته، صادف فأسه حجارةٌ كبيرةٌ. وفي محاولته لاستخراج الحجارة، أدرك أنها لوحة صخرية كبيرة. وعندما نجح أخيرًا في استخراجها، اكتشف أنه كان قبرًا وداخله رفات جسم كامل وكانت تفوح منه رائحة طيب عطرة. فأغلق القبر مؤقتًا، ولأن الوقت كان مساءً، صلى صلاة المساء واستراح وفي ذهنه أن يذهب صباح اليوم التالي إلى دير اللافرا الكبرى ليعلم الرهبان هناك بخبر اكتشاف الرفات المقدسة، وبمصاحبة الرهبان يقومون بنقل رفات القديس المجهول إلى الدير.

في الليل، وهو نائم، ظهر له ناسك قديس ووبخه بشدة لكي يخفي بعناية رفاته المقدسة ولا يكشف شيئاً لأحد.

وقال له الشيخ صاحب الرفات:

- "لقد جاهدت في هذا المكان لمدة نصف قرن مفضلاً التواضع وعدم الظهور وتأتي أنت لتشهر بي؟ اخفني سريعًا هناك حيث وجدتني".

وعندما استيقظ الشيخ باناريتوس مرتعبًا وخائفًا من توبيخ القديس المجهول، ذهب في الحال وأخفى جيدًا الرفات المقدسة في الموضع الذي وجده فيه دون أن يخبر أحدًا بشيء.

بعد ذلك انتقل الشيخ باناريتوس، في أواخر أيامه، إلى إسقيط الكافسوكاليفيا. وقبل رقاده بقليل كشف للآباء هناك أنه وَجَدَ ذات مرة رفات مقدسة وهو يحفر، وكيف أنه بعد توبيخ القديس المجهول صاحب الرفات، أخفاه مرة أخرى في الأرض، دون أن يكشف بالضبط مكان القبر.

وهناك رواية أخرى يقول بها الرهبان شيوخ المنطقة، وهي كالتالي:

"في نفس هذا المكان، في خائيرى السفلى، في المكان الذي يقال له "صليب العِطْر" اكتشف راعي ماعز رفات ناسك غير معروف. بعد ذلك ذهب وكشف أمر الرفات في اللافرا الكبرى وأتوا إلى الموضع بصحبة آباء اللافرا بالمراوح[٢٩]،والمباخر لينقلوه إلى اللافرا، ولكنهم لم يجدوا شيئًا مهما بحثوا في المكان الذي أظهره لهم راعي الماعز. وبدا أن القبر قد اختفى.

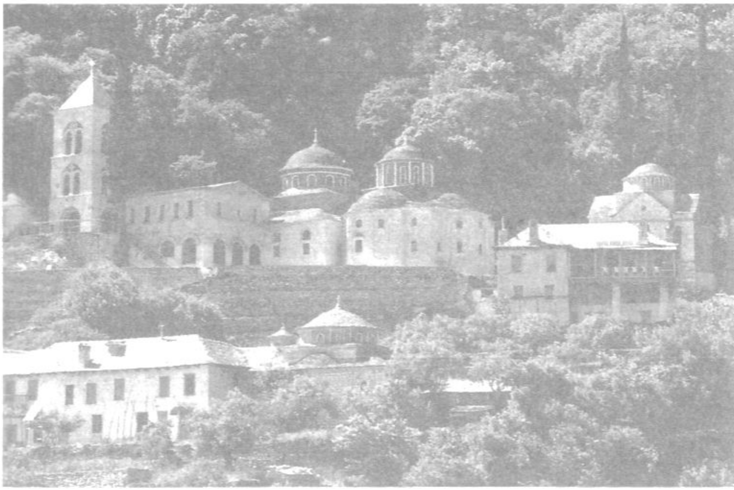
٨. الشيخ العريان الغامض[٣٠]

خلال القرن التاسع عشر أتى شاب تقي من بلغاريا، اسمه ياكوبس، إلى الجبل المقدس ليصير راهبًا. وإذ وجد شيخًا حازمًا في الكافسوكاليفيا ظل بجواره. ولأنه كان مجاهدًا تقيًا، فكان من عادته أن يذهب إلى صحن الكنيسة الرئيسية في الإسقيط ويصلي هناك.

---

[٢٩] رايات مقدسة ذات أقراص معدنية مستديرة تُرسم عليها السيرافيم.

[٣٠] هذه الرواية مأخوذة عن كتاب "سير رهبان جبل آثوس خلال القرن التاسع عشر"، إصدار دير النساء المقدس بشارة العذراء، أورميليا ١٩٩٥.



الكنيسةالرئيسية في إسقيط كافسوكاليفيا

وذات ليلة، والقمر في منتصفه، وهو يصلي في زاوية من صحن الكنيسة رأى شيخًا عريانًا يدخل الكنيسة، وبعد أن صلى الشيخُ رشم ذاته بعلامة الصليب ثم انفتح باب الكنيسة. وبعد أن سجد في الوسط صلى وخرج بكل وقار من الكنيسة ورشم الباب مرة أخرى، فأقفل من ذاته.

بعد ذلك سارَ في طريقه وصعد نحو كيراسيا. وإذ كان طالب الرهبنة البلغاري ياكوبس يريد أن يعرف أين يقيم، تبعه. وعندما تقدم إلى كيراسيا وتقدم نحو الصليب، عرج نحو جبل آثوس. وعندما رأى ياكوبوس أنه يصعد نحو جبل آثوس، جرى وأدركه وسقط عند قدميه طالباً صلواته وترجاه أن يبقى بالقرب منه.

ولكن الشيخ المجهول قال له:

- "لا يستطيع إنسان أن يعيش هنا بدون نعمة الله ومعونته. ارجع إلى أبيك الشيخ واخضع له واستعد، لأنك سوف تترك العالم في غضون أيام قليلة".

فعاد طالب الرهبنة ياكوبوس إلى أبيه الشيخ في الكافسوكاليفيا وقَصّ عليه ما رآه وما سمعه من الناسك الغامض، واستعد وبعد ثلاثة أسابيع مضى إلى المسيح مشتهاه.

٩. الأب الروحي غريغوريس والنساك السريون

كان الشيخ خريسوستوموس الكاتوناكيوتي، الذي مرض أواخر أيامه في اللافرا الكبرى ورقد عام ٢٠٠٢ عن ٨٩ عامًا، كان يؤمن بوجود ما يُطلق عليه اسم "النُسّاك غير المرئيين" وعندما سألته:

- "وكيف يعيشون يا أبي هكذا بلا طعام وبلا كسوى وبلا مأوى؟".

أجاب القديس، بعد أن أشار بإصبعه نحو السماء:

- "الله يعلم، وحيثما أراد الله تُقهر قوانين الطبيعة"[٣١].

قال لي إنه اشتم عدة مرات رائحة عطرة جدًا في مناطق كاتوناكيا البرية عندما كان يذهب ليقطع أخشابًا. وسمع عدة مرات روايات عن متوحدين، من بينها الآتي:

---

[٣١] هذا القول للقديس يوحنا ذهبي الفم (المترجم).

"نحو نهاية القرن التاسع عشر كان يعيش في إسقيط حنة الصغير في كوخ "رقاد والدة الإله"، الأب الروحي الشهير غريغوريوس. وكان يذهب إليه بعض المتوحدين سرًا، فكان يدخلهم من باب صغير خلف كوخه ويناولهم وبعد الانتهاء من القداس الإلهي يمضون مرة أخرى سرًا من نفس الباب. ولكنهم قالوا له:

- "احذر ألا تظهرنا لأحد!".

وذات مرة، كان هناك احتفال رقاد والدة الإله الذي يُحتفل به في كوخه. فذهب بعض الآباء من إسقيط القديسة حنة الصغير وإسقيطها الكبير وكاتوناكيا. وبعد القداس الإلهي ذهبوا إلى مائدة الطعام. وهناك، دار حوار حول المتوحدين غير الظاهرين أو غير المرئيين. فقال البعض إنهم موجودون والبعض الآخر إنهم لا يؤمنون بوجودهم. حينئذ انبرى الشيخ الروحاني الأب غريغوريس وبأسلوب متأدب و قال لهم:

- "نعم يا آبائي، يوجد نُسّاك غير مرئيين، ولا تشُكّوا في هذا. وكان لي الشرف أن أناولهم من الأسرار الطاهرة".

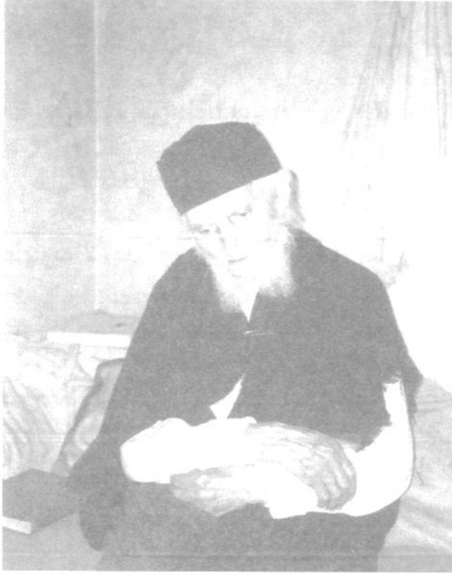
ومنذ أن شهد لهم وأظهر سرهم، لم يذهب هؤلاء النُسّاك مرة أخرى إلى كوخ الأب غريغوريس واختفوا تمامًا من المنطقة ولم يرهم مرة أخرى".

وكان الشيخ المغبوط خريسوستوموس قد قال لي قبل ثلاثة أعوام[٣٢] إنه خلال الفترة الأخيرة كان النُسّاك غير المرئيين يترددون على مناطق

---

[٣٢] أي عام ٢٠٠٠.

اللافرا مثل "كريا نيرا"، و"ليفكا"، و"السيد إشعياء"، وفي الأماكن القريبة منها.



الشيخ خريسوستوموس الكاتوناكيوتي

وكان الفاضل الأب يوليانوس (روماني الجنس)، الأب الروحي لإسقيط المعمدان المكرم، معتادًا في الطقس الجميل أن يذهب على قدميه من المصرف إلى نبع الإسقيط بالقرب من قلاية "السيد إشعياء". ويعود ثانية إلى الإسقيط قبل الغروب. وهذا كان يحدث مساء. ويقال إن هذا الأب الروحي قد سمع عدة مرات محادثات خفية دون أن يرى أو يدرك أحدًا في ذلك المكان.



الشيخ الأب يوليانوس راجعًا من ممشى

١٠. المتوحدون الثلاثة[٣٣]

بخلاف رواية الشيخ خريسوستوموس الكاتوناكيوتي عن الأب غريغوريس الذي من إسقيط القديسة حنة الصغير والتي أشرت إليها سابقًا، توجد رواية أخرى مختلفة بعض الشيء والتي رواها عدة مرات الشيخ الراقد غابرييل رئيس دير ديونيسيوس والتي تجرى على النحو التالي:

"في أواخر أيامه كان الشيخ الأب غريغوريس نفسه يقُصّ الموقف الحالي المتعلق بما قلنا وهو أنه في زماننا لا يوجد بشر مجاهدون كما كان الآباء القدامى".

[٣٣] عن كتاب "من بستان جدي"، إصدار "بيريفولي باناجياس"، ١٩٩٢.

وقال: "وبينما أنا أصلي القداس الإلهي يوم الخميس العظيم ونحو نهاية القداس ظهر في كنيسة الكوخ راهب شاب يحمل قنديلاً مضاء وعندما دخل إلى العتبة المقدسة قال لي:

- "لا تُنْهِ التناول كله، أيها الأب الروحاني، لأنه يجب أن تأتى لتُناوِل ثلاثة أخوة يسكنون هنا أعلى، ولهذا أتيت لأخذك".

أطعت دون أن أسأل كثيراً، وبعد أن سار ذلك أمامي تبعته وأنا أحمل الأسرار المقدسة، وبعد قليل، رغم صعودي المفاجئ وشيخوختي الطاعنة، وصلنا إلى مغارة متسعة حيث كان ينتظرنا ثلاثة أخوة رهبان.

تناولوا في التو وبعد أن شكروني قالوا لي بالحرف:

- "تعال، أيها الأب القديس، العام القادم يوم الخميس العظيم لتُناوِلَنا، ولكن لا تقل لأحد شيئاً عن هذا ولا عما رأيت هنا".

وبالفعل لم أسأل شيئاً عما رأيت أو سمعت، وبصحبة الشاب أخذنا طريق النزول وبعد ذلك صنع الشاب ميطانية وقَبّلَ حُق القربان المقدس وفارقني في الطريق قائلاً لي إنه سوف يعود. وبعد أن سرت قليلاً، التفت لأراه وهو يغادر، ولكنه اختفى. هالني كل هذا، ولكنى حفظت وصيتهم ولم أقل لأحد شيئًا.

ولكن ماذا حدث؟ كان من عادة إسقيطنا كل سبت لعازار أن يجتمع في الكنيسة الرئيسية كل الآباء من أجل سهرانية أحد الشعانين كما هو مكتوب "اليوم نعمة الروح القُدُس تجمعنا". وفي صباح الأحد كالعادة صعد كل الآباء مقدسي القرابين وشيوخ الأكواخ إلى المجمع

لأجل وليمة المحبة ثم مضى كل واحد إلى كوخه. هناك، دار حديث روحي، فقال أحد المجتمعين:

- "كيف سقطت الحياة الرهبانية اليوم؟ فلا يوجد آباء متوحدون كما كان قديمًا".

حينئذ أجبت أنا باندفاع وعدم حذر وقلت:

- "بل يوجد حتى اليوم بنعمة المسيح".

وعندما سألوني أين، قلت: "هناك فوق في جبل إيمونا (جبل قبل آثوس)". وأشرت إليهم بيدي.

تعجب الجميع من اعترافي ولكن لم يسألوني أكثر لأنهم كانوا متعبين من سهرانية الليل ومنهكين من الصوم الأربعيني المقدس وكانوا يستعدون للرحيل. مضيت أنا أيضًا إلى منسكي متفكرًا في ما أعلنته.

وفي قداس الخميس العظيم ظهر ثانية ذلك الراهب الشاب وبإشارة شرح لي غرضه. وعندما انتهيت من القداس الإلهي أخذت القدسات وتبعته حتى وصلنا مرة أخرى إلى المغارة وبعد أن تناولوا من الأسرار الطاهرة قال لي أكبرهم:

- "لماذا أيها الأب القديس تعديت وصيتنا وأظهرتنا للأخوة ؟"

أما أنا فلم أجب.

- "لك عليك"، قال لي، "ولكن من أجل تهاونك هذا، لا تعد تجيء إلى هنا العام القادم بالأسرار الطاهرة، وإن جئت فستجدنا كما

يريد الله كلي القداسة، ولكن نطلب إليك ألا تكشفنا مرة أخرى".

مضيت مندهشًا من وجوهم الغريبة وكيف علموا بما قلته في كنيسة الإسقيط الرئيسية، فأدركت في النهاية أنهم رجال قديسون.

العام التالي أخذت قربانًا وماء مقدسًا وصعدت بجهد جهيد إلى المغارة فوجدت الآباء الثلاثة متوفين. أما الرابع فكان ملاك الرب الذي كان يخدمهم. كانوا ملقين على ظهورهم على الأرض وشكلهم هادئ وأياديهم على شكل صلبان نحو صدورهم. انحنيت وقبلت أيديهم وجباهم وكما استشفيت من جفاف رفاتهم المقدسة، أنهم كانوا قد مضوا إلى المساكن الأبدية في نفس يوم الخميس العظيم، أي أنهم كانوا قد تناولوا من الأسرار الإلهية.

١١. القديسون العرايا في "كريا نيرا"[٣٤]

توجد رواية أخرى بخصوص الأب غريغوريوس والمتوحدين القديسين. يشار في تقليد محلي لمنطقة إسقيط القديسة حنة الصغير وإسقيطها الكبير وأديرة كاتوناكيا أن الشيخ الأب غريغوريس كان قد أعطى التناول مرة واحدة في العام لقديسين نُسّاك عرايا بمنطقة "كريا

---

[٣٤] مقتطفات من "خدمة صلوات الزنار المقدس"، إصدار كوخ المعمدان المكرم والقديسة حنة، الجبل المقدس، ١٩٨١.

نيرا" التي توجد بين كيراسيا وخائيرى في اللافرا. ويكشف هذا الجزءُ هنا السردَ التاريخي بلغة فصحى (كاثاريفوسا) هكذا:

"أُخُوتُنا المقدسة، في كوخ "المكرم يوحنا المعمدان"، من تواضعها لخلافة الرجال القديسين والآباء ونظامهم، هؤلاء الرهبان الذين تنسكوا فيه والذين كان من بينهم أيضًا الراهِب القديس غريغوريس الذي خدم النُسّاك العرايا في منطقة اللافرا الكبرى "كريا نيرا"، وكان يعطيهم من الأسرار الإلهية مرة في العام، والذي انعزل بعد ذلك في كوخ "رقاد العذراء" و"إسقيط القديسة حنة الصغير". هذه الأخوة المقدسة، التي يحركها دافع مقدس ألا وهو رفعة قداسة هؤلاء الرجال والتي تهدف إلى أن ترد لهم التكريم الذي يستحقونه، بدلاً من تقديم رائحة بخور عطرة، تتقدم إلى إصدار هذه الخدمة التي تؤكد عظمة الزنار المقدس الذي لسيدتنا والدة الإله دائمة البتولية وعجائبه.



منطقه كريا نيرا

فأولئك الآباء خالدو الذكر، محبو الله، خدام المسيح، يطلبون ويتشفعون ليلاً ونهارًا بشفاعة سيدتنا لكي لا نقع في خطية فنفقد محبتنا وعلاقتنا بالله. لأن سيدتنا قد وعدت منذ البداية آباء الجبل المقدس أنها سوف تكون لهم شفيعة ومحاربة ومُطْعِمَة ومدبرة وطبيبة وراعية وأمًا، وكل ما وعدت أن تكونه بالنسبة لهم".

وتوجد بخصوص هؤلاء النُسّاك العرايا في "كريا نيرا" العديد من التقاليد أو الشهادات، التي طواها النسيان والزمن المخرب (إذ قد رقد في الرب هؤلاء الشهود)، والقليل منها فقط هو الذي تبقى. فحول منطقة "كريا نيرا"، من حيث تنبع هذه المياه الباردة حتى تصب في بحر كارافوستاسي، عاش على فترات مختلفة، منذ بداية الحياة الرهبانية لآثوس حتى أيامنا هذه، جمع من هؤلاء النُسّاك القديسين المجهولين والمعروفين، سواء في مغائر أو في قلالي صغيرة أو في أكواخ من الفروع وأوراق الشجار البرية[٣٥]. هناك عاش "نسور" برية آثوس خلال تاريخهم النسكي الطويل كغرباء ونزلاء، كمنفيين بإرادتهم، "في عفة، في صلاة، في سهر، في كل فضيلة"، لكي ما يطهروا أنفسهم من أوساخ الأهواء ويحضروها إلى الكمال والقداسة. لكي يحفظوا نقاوة "على صورته ومثاله" (تك ١: ٢٧)، فيصيروا "أبناء الله" و"أبناء العلي". وهكذا

---

[٣٥] تشير معلومات مدونة إلى أن الراهب الأب غريغوريوس عاش فترة كبيرة في منسك "القديس أرتميوس"، الذي يوجد في منطقة أعلى من "كريا نيرا". ويبدو أنه كان يناول هناك في بادئ الأمر النُسّاك العرايا من الأسرار الطاهرة.

استطاعوا بنعمة الله أن يغلبوا في معارك كثيرة خصمهم العنيد المعادي لكل الجنس البشري، "الحية القديمة" وأن يظفروا به ظفرًا كليًا كما يقول الكتاب: "فَسَارُوا فِي بَرِّيَّةٍ لاَ سَاكِنَ بِهَا، وَضَرَبُوا أَخْبِيَتَهُمْ فِي أَرْضٍ قَفْرَةٍ، وَقَاوَمُوا مُحَارِبِيهِمْ، وَدَافَعُوا أَعْدَاءَهُمْ" (حكمة سليمان ١١: ١- ٣).

١٢. مغارة التبريكات

حدث في العام ١٩٠٠ تقريبًا، برواية شيخ المنطقة، أنه كان يعيش في قلاية القديس بطرس الآثوسي شيخ وتلميذه.

وحدث صباح يوم أحد أن دعا الشيخ تلميذه وقال له إنه مريض ولن يستطيع أن يصلي معه الخدمة وقال له الشيخ أيضًا:

- احضر لي قربانًا وقليلاً من ماء مقدس وأوقد قناديل الكنيسة واذهب حيث تريد واسترح واقرأ خدمتك.

فبعد أن نال التلميذ بركة الشيخ أتاه فكر ورغبة بأن يذهب إلى مغارة ليست بعيدة عن قلايتهم غربًا ليقوم بخدمته هناك.

وعندما اقترب وصعد إلى المغارة سمع هناك تراتيل حلوة، وعندما دخل المغارة رأى حوالي ١٠ – ١٢ راهبًا مجهولين كانوا يسبحون في تلك الساعة تبريكات القيامة والتي، بحسب طقس الكنيسة، تقول:



المنسك ، قلاية القديس بطرس الآثوسي

مُباركٌ أنتَ يا ربُّ علِّمني حُقوقَك جمعُ الملائِكةِ انذهَلَ مُتحيّرًا، عِندَ مُشاهدَتِهِ إيّاكَ محسوبًا بينَ الأمواتِ أيُّها المُخلِّص، وداحِضًا قوّةَ الموت، ومُنهِضًا آدمَ معَك، ومُعتِقًا إيّانا مِنَ الجحيمِ كافّةً .

مُباركٌ أنتَ يا ربُّ علِّمني حُقوقَك الملاكُ اللامعُ عِندَ القبرِ، تفوّهَ نحوَ حامِلاتِ الطّيبِ قائلاً :لِمَ تمزُجنَ الطّيوبَ بالدُّموعِ بترَثٍّ يا تِلميذات؟ فانظُرنَ اللحدَ وافرحنَ، لأنّ المُخلِّصَ قد قامَ مِنَ القبرِ ناهِضًا .

مُباركٌ أنتَ يا ربُّ علِّمني حُقوقَك إنّ حامِلاتِ الطّيبِ، سحَرًا جدًّا، سارَعنَ إلى قبرِكَ نائِحاتٍ، إلا أنّ الملاكَ وَقفَ بهِنّ وقالَ لهُنّ :زمانُ النّوحِ قد كفّ وبطَلَ فلا تبكينَ، بل بشّرنَ الرّسلَ بالقِيامَة .

مُباركٌ أنتَ يا ربُّ علّمني حُقوقك إنّ النِّسوةَ حامِلاتِ الطّيبِ، قَد أَقبَلنَ بِالحَنوطِ إلى قَبرِكَ أيُّها المُخلِّصُ، فَسَمِعنَ مَلاكًا مُتنغِّمًا نَحوهُنّ قائِلاً :لِمَ تَحسِبنَ الحَيّ مَعَ المَوتى؟ فبِما أنّهُ إلهٌ قَد قامَ مِنَ القَبرِ ناهِضًا .

المَجدُ لِلآبِ والابنِ والرّوحِ القُدُس، نَسجُدُ لِلآبِ وَلابنِهِ وَلِروحِ قُدسِهِ، ثالوثًا قُدّوسًا بِجَوهرٍ واحِدٍ، صارِخينَ مَعَ السّارافيم :قُدّوسٌ قُدّوسٌ قُدّوسٌ أنتَ يا رَبّ !الآنَ وَكُلّ أوانٍ وَإلى دَهرِ الدّاهِرينَ، آمين .

أَيّتُها العَذراءُ، لَقَد وَلَدتِ مُعطيَ الحَياةِ، وَأنقَذتِ آدَمَ مِنَ الخَطيئَةِ، وَمَنَحتِ حَوّاءَ الفَرَحَ عِوَضَ الحُزن، لَكِنّ الإلهَ والإنسانَ المُتَجَسِّدَ مِنكِ، أَرشَدَهُما إلى الحَياةِ التي قَد تَهَوّرا مِنها .

هَلِّلويا هَلِّلويا هَلِّلويا، المَجدُ لَكَ يا الله. (ثلاث مرات).

هذه هي التبريكات التي كانوا يرتلونها باللحن الأول بنغمة شجية ويقظة نحو الله. ثم اقترحوا أن يشترك التلميذ أيضًا معهم في هذه الخدمة المقدسة.

وعندما انتهوا من خدمة صلاة السحر دعا التلميذ أولئك الرهبان المجهولين إلى قلاية القديس بطرس الآثوسي، فقالوا له:

- اذهب أنت وأعد لنا مائدة وسوف نأتي.



مدخل مغارة التبريكات

فمضى التلميذ إلى القلاية وأعد لهم مائدة وانتظر طويلاً ولكن لم يأتوا، ففكر أن يذهب إلى المغارة ليرى لماذا تأخروا هكذا، وعندما ذهب إلى هناك لم يجد أحدًا من أولئك الرهبان المجهولين.

١٣. "اتبعنا"

بحسب رواية نفس هذا الأب الناسك (وآخرين من منطقة كاتوناكيون)، كان يعيش حوالي عام ١٩٠٥ في دير القديس باسيلوس أو

في منسك بالقرب منه تلميذ اسمه أرسينيوس مع أبيه الشيخ الذي كان يدعى ثيوفيلاكتوس.

وحدث أن تواجد هذا التلميذ في الطريق المؤدي من خائيري إلى "القديس نيلوس"، وعلى وجه التحديد في المنطقة التي تفصل الطريق الآخر الصغير الصاعد إلى قلاية القديس بطرس الآثوسي. في هذا المكان قابل التلميذ أحد عشر راهبًا. وتكلم معهم قليلاً فقالوا له "إنهم كانوا إجماليًا اثنى عشر ناسكًا وقد رقد منهم واحد مؤخرًا فصاروا أحد عشر"، وقالوا له أيضا "اتبعنا لنصير اثنى عشر مرة أخرى". فسألهم التلميذ أين يقيمون، ولكنهم لم يقولوا له عن مكانهم، قالوا له "فقط اتبعنا وسوف تعلم أين نقيم". تردد التلميذ ولم يتبعهم، أما هم فقد أكملوا طريقهم وطافوا في البرية.

وعندما عاد التلميذ إلى أبيه الشيخ في قلاية "القديس بطرس"، قَصّ عليه مقابلته مع الأحد عشر راهبا المجهولين، وكيف أنهم اقترحوا عليه أن يتبعهم. فقال له الشيخ:

- يبدو أنك لم تكن تستحق. كان يجب أن تتبعهم لترى أين يقيم هؤلاء القديسون النُسّاك. وحسرتاه! لقد أفلتوا من يدك[٣٦].

---

[٣٦] يقال إن هذا التلميذ قد نال الإذن والبركة ليتبعهم، لأن أباه الشيخ كان قد قال له: "من يقابل النُسّاك غير المرئيين ويتبعهم يكون سعيدًا ومطوبًا".



هناك حيث يقف الحيوان، تقابل التلميذ مع النساك

١٤. "أما أنت أيها الأخ، فاتجه إلى إسقيط إكسينوفون"[٣٧]

جاء زائر إلى الجبل المقدس للسجود، بعد أن زار أديرة مختلفة وكذلك أساقيط بهدف أن يجد مكانًا مع شيوخ قديسين أفاضل ليترهب.

وبعد أن مَرّ بأديرة عديدة وصل إلى برية الجبل المقدس حيث يبدأ من إسقيط القديسة حنة الصغير حتى اللافرا الكبرى.

انتقل إذن إلى أرسانا في إسقيط القديسة حنة وصعد بما فيه الكفاية وأخذ الطريق المؤدي إلى يمين برية ميكراياناس. ولكنه ضل

---

[٣٧] من كتاب الراهب الأجيوريتى أندرياس ثيوفيلوبولو بعنوان "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، الجزء الثاني.

الطريق إلى الغابة وهناك قابل مجموعة من النُسّاك. وبينما كان يتحدث مع النُسّاك كان عنده إحساس عقلي أنه يتكلم مع نُسّاك قديسين. وكان منظر وجوههم وكلامهم الروحي يوحي بأنهم أناس قديسون. وفي الحال أظهر رغبةً في أن يتبعهم وأراد أن يصير راهبًا ولكنهم قالوا له:

- "أما أنت أيها الأخ، فاتجه إلى إسقيط إكسينوفون".

وأظهروا له الطريق ليذهب إلى الشيخ الروحاني الأب سابا ليقول له ذاك ماذا يفعل. وعندما ابتعد هذا الزائر قليلاً عن هؤلاء النُسّاك القديسين، ندم أنه ترك مثل هؤلاء القديسين يمضون. فرجع إلى المكان الذي قابلهم فيه وفتش عنهم ساعة وظل يبحث عنهم، ولكن لم يجدهم في أي مكان.

فذهب حينئذ الزائر إلى الشيخ الروحاني الأب سابا وحكى له الموضوع فقال له الشيخ:

- "أنت، يا بني، لا تقدر أن تتبعهم، ولكن كنت ستَشُك إن كان فعلاً يوجد هؤلاء الناس اليوم في الجبل المقدس ولهذا أظهرهم الله لك. ولكن أنت ستعيش في إسقيط إكسينوفون".

وبالفعل صار هكذا وأصبح هذا الأخ راهبًا في إسقيط إكسينوفون.

هذه الرواية رواها الأب الروحي أكاكيوس من كابسالا، وهو إنسان فاضل ومحب للتعلم، وهو يعرف شخصيًا الإنسان الذي رأى هؤلاء

النُسّاك القديسين، بعد أن قَصّ هو نفسه هذه الأمور كما حدثت للأب أكاكيوس.

١٥. النُسّاك العشرة في دير "القديس بطرس"[٣٨]

حوالي عام ١٩١٠ شاع في أماكن النسك وفي الأساقيط بالمنطقة المحيطة للافرا الكبرى أن عشرة مجهولين يطوفون في أماكن الجبل المقدس البرية، وكيف أنهم يظهرون عندما يريدون ولمن يريدون وأنهم كانوا قد تناولوا من الأب الروحي دانيال في دير "القديس بطرس" كل سبت. وكانوا قد اتفقوا مع هذا الأب الروحاني أن يناولهم الأسرار الطاهرة ولكن دون أن يعرف أحد.

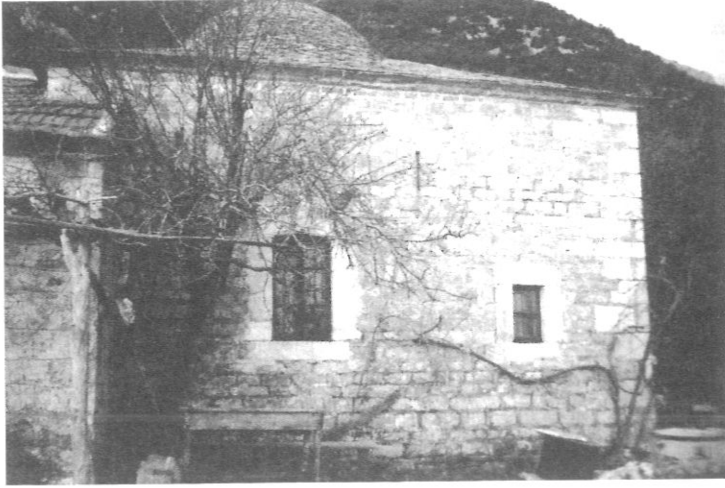
وفي صباح أحد السبوت زار هذا الأبَ الروحي زائرٌ تقي معروف وعندما أدرك الأب الروحي وجودهم ولم يلحق أن يُهَرّبه، خبأه في الكنيسة. فتابع الزائر من مخبئه الأب دانيال وهو يناول الرهبان المجهولين من الأسرار الإلهية من شباك صغير في العتبة المقدسة.

وعندما تناولوا جميعًا وشكروا الأب قالوا له إنهم لن يأتوا مرة أخرى لأجل أنه لم يحفظ اتفاقه معهم، فقد أدركوا وجود الزائر.

---

[٣٨] من كتاب الراهب الأجيوريتى أندرياس ثيوفيلوبولو بعنوان "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، الجزء الأول، ١٩٧٩.

ومنذ ذلك الحين، كما يقولون، ذهبوا ليتناولوا عند الأب غريغوريس في إسقيط القديسة حنة الصغير[٣٩].



كنيسة قلاية مقعد القديس بطرس الآثوسي

١٦. مغارة أخرى غامضة في منطقة "السيد إشعياء"[٤٠]

في العام ١٩٢٠ أُرسل الأب الراهب أرتميوس، وكان وقتها شابًا، من كوخ "الثالوث القدوس" في إسقيط القديسة حنة من الأب الشيخ زكريا لعمل ما في دير اللافرا الكبرى. ولهذا مضى باكرًا جدًا من

---

[٣٩] يُرجح أن يكون هؤلاء الرهبان قد ذهبوا إلى الأب قوزماس تلميذ المغبوط الأب غريغوريس، لأن الأب غريغوريس رقد حوالي عام ١٨٩٩ والأب دانيال بعده بعشرات السنوات.

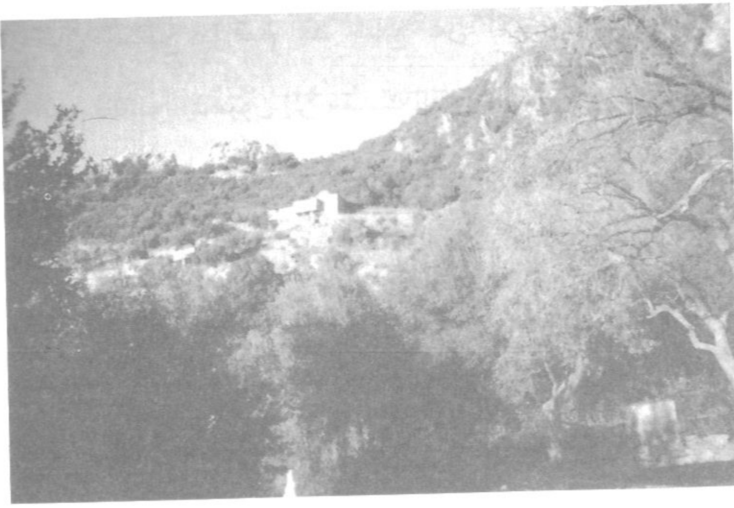
[٤٠] من كتاب الراهب الأجيوريتى أندرياس ثيوفيلوبولو بعنوان "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، الجزء الأول، ١٩٧٩.

الإسقيط لأن اللافرا تبعد عن الإسقيط حوالي أربع ساعات حتى يصل إلى اللافرا وقت الصباح.

ولكن قبل الدخول إلى مقعد "السيد إشعياء" ضل الطريق وانحدر يسارًا حتى وجد نفسه بعد قليل أمام مغارة ما. هناك اشتم رائحة عطرة جدًا. وبعد أن قال حسب عادة الجبل المقدس: "بصلوات آبائنا القديسين، يا رب يسوع المسيح ارحمنا وخلصنا، أمين"، لم يقم بأي رد فعل، بل رجع إلى الخلف من حيث ضل الطريق وبعد أن وجد الطريق الرئيسي، وصل إلى اللافرا الكبرى.

هناك في الدير الذي ذهب إليه، قَصّ على الآباء اكتشاف المغارة وما رآه هناك. فقالوا له إنهم لا يعرفون أية مغارة هناك، اللهم إلا مغارة "باخوميوس" التي توجد بالقرب من كيراسيا. وفي اليوم التالي، ذهب مع اثنين من آباء اللافرا ليفتشوا عن المغارة. ورغم أنهم فتشوا كثيرًا في تلك المنطقة التي ظن الأب أرتميوس أنها موجودة، لم يستطيعوا أن يجدوا هناك مغارة.

ويفسر البعض أنه ربما يُقصد بها المغارة التي عاش فيها القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي في أواخر أيامه، تلك المغارة المجهولة حتى اليوم، وقد رآها بكشف إلهي.



أكواخ في إسقيط القديسة حنة

١٧. عن الاثني عشر الحفاة في آثوس

هذا العنوان وكذلك النَصّ الذي يليه للراهب الأجيوريتي موسى وهو موجود في كتابه "روايات من الجبل المقدس" للشيخ الأب يواقيم. هذا الأب يواقيم مَرّ بأماكن كثيرة من الجبل المقدس، وتوارد على قلالي كثيرة وفي النهاية استقر في قلاية الصعود بالقرب من كارييس. ولهذا فقد تعرف على شيوخ أفاضل كثيرين وتعلم الكثير منهم سواء عن حياة الآباء النسكية في الجبل أو روايات متنوعة وتقاليد خاصة بالمتوحدين. نذكر هنا بعضا منها:

"كان الشيخ يواقيم قد سمع عن الاثني عشر راهبًا الحفاة الطوافين أنهم كانوا يذهبون إلى منسك القديس بطرس الآثوسي ويتناولون من شباك في العتبة المقدسة سرًا من يد الشيخ الأب دانيال وتلميذه الأب أنطونيوس، الذي كان لديه موهبة إخراج الشياطين. ولأن أحد الغرباء قد رآهم هناك، فكانوا يذهبون بعد ذلك إلى الأب غريغوريس والأب قزماس من ميكرايانا.

ذهب أحد التلاميذ من إسقيط القديسة حنة إلى إسقيط الكافسوكاليفيتيين وبعد المرور بكيراسيا، بالقرب من قلاية ميلاد والدة الإله، سمع تسابيح فذهب ليبصر، فأبصر أحد عشر ناسكًا يدفنون واحدا منهم (قد رقد في الرب للتو) فقال له أحدهم:

- "أترى أيها الأخ؟ أخونا قد رقد في الرب، فاجلس معنا هنا لتكمل عددنا".

فأجاب:

- "أسأل أبي الشيخ".

وعندما عاد وقال لأبيه الشيخ، قال له:

- "كان يجب أن تجلس معهم. وأما الآن فلن تعثر عليهم مرة أخرى، لقد أفلتوا من يدك".

فعاد التلميذ إلى المكان الذي رآهم فيه، فلم يجدهم ولا وجد القبر.

ويقال إنهم بداية من فصل الخريف حتى الشتاء كله يذهبون ويقيمون بين أديرة "إكسيروبوتامون" (النهر الجاف) والقديس بندلايمون، لأن البرد هناك أقل والشمس أكثر"[٤١].

وقد قَصّ الشيخ الروحاني الأب نيكيفوروس أنه كان في إسقيط إكسينوفون، حوالي عام ١٩٣٠ وبينما كان يجمع بذار النخيل، في المنطقة التي مقابل دير القديس بندلايمون، رأى راهبًا ناسكًا حافيًا يستريح قليلا تحت شجرة. فابتعد خائفًا. وفي المساء قَصّ الأب نيكيفوروس على الشيوخ فقالوا له إنه لم يجب أن يخاف وعليه أن يذهب مرة أخرى ليراه. وفي الصباح ذهب ولكنه لم يجد أحدًا.

وبعيدا عن قلاية القديسة حنة، والتي هي خارج كارييس، تجاه إسقيط إفيرون، قابل ذات ليلة شيخُ قلاية القديسة حنة شيخًا آخر حافيًا لابسًا خرقًا يأكل كَسْتَن (أبو فروة)، فسأله شيخ القلاية:

- من أين أنت؟ فأنا لا أعرفك.

أجابه الناسك قائلا:

- أنا من قلالي إكسيروباتامون.

---

[٤١] يقول رهبان قدامى من الجبل المقدس إن راهبًا رأى اثنى عشر راهبًا مجهولين في منطقة إكسيروبوتامون. وهذا حدث من عشرات السنوات، عندما كان دير إكسيروبوتامون دير شركة، وكان رهبان الدير والمنطقة وشيوخهم معروفين. أما الرهبان الذين رآهم الراهب فكانوا غرباء ومجهولين.

ولكني لا أعرفك. أنا أعرف كل الآباء هناك. حينئذ اضطر الأب أن يسر إليه أنه ناسك متوحد ويخرج ليلاً ليجمع كَسْتَن من أماكن وعرة غير مطروقة، حيث لا يذهب أحد ليجمعها.

وفي اليوم التالي، ذهب نفس الشيخ إلى أماكن أخرى بذافني فقابل في طريقه نفس المتوحد ولكن لم يعرفه، فسأله:

- من أنت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟

فأجاب ذاك:

- أنا الذي كنت أجمع كَسْتَن ذلك المساء.

واختفى سريعًا في الغابة، وأبى أن يركب الدابة التي اقترحوها عليه.



منطقة نسكية بين اللافرا الكبرى وكيراسيا

١٨. ظهور مغارة ورفات مقدسة[٤٢]

ذات مرة جاء مسيحي تقى من كريت إلى الجبل المقدس لزيارة شيخ قريب له كان متوحدًا في كوخ في إسقيط القديسة حنة الصغير تحت "ثومادئيس"[٤٣].

انطلق حينئذ من الساحل، حيث تركه القارب، وصعد إلى الكوخ نحو الشرق. وقبل أن يصل إلى ميكرانيا (إسقيط القديسة حنة الصغير) ضل الطريق وتاه في مكان غير مطروق في منطقة "بينا"، حيث وجد نفسه فجأة أمام مغارة ما، كان يوجد بداخلها رفات شيخ عجوز ممدد على لوح خشبي بسيط، فأضاء الرجل قنديلا. فظن الزائر الكريتي أن الشيخ قد رقد وأنهم سوف يأتون ليدفنوه لاحقًا.

وبعد صعوبة كبيرة استطاع أن يخرج من ذلك المكان ووصل إلى كوخ قريبه الشيخ، وقَصّ عليه كيف ضل الطريق وأمر المغارة والرفات.

تعجب الشيخ لأنه يعرف أنه لا يوجد في ذلك المكان لا مغارة ولا ناسك. ثم أخذ الشيخُ قريبه الزائر معه وذهبا إلى كوخ "ثومادئيس"، حيث وجدا شيخ الأخوة الأب كبريانوس وقَصّا عليه هذه الأمور التي رآها قريب الشيخ وهو صاعد نحو الكوخ. حينئذ أكد شيخ "ثومادئيس" أنه لا يعرف

---

[٤٢] الراهب فيكتور ماتثيوس: "سينكسار الكنيسة الأرثوذكسية الكبير"، الجزء السابع، تحت يوم ٩ يوليو، الطبعة الثانية، أثينا ١٩٧٠.

[٤٣] يُقصد به الشيخ إفثيميوس من إسقيط القديسة حنة الصغير.

في المنطقة أي ناسك ولا أية مغارة. ولكن مرات عديدة يفوح هناك رائحة عطرة قوية جداً.

واتفقوا الثلاثة أن يذهبوا إلى المكان وفتشوا بحرص في كل المنطقة التي أظهر الزائر أنه رأى فيها المغارة والرفات ولكن بلا جدوى. فقال لهم الزائر التقي:

- "لقد مررت من هنا، أتذكر جيداً، هنا رأيت المغارة".

ولكنهم لم يروا ولم يجدوا شيئاً، لا مغارة ولا رفاتٍ.

حينئذ سلّم هؤلاء الشيوخ بالظاهرة التي رآها الزائر الكريتي وهي احتمال أن تكون المغارة والرفات التي في ذلك المكان تخص القديس ديونيسيوس الخطيب، أول من سكن إسقيط القديسة حنة الصغير والذي يُحتفل بذكراه يوم ٩ يوليو / تموز، والذي رفاته المقدسة وقبره لا يزالان مجهولين.

١٩. "نساك غير مرئيين بلا مأوى"[٤٤]

"توجد منطقة في الجبل المقدس آثوس، تمتد من إسقيط القديسة حنة الصغير حتى إسقيط "غلوسيا" (بروفاتاس) وهي عبارة عن مساحة شاسعة مليئة بالأشجار والغابات الكثيفة، هذه المنطقة تسمى أيضاً "برية

[٤٤] هذا العنوان وهذه الرواية موجودان في كتاب الراهب الأجيوريتى أندرياس ثيوفيلوبولو بعنوان "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، الجزء الثاني.

آثوس". هناك، يظهر على فترات للقليل من ساكني المنطقة نُسّاكٌ أتقياء الشكل ولكن نحفاء الجسم، وهؤلاء باعتراف الجميع، عرايا تمامًا من الملابس المادية ولكن تغطيهم نعمة الله.



المنبع الرئيسي في كريا نيرا

وفي دورية تصدر من جبل آثوس، كانت بعنوان "المكتبة الأجيوريتية" من ١٩٣٠ - ١٩٣٨، كتب الطبيب سبيريدون (والذي أصبح بعد ذلك الراهب لابس الإسكيم الكبير)، أثناسيوس كامبانو، في دير اللافرا الكبرى المقدس، كتب عن هؤلاء العرايا بلا مأوى أن "العين (يقصد عين الله) التي تفحص كل شيء تعرف أمورًا كثيرة"، "وماذا أقول عن الرهبان الذين يعيشون بلا مأوى في "كريا نيرا"؟، أقول: "العين التي تفحص كل شيء تعرف سيرتهم".

ولكن الأب الراهب جيراسيموس (ميناجياس)، الذي كان سابقًا كيميائيًا ثم صار متوحدًا هدوئيًا وعاش في برية القديس باسيليوس، وكانت تربطه محبة أخوية مع طبيب اللافرا الأب أثناسيوس كامبانو، عندما رأى أنه نشر هذه الأمور في دورية "المكتبة الأجيوريتية" كتب إليه نصيحة وملاحظة أن لا ينشر مثل هذه الأمور أو يكتب أمورًا بلا شهود من شأنها أن تسبب سجسًا وهزء في حق السيرة الرهبانية للجبل المقدس.

ولكن الأب أثناسيوس رَدّ على هذه الملاحظات قائلاً: "صديقي العزيز وأخي الحبيب، لا أستطيع ألا أكتب وألا أنشر ما رآه إنسان وحكاه قائلا: "إنني سأمرض وأموت".

هذا الإنسان هو الشيخ أنطونيوس من قلاية القديس بطرس". وقد قال أولئك النُسّاك غير المرئيين لهذا الإنسان ما يلي:

- "اذهب وقل للطبيب إنك بعد قليل سوف تمرض وتموت لهذا يجب أن تستعد".

وبعد أن قال الشيخ أنطونيوس للطبيب ما قاله له النُسّاك غير المرئيين أظهر له صليبًا خشبيًا أعطاه له أولئك النُسّاك. على هذا الصليب كان محفورا بالحروف هكذا: "الراهب مكاريوس".

هذا ما كتبه الطبيب الأب أثناسيوس في رده على الأب الكيميائي راهب دير القديس باسيليوس الأب جيراسيموس، وبعد قليل مرض وبدون مرض شديد رقد الأب أثناسيوس راحة أبدية بعد أن كشف أولا ونشر أنه

يوجد هؤلاء القديسون النُسّاك والرهبان المتوحدون وكيف أنهم يطوفون من مكان إلى آخر في برية آثوس"[٤٥].



دير اللافرا الكبرى المقدس

٢٠. صليب "العطر"

بين اللافرا الكبرى والكافسوكاليفيا توجد منطقة خائيرى، على ارتفاع هناك يوجد بيت صغير قديم على الطريق وصليب خشبي. هذه المنطقة تدعى خائيري. في المنحدر بالقرب من إكسيركاليفو والتي يقال لها ماجيورو توجد خائيرى السفلى. على يسار الطريق في المنحدر إلى "سارة" وفي

[٤٥] لا يزال معروفا عند رهبان القلالي أن خالد الذكر الراهب الطبيب الشيخ أثناسيوس كامباناوس (رقد عام ١٩٤٠) كان يرسل قربانًا إلى هؤلاء النُسّاك غير الظاهرين.

موضع "برذيكى"، حيث تشققت الأرض من زلزال ١٩٠٥، توجد صخرة كبيرة على شكل بيت صغير وعلى هذه الصخرة يوجد صليب مثبت.

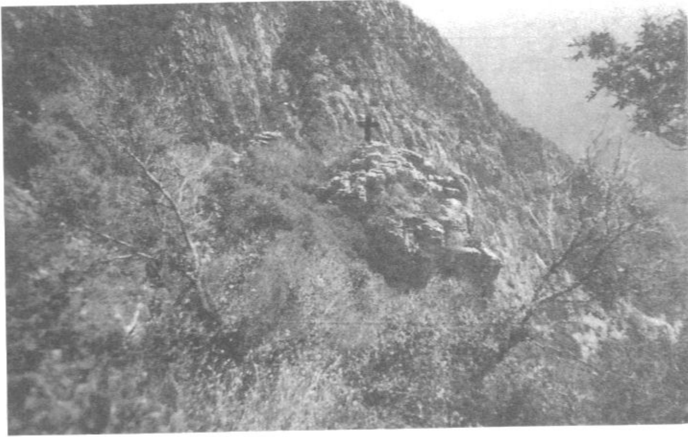
هذا الصليب[٤٦] مثبت من زمن لأن عابرين كثيرين سواء رهبانًا أو زوارًا أتقياء كانوا يشتمون رائحة عطرة جدًا. ولكن في الفترة الأخيرة اشتم نفس هذه الرائحة العطرة زوارٌ علمانيون ورهبانٌ منهم الشيخ بطرس الأجيوريتى، والراهب يؤانيكيوس والراهب باتابيوس اللافريوتي سابقًا.

وفي مناقشتي مع متوحدين هدوئيين من المنطقة عن هذا الموضوع، قالوا لي إن مبعث هذه الرائحة الزكية هو وجود رفات لقديس ناسك غير معروف. لأن في هذا المكان منذ سنوات عديدة عاش نُسّاك كثيرون. واختاروا هذا الموضع لأجل هدوءه ونسكه وحلاوة الطقس فيه. فلا يحدث فيه جو سيئ ولا رياح شديدة. بجانب أنه يوجد نبع ماء صغير على بعد ٣٠ متر من كوخ ماجيورو، حيث كان النُسّاك يأتون بالماء.

وهناك احتمال كبير أن يكون هذا المكان هو الذي توحد فيه وتنسك ورقد القديس نيكيفوروس الراهب الذي ترك إرشادات مكتوبة عن الصلاة الذهنية (القلبية) والتي توجد في الفيلوكاليا، كما يشير القديس نيكوديموس الأجيوريتى في السينكسار الكبير تحت يوم ٤ مايو/ أيار: "في هذا اليوم رقد بسلام القديس نيكيفوروس الذي توحد في أقصى أماكن النسك في آثوس، وقد كتب أيضًا عن الطريقة المثلى للصلاة الذهنية"(القلبية).

---

[٤٦] الصليب القديم تكسر وحل محله آخر جديد.



موضع صليب العطر

٢١. متوحد جبل آثوس مجهول الاسم[٤٧]

في حديث مع الأب باييسيوس الأجيوريتي (رقد عام ١٩٩٤) عن وجود نُسّاك في آثوس، أجاب أنه بالفعل يوجد، ثم قال هذه القصة عن مغامرة له خاصة.

في العام ١٩٥٠ عندما أتى لأول مرة إلى الجبل، كان يطوف على الأديرة والأساقيط والأماكن الهدوئية ومناسك جبل آثوس بغرض العثور على قديسين ورهبان نُسّاك أفاضل ينتفع منهم روحيًا ويتتلمذ على أحدهم.

[٤٧] هذه الرواية كتبها الأب باييسيوس نفسه في كتابه الذي بعنوان "آباء من الجبل المقدس ورواياته"، إصدار دير راهبات القديس يوحنا اللاهوتي، دار سورتيس، تسالونيكي ١٩٩٣.

وأثناء سيره من إسقيط الكافسوكاليفيتيين إلى كيراسيا ليذهب إلى إسقيط القديسة حنة، ضل طريقه وبعد كيراسيا دار يمينًا إلى طريق صاعد يؤدي إلى آثوس. وبعد أن سار كثيرًا وأدرك أنه قد ضل الطريق بدأ يصلي ويطلب والدة الإله لتساعده ليجد طريقه إلى إسقيط القديسة حنة. وأثناء تفكيره رأى متوحدًا مجهولاً يقترب منه ويقول له:

- "ليس هذا هو الطريق المؤدي إلى إسقيط القديسة حنة". انزل من هنا حتى تجد تقاطعًا فيه ماء وخذ هذا الطريق على اليمين وسوف يؤدي بك إلى إسقيط القديسة حنة.

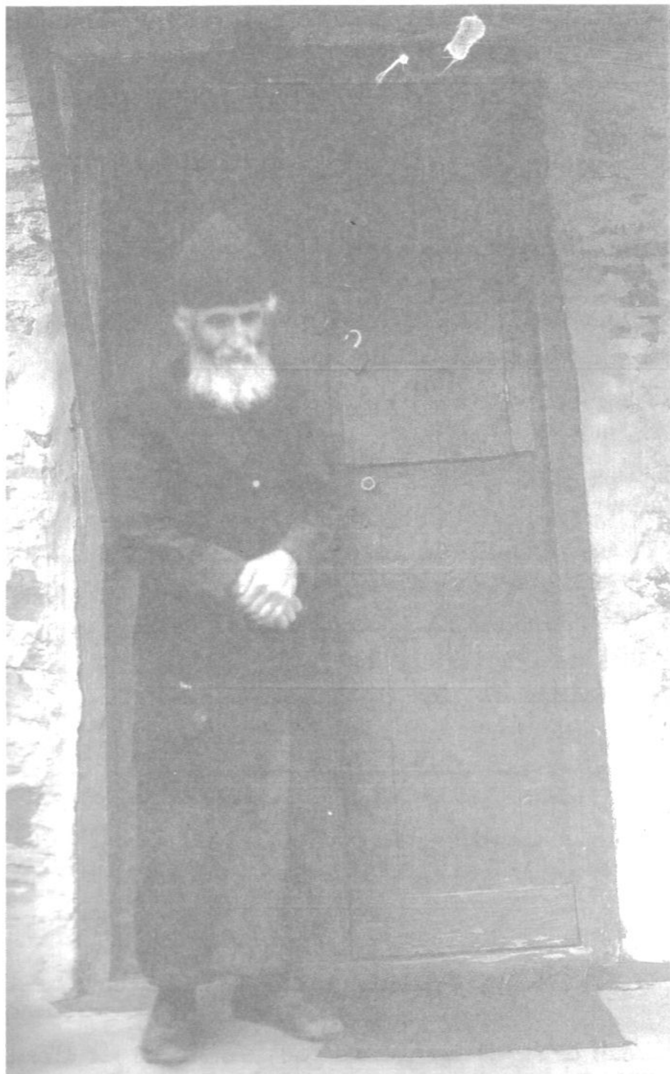
فبعد أن شكره القديس باييسيوس سأله أين يقيم. فأشار الناسك إلى آثوس وقال له:

- "هنا، أعلى قليلاً".

وكما يحكى القديس باييسيوس، كانت ملابس هذا المتوحد سوداء وسميكة كقلاع السفن، وحديثه ينم عن أنه لا يعرف أناسًا آخرين. وجلبابه كان مرتقًا في مكان ما بخيط وفي مكان آخر مغطى بأوراق شجيرات برية تسمى إسبرطة[٤٨]. وكان عمره يقرب من السبعين عامًا. وطريقته وقورة وعلى وجهه علامات القداسة.

---

[٤٨] نوع من الأوراق حبلي الشكل ذات زهور صفراء طيبة الرائحة (المترجم).



الشيخ باييسيوس الآثوسي ١٩٤٤

وعندما تقابل القديس باييسيوس بعد ذلك مع شيوخ أجيوريتيين أفاضل وقَصّ عليهم حكاية المتوحد مجهول الاسم الذي قابله، قالوا له إنه يحتمل أن يكون أحد الاثني عشر (وبرواية آخرين السبعة) متوحداً غير الظاهرين في جبل آثوس.

٢٢. المتوحد والخبز الجاف

قَصّ ذات مرة أباء من إسقيط القديسة حنة ما يلى:

كان شيخُ الأبِ كيرلس من إسقيط القديسة حنة، والذي كان يُدعى أنانياس من كوخ "الصليب المكرم" سابقًا، كان كل مدة قصيرة يملأ جوالاً من الخبز الجاف ويصعد به إلى أعلى في الغابات الصخرية، فوق إسقيط القديسة حنة، ويتركه هناك لناسك هدوئي. كان يقوم بهذه الخدمة وعمل الرحمة لعدة سنوات. وكان الناسك قد اتفق مع الشيخ أنانياس أن لا يظهر الأخير أمر الأول لأحد.

ولكن ذات مرة مرض الشيخ أنانياس ولم يستطع أن يصعد بالخبز الجاف. فأرسله مع تلميذه كيرلس ليصعد بها إلى الأب الناسك وشرح له أن يذهب إلى مكان ما وهناك يترك الخبز الجاف هناك وشدد عليه قائلاً:

- "اترك هناك الخبز الجاف وامض. امض سريعًا. أتسمعني؟ امض سريعًا ولا تتلكأ".

وأكد عليه ثلاث مرات.

- أجابه التلميذ: "بركتك يا أبي الشيخ".

أخذ التلميذ جوال الخبز الجاف وصعد إلى المكان الذي وصفه له الشيخ. وعندما اقترب من المكان أدرك فجأة وجود الناسك، فصنع له التلميذ ميطانية وأخذ بركته وأعطاه جوال الخبز الجاف. فقال له الناسك:

- "قل لأبيك الشيخ أنانياس أن لا يرسل لي خبز جاف مرة أخرى".

٢٣. رؤية اثنى عشر شيخًا غامضين في مغارة

راهب فاضل من دير كاتوناكيون، عندما كان شابًا خرج إلى الغابة أعلى من منطقة كاتوناكيا ليقطع أشجارًا تصلح لعمل اليدين. وبينما هو يبحث عن أشجار وصل إلى المنطقة التي توجد بها قلاية القديس أرتميوس، على مسافة ساعة مشيًا على الأقدام ثم صعودًا إلى كوخ كاتوناكيا. وعندما وصل إلى قلاية القديس أرتميوس تقدم حتى وصل إلى مغارة كان يقيم فيها الناسك دانيال الكافسوكاليفيتي. هناك في هذه المغارة توجد قلاية صغيرة. فشاهد حينئذ خلف القلاية ما يقرب من اثنى عشر راهبًا يتكئون على عصيهم في صمت وهدوء ودهش.

ففكر قائلا:

- "ماذا يفعل هؤلاء الآباء هنا في ساعة الظهيرة هذه؟"

وما أن رأى أنهم صامتون جميعا ومنحصرون في أنفسهم حتى أدرك في تلك اللحظة أنهم واقفون للصلاة. واحترامًا لهدوئهم ابتعد عنهم رويدًا

رويدًا دون أن يقلقهم. وبعد أن أتم عمله في غابة أخرى بعيدًا عن ذلك المكان لكي لا يزعجهم، عاد إلى كوخه.



المغارة التي شوهد فيها ١٢ راهبًا مجهولاً ، والتي يسكن فيها قديمًا الناسك دانيال ١٨٧٩

٢٤. رائحة عطرة في "خائيرى" باللافرا

عندما كان الشيخ المطوب الأب إفرام الكاتوناكيوتي شابًا حوالى عام ١٩٣٦، مضى من كاتوناكيا في مهمة عاجلة ضرورية إلى اللافرا الكبرى. وعندما وصل إلى موضع "خائيرى" في منطقة "كوكوزيليكا" اشتم رائحة عطرة جميلة جدًا لا يعبر عنها.



موضع خائيرى

٢٥. رائحة عطرة في "خائيرى" بالكافسوكاليفيتيين [٤٩]

يوجد مكان أخر يسمى "خائيرى" في الطريق بين إسقيط الكافسوكاليفيتيين وكيراسيا. في هذه المنطقة اشتم بعض الرهبان والعلمانيون لعدة مرات رائحة عطرة جدًا. وكتب أحد الرهبان الذي اشتم هذه الرائحة العطرة قائلاً:

"...ولوقتنا عدنا أدراجنا ممتلئين فرحًا روحيًا وبهجةً، متأكدين تمام التأكد أن كل صخور الجبل المقدس وحجارته تخفي خلفها قديسًا،

[٤٩] هذه الرواية مذكورة في كتاب الراهب الأجيوريتى أندرياس ثيوفيلوبولو بعنوان "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، ١٩٧٩.

يظهره الله كلى الصلاح حين يشاء ولمن يشاء هو، فمجدنا بفم واحد الله الواحد مثلث الأقانيم، الآب والابن والروح القُدُس".

٢٦. "وحوش" العذراء

في عام كان يُحتفل فيه بقلاية ميلاد والدة الإله (٨ سبتمبر / أيلول) دعا شيخُ القلاية الأبُ إشعياء في مورفونو، للطبخ للاحتفال، الشيخَ جافو- نيكولا من بروفاتاس. وحدث أن تواجد في المطبخ الراهب يوأنيس من فيغلا كمساعد طباخ.

وأثناء الحديث في المطبخ عن موضوعات متعددة دار حديث حول نُسّاك آثوس. لأن الشيخ جافو- نيكولا جاء إلى الجبل المقدس منذ ١٩٣٢ وهكذا تعرف على بعض النُسّاك هناك. وردًا على سؤال وجهه الراهب يوأنيس إن كان يعرف نُسّاكا أخرين أو متوحدين في برية آثوس، قال الشيخ نيكولاوس إنه يعرف أيضًا بعض المتبالهين .

- "قل لي"، قال الأب يوأنيس، "عن أي موقف مع هؤلاء المتبالهين".

فقال له الشيخ نيكولاوس:

- ذات مرة حدث أن كنت أسير في الطريق من اللافرا الكبرى إلى إسقيط القديسة حنة. وكان شتاء ولم تكن قد ذابت الثلوج جيدًا. وأثناء استدارة الطريق في موضع قفر، صادفت فجأة إنسانًا مجهولاً عاريًا تقريبًا، كان قادمًا في الاتجاه المعاكس. وما أن رآني حتى

قام بقفزة بهلوانية في الهواء كوحش ثم اختفى في الغابة. يبدو أنه لم يدركني أو أنه تفاجأ بي لأنه كان هناك استدارة في الطريق".

ولنا هنا تعليقان على هذه الرواية:

عندما يقول الأب نيكولاوس "بلهاء" إنما يقصد (متبالهين من أجل المسيح)، ويقصد هؤلاء الذين يدعون الهبل من أجل تضليل الناس عنهم لكي لا يمجدوهم ولا يجعلوا لهم اعتبارًا. أحيانًا يطوف هؤلاء المتبالهين بلا ملابس الكهنوت ولا جلباب مثل المهملين وعامة الشعب غير المهندمين وبعضهم يطوفون بلا ملابس، عرايا. ليس أنهم ينزعون ملابسهم، بل يعتريها الفساد من طول الوقت وهكذا لا يهتمون بملابس طالما أنهم رفضوا العالم. بهذه الطريقة يحاولون أن يدوسوا تحت أرجلهم (الأنا) ويدوسون كذلك وجودهم حتى يصلوا إلى أعماق التواضع. هدفهم الأسمى هو التواضع الكامل، لكي لا يهتم بهم أحد من الناس، ليس فقط كرهبان وإنما ولا حتى كبشر بل كمخلوقات غريبة الأطوار عجيبة، ذوي أفكار خائبة وعالة على المجتمع. يحاولون في هذه الحياة أن لا يكون لهم أي أثر مجد من الناس. ولكن ينتظرون بلهفة نفسٍ الموت المؤقت ومجيء القاضي العادل ليعطيهم المجد اللائق والحقيقي من الله، حيث سيصيرون قامات لامعة ممجدة في ملكوت الله غير المتناهي ويتمتعون في المسيح بالمجد الحقيقي الذي يستحقونه.

هذا الناسك "المتباله من أجل المسيح" وأبى أن يقابل إنسانًا لكي لا ينخرط معه في حوار وهكذا يفقد اتحاده بالله أو إن سمع أقوالاً باطلة يمكن أن يخطئ أو يفتخر أو يفتر روحيًا.

ولنفتش الآن ونرى إن كان هذا الناسك قد تصرف حسنًا طبقًا لآراء الآباء أم وقع في ضلال.

نجد الرد عند القديس إسحق السرياني الذي يكتب هكذا: "وآخرون تاهوا في البراري والجبال والمغائر وشقوق الأرض بطرق مهملة مصطنعة، بينما كانوا مرتبين وعاقلين. ألا ليت الله يجعلنا مستحقين أن نصل نحن أيضًا إلى جهلهم هذا".

ومرة أخرى يقول عن الهروب من مقابلة الناس ومصادفتهم: "كان أحد الآباء القديسين يأكل مرتين في الأسبوع، وكان يقول لي إنه في اليوم الذي كان يريد فيه أن يتحدث إلى أحد، لم يكن يستطيع أن يحفظ عادة قانون صومه، وكان يضطر أن يفطر".

وفي موضع آخر يقول عن ابتعاد الناسك عن الناس: "أواه! ما أشره أمرًا هو رؤية الناس والحديث معهم بالنسبة للمتوحدين!"، وقال أيضًا: "رؤية العلمانيين تسبب تشويشًا في نفس من رفض العالم من أجل عمل الله، وإن كان الحديث المستمر مع الأخوة الروحيين يضر فأيضًا مجرد الرؤية الخارجية للعلمانيين". وقال أيضًا: "قال مرة أحد الرهبان وهو يجرى وراء ناسك ليلحق به: "توقف يا أبي، لأنى من أجل الله أجرى وراءك"، فأجاب ذاك: "وأنا من أجل الله أهرب منك".

فحسنا فعل ذلك الناسك المجهول لأنه بانحراف مفاجئ تحاشى الشيخ نيكولاوس في الطريق.



طريق صغير ملئ بالجليد في فاثيلاكا بآثوس



إسقيط القديسة حنة و المنطقة الموحشة إلتي حوله

٢٧. الأب ليونديوس المغائري والاثنا عشر متوحدًا مجهولي الاسم

طبقا لرواية المغبوط الراهب ديونيسيوس (الذي كان قبلاً من دير القديس بولس وقد رقد في صيف ٢٠٠٢ ودفُن في دير ديونيسيوس المقدس)، كان يوجد في بروفاتاس قديمًا راهِب فاضل يُدعى سيرافيم يعيش هناك مع رفقته. كان الأب سيرافيم هذا مجاهدًا وكانت حياته روحية ووصل إلى درجات عالية في الصلاة. ويقال إنه كان في سنة ما جفافٌ، فهطل المطر بسبب صلواته. وقد حسده الشيطان جدًا وكان يحاربه كما كان يفعل مع القديسين القدامى. ولقد حسده أيضًا سكان دير بروفاتاس. وهكذا لما لم يجد هدوء في بروفاتاس، اضطر الشيخ أن ينتقل مع رفقته وذهب واستقر في إسقيط القديس ديمتريوس الذي يقال له إسقيط اللاكوس.

وكان بصحبة الأب سيرافيم راهب يدعى تريفون. وقد قَصّ الراهب تريفون على الراهب ديونيسيوس ما يلي:

- عندما سكن الأب سيرافيم هو ورفقته في إسقيط لاكوس كانوا يمارسون سر الأعتراف عند أب روحي يدعى الراهب ليونديوس. هذا الأب ليونديوس أقام مرة لمدة في مغارة في جبل آثوس ولهذا دعي المغائري. ولأنه كان طيب القلب وراهبًا ناسكًا، كان يعترف عليه رهبان كثيرون. وكان الأب سيرافيم من ضمن رفقته التي تعترف على هذا الأب. ومن ضمن المعترفين أيضًا كان اثنا عشر متوحدًا

مجهولي الاسم، وكانوا يسكنون في مغائر في جبال آثوس. وعندما كانوا يذهبون للاعتراف عند الأب ليونديوس كانوا "يشرحون له أسرارًا إلهية" ويقولون له إن هذه الأسرار من أجل "مستقبل الجبل المقدس" ويفسرون له "جمال الفردوس" و"مجد الأبرار بعد الموت".



وهناك رواية أخرى عن الأب ليونديوس والاثنى عشر ناسكًا غير الظاهريين.

كان الأب ليونديوس يعيش ناسكًا في أماكن برية من جبل آثوس. وكانت تجمعه روابط مع اثنى عشر متوحدًا وكان يعرف أيضًا مساكنهم. ورغم أنه كان أب اعتراف، إلا أنه كان يقبل مشورات هؤلاء المتوحدين وآراءهم لأنه كان يوقرهم كقديسين.

ويقال إن هؤلاء الاثني عشر متوحدًا مجهولي الاسم نصحوه بأن يذهب أو أرسلوه إلى جزيرة ساموس ليعين الشعب هناك روحيًا. فأطاع وذهب وظل هناك حتى وفاته.

وسكان الجزيرة الذين كانوا يعرفونه كانوا يقُصّون أحداثًا عجيبة عن حياته. منها أنه كان يوبخ قادة وعمدًا، وشخصيات رفيعة المستوى لأنهم لم يقدموا نماذج طيبة للشعب بل كانوا يعيشون كمرتدين عن الأرثوذكسية والحياة التي في المسيح. ولم يستقل أبدًا سيارة وكان واعظًا متجولاً بالإيمان والانجيل. وعاش بلا قنية وكمتباله من أجل

المسيح، موقرًا من شعبه كقديس. وكان من أتباع التقويم القديم كالجبل المقدس[50].

٢٨. نساك من عالم آخر

في دير "القديسون ثيوذوروي" في بروفاتاس كان الشيخ جافو-نيكولاوس، ذو التسعة والثمانين عامًا[51]، يعيش حياة هدوئية. فقد جاء إلى الجبل المقدس عام ١٩٣٢. وعمل في دير اللافرا الكبرى لمدة ٢٨ عامًا كمتلقي وصايا، أي حامل أوامر الدير إلى رهبان القلالي المستقلين والإسقيطيين والنُسّاك وكمساعد للراهب حارس الغابات. وكان وهو علماني يصطاد في بعض الأحيان في أماكن آثوس.

وفي مغامراته للصيد في الغابات اكتشف متوحدين كثيرين كانوا يعيشون في أماكن آثوس البعيدة غير المأهولة، والتي لم يمر بها أحد من العلمانيين ولا الرهبان. ولم يكن لهم عمل يدين ولا اهتمامات بالحياة. بل شغلهم الشاغل هو الصلاة والحياة الروحية الهادئة. وكان لهم أحد الخدام، كما قال لنا الشيخ نيكولاوس، الذي كان يحضر لهم الخبز الجاف من أديرة الجبل المقدس. وقد رقد آخر هؤلاء النُسّاك بين عامي ١٩٥٢ – ١٩٥٣

---

[50] يبدو أن الروايتين تشيران إلى نفس الشخص. ولكن يوجد احتمال أن يكون الأب ليونديوس الذي في الرواية الأولى غير الأب ليونديوس من ساموس. فالرواية الثانية مصدرها هو "الآباء الغيورون".

[51] وُلد عام ١٩١٢.

، كما قال لنا .

وقد قال البعض إن الشيخ جافو- نيكولاوس نفسه قد صار راهبًا للسبب التالي: ذات مرة وهو يصطاد في آثوس رأى شيئا عجيبًا جعله يقرر أن يصير راهبًا. فبعد أن ترك اللافرا ذهب إلى قلاية القديسين ثيودوروس في بروفاتاس وخضع للشيخ بروكوبيس حوالى عام ١٩٦٠، صار بعد ذلك راهبًا[٥٢].



منطقة نسكية مليئة بالجليد بين كريا نيرا و فاثيلاكا

[٥٢] يقال إنه تقابل مع ناسك وفرح جدًا بكلامه المقدس وحياته المنقطعة عن العالم حتى أنه فكر في أن يترهب. لأن الناسك قال له: "إن كنت تعلم أي مجد ينتظر الرهبان في الحياة الأخرى لصرت أنت أيضًا راهبًا".

٢٩. آثار أقدام حافية على الثلوج

ذهب الشيخ جافو- نيوكولاوس نفسه، عندما كان في اللافرا، في خدمة إلى أماكن آثوس. ولأنه كان شتاء، فقد تساقطت الثلوج وابيضّ كل شيء. في كل مسيرته من اللافرا الكبرى حتى "كريا نيرا" و"كراسيا" كان كل شيء أبيض ومتجمدًا. ولا أثر لوجود إنسان ولا حيوان في الطريق المجمد.

وفي مسيرته بعد "كريا نيرا" نحو آثوس وجد آثار أقدام حافية في الثلوج، الأمر الذي آثار انتباهه وجعله يعتقد أن هناك ناسكًا عاريًا يختفي في هذه الأماكن.

ومرة أخرى، عندما كان يمر من نفس المنطقة، وكان أيضًا شتاء وثلوج، رأى في أماكن آثوس العالية آثار أقدام حافية في الثلوج. هذه المرة حرك الأمرُ فضوله ودفعه إلى تتبع الآثار ليجد "فريسته". نفض عنه البرد والعناء والتعب وأخذ يتتبع الآثار. فرأى أن آثار الأقدام تقود إلى مغارة ليست طبيعية، بل مشكلة بطريقة دائرية من شجيرات برية مثل عش كبير. هناك توقفت آثار الأقدام. فبدأ الشيخ جافو- ثيوذوروس (وهكذا كان اسمه قبل الرهبنة) ينادى ويفتش في المنطقة لعله يجد الناسك. فلم يجد جوابًا، بل وبطريقة عجيبة بدأت آثار الأقدام الحافية تتلاشى. وهكذا عاد إلى اللافرا مخيب الآمال ولكن "متعجبًا من الأمر".



طريق ملئ بالجليد بين اللافرا الكبرى وكيراسيا

٣٠. دق الأجراس ليدركوا "النسّاك العرايا" [٥٣]

حدث ذات مرة للشيخين المتنسكين يوسف المغائري والراهب أرسينيوس الهدوئي أن كانا في إسقيط القديسة حنة. وبينما هما هناك ساءت الأحوال الجوية وتساقط ثلج كثير. وعندما قل تساقط الثلج وخفت الرياح، قرر الشيخان أن يتقدما إلى قلاليهما في إسقيط القديس باسيليوس. وهكذا بعد أن خلعا نعليهما، داسا في الثلوج ومرا بوسط كاتوناكيا وصعدا إلى إسقيطهما.

وعندما رأى راهب من إسقيط القديسة حنة آثار أقدام حافية في الثلوج اعتقد أنها لابد أن تكون للنُسّاك حفاة الأقدام العرايا الذين كانوا

[٥٣] هذه الرواية توجد أيضا في كتاب الراهب يوسف ديونيسياتوس "الشيخ أرسينيوس الهدوئي"، ٢٠٠٢.

يظهرون من وقت لآخر في برية الجبل المقدس بحسب التقليد. وعندما ظن أن الأمور بالفعل هي هكذا ذهب بحماس ودَقّ الأجراس في كنيسة الإسيقط الرئيسية وعندما اجتمع بعض الآباء، أعلن لهم "ظهور النُسّاك العرايا حفاة الأقدام" وقال لهم:

- "أخيرًا وجدنا المتوحدين العرايا غير المرئيين. انظروا. ها هي آثار أقدامهم في الثلوج".

وعندما نظروا أربعة أقدام حافية في الثلوج، تعجب الآباء.

- لماذا أنتم قعود؟ قال لهم الراهب، أسرعوا لتدركوا هؤلاء القديسين.

حينئذ جرى بعض الآباء وقرروا أن يتبعوا آثارهم.

وعندما مروا بإسقيط القديسة حنة وكاتوناكيا رأوا أن آثار الأقدام تصعد يسارًا إلى أعلى. فتتبعوا الآثار حتى وصلت أخيرًا إلى القديس باسيليوس. وعندما وصلوا إلى حيث كان يوجد الشيخان الهدوئيان نادوا:

- "نريد أن نرى النُسّاك العرايا، لابد أنهم هنا". وعندما خرج الشيخان الهدوئيان هدأوهم قائلين لهم إنهما هما اللذان مَرّا بالمكان وداسا حفاةً على الثلوج. وهكذا عاد رهبان القديسة حنة دون أن يفعلوا شيئًا.



طريق ملئ بالجليد في أماكن آثوس

٣١. روايات الشيخ جيراسيموس المرتل

(١) عندما كان شيخ كوخ "رقاد والدة الإله" في إسقيط القديسة حنة الصغير، الذي هو جيراسيموس مرتل كنيسة المسيح العظيمة، وعندما كان شابًا، قابل في طريق بري من تلك المنطقة الموحشة الصخرية ناسكًا مجهولاً، الذي ما أن أدركه، حتى بدأ يبتعد بخطوات سريعة. تبعه الراهب جيراسيموس على عجل ليدركه. فقد أراد أن يعرفه وينال بركته. ومهما حاول لم يستطع أن يصل إليه. فمن التعب وإنهاك قواه ناداه الأب جيراسيموس:

- "باسم الرب يسوع المسيح توقف يا أبي، أريد أن أراك".

فأجابه الناسك المجهول وهو يجرى مسرعًا ليبتعد:

- "وأنا باسم يسوع المسيح أهرب منك".

حينئذ توقف الأب جيراسيموس عن مطاردة ذلك الناسك المجهول وعاد إلى كوخه خائب الأمل وحزينًا، ولكن متعجبًا من روح ذلك الرجل الهدوئية النسكية.

هذا الموقف قصه الشيخ جيراسيموس عدة مرات على رهبان وزوار علمانيين.



(٢) وتوجد رواية أخرى شبيهة لرواية المغبوط الأب جيراسيموس المرتل يرويها المطران بندلايمون، مطران فيريا وناوسا[٥٤].

- قال لي الشيخ المغبوط جيراسيموس من إسقيط القديسة حنة الصغير عن الشيخ المغبوط صفرونيوس من إسيكس[٥٥]: "كان أحد رفاق الناسك العظيم الأب جيراسيموس ميناغيا الذين استحقوا أن يروا في برية آثوس أحد المدعوين الأخوة العرايا الذي كان يحمل جوالا على ظهره متغطيًا بنعمة الله وهو يحاول أن يهرب متضرعًا إليهم باسم الله أن يتركوه في هدوء البرية".

---

[٥٤] عن كتاب "مذكرات الشيخ صفرونيوس من إسيكس"، إصدار "آثوس"، أثينا ١٩٩٩.

[٥٥] مقاطعة في إنجلترا تقع شمال شرق لندن (المترجم).

٣٢. لمدة عشر سنوات كان يأخذ ماء

طبقا لرواية الشيخ إسيذوروس الأجيوريتى (رقد عام ٢٠٠٠) قال إنه خرج ذات مرة من كوخه البري إلى الحدائق وقت الظهيرة ليروح عن نفسه قليلاً من الحر. وعندما اقترب من مكان تلاقي كوخه مع الماء، رأى راهبًا مجهولاً يأخذ ماء من هناك. وعندما حيا أحدهما الآخر تبادلا الحوارات.

فقال له ذلك الراهب المجهول إنه لمدة عشر سنوات يأتي ويأخذ ماء، وعادة وقت الظهيرة ولم يحدث أن رآه أحد.

فقال له الشيخ إسيذوروس:

- "وأين تقيم؟".

أشار الراهب جهة الشمال قائلاً له:

- "هناك في الأعلى في تلك القلاية".

حينئذ أدرك الشيخ إسيذوروس أنه يقيم في الكوخ المهجور في خائيرى العالية وتعجب من حياته السرية غير المرئية.



كوخ الماعز في خائيري

٣٣. سجد في الوضع الذي وقفت فيه قدماه

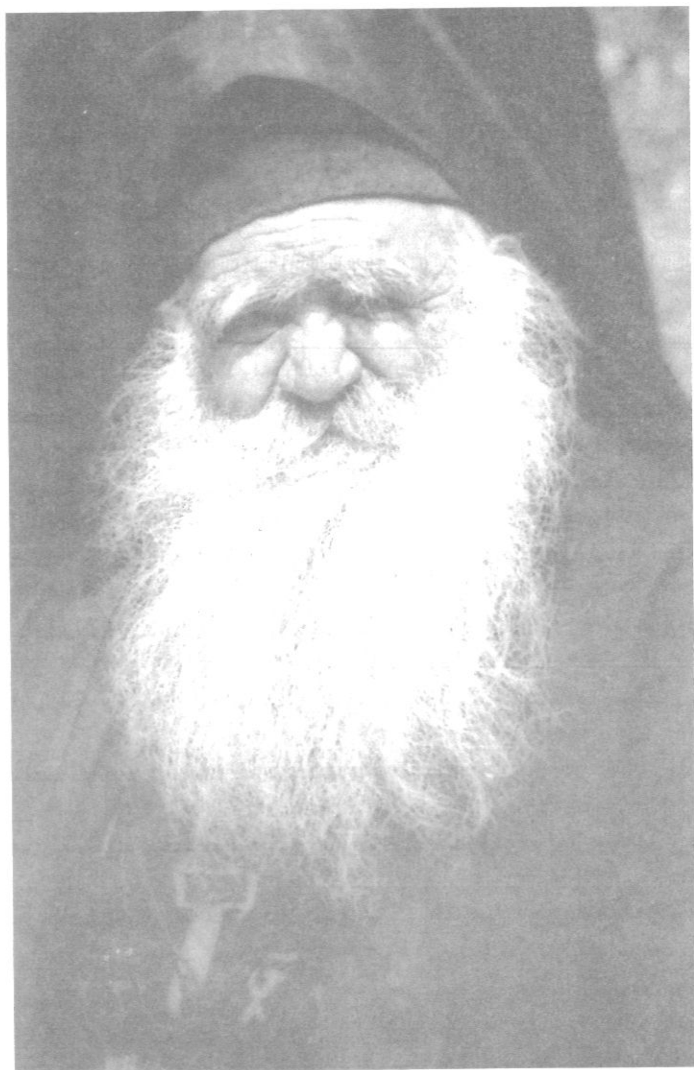
قَصّ لي الشيخ إسيذوروس أيضًا الآتي:

- عندما كان شابًا كان يذهب سيرا على الأقدام من منسكه في "القديس بطرس الآثوسي" إلى ذافنى للتسوق وعلى ظهره مِخْلَة.

وعندما وصل إلى المنطقة التي توجد فيها قلاية القديس أرتميوس لاحظ وجود ناسك ملابسه رثة ونحيف. حينئذ جرى بخطوات سريعة ليدركه وينال بركته. وعندما أدرك الناسك المجهول الراهب إسيذوروس وأنه يقترب سريعًا من مكانه تجاهله واختفى في الغابة.

ورغم نداء الراهب إسيذوروس وترجيه، إلا أن الناسك المجهول لم يستجب ولم يظهر مرة أخرى. فمن تقوى إسيذوروس، كما قال لي، سقط وسجد على الأرض حيث رأى مكان قدميه.

فالآباء المجاهدون الأفاضل الذين عاشوا في البراري واكتسبوا فضائل وعاشوا مع الله كانوا يتحاشون الخلطة لكي لا يفسدوا هذا العمل أي اتحادهم بالله، وحتى لا يقبلوا من الناس كرامات مضرة للنفس وأحاديث مفسدة.



الشيخ إسيذوروس ٢٠٠٠ م

٣٤. كان يطلب رحمة ليطعم النُسّاك

قال لي شيخ كاتوناكيوتي إنه كان يعيش قبلاً هنا في إسقيط القديسة حنة راهبٌ بسيطٌ طيب القلب. هذا الراهب كان يأخذ أطعمة فقيرة مختلفة وخبزًا جافًا لنُسّاك اكتشفهم في الأماكن الموحشة أعلى الإسقيط. ولكنه كان فقيرا حتى أنه لم يكن يستطيع أن يطعم هؤلاء النُسّاك. فكان يخرج حينئذ من الجبل المقدس ويطلب رحمة من المسيحيين الأتقياء، وعندما كان يقول لهم: "هذه الرحمة موجهة لإطعام نُسّاك فقراء"، كانوا يعطونه أكثر. وهو قادم إلى الجبل المقدس كان يشتري مختلف الأطعمة المناسبة للنُسّاك مثل الخبز الجاف والبرقوق، والتين، ومكسرات من شأنها أن تحتمل الوقت مثل الحبوب والترمس والعدس، ويعطيها للنُسّاك فيرطبونها ثم يأكلونها بنسك.

أما النُسّاك فكانوا كنوع من رد الجميل يصلون يوميًا ويطلبون من أجل صحة خادمهم ورحمته وخلاصه وكذلك من أجل المعطين والمساعدين لهم.

٣٥. نقل الأسرار الإلهية إلى نسّاك خفيين

يوجد تقليد يؤكد أن هناك دائمًا في برية آثوس يوجد راهب شيخ عجوز روحاني تقي يقوم بتقديم الأسرار الطاهرة للمتوحدين غير الظاهرين. وعندما يرقد هذا، يقوم بمهمته آخر. وعندما لا يوجد شيخ كاهن روحاني

حينئذ ينتخبون آخر لأماكن أخرى من الجبل المقدس، خارج برية آثوس، وهناك يذهبون ويتناولون.

وهناك حالة شبيهة وهي التالية:

يُقال إن أحد الرهبان ويدعى نكتاريوس من قلاية القديس نيكولاوس خارج حدود كارييس كان يناول النُسّاك غير المرئيين الأسرار الطاهرة. وذات مرة حدثت بينه وبين راهب آخر مشاحنة حتى أن الراهب الأخر غضب واحتد عليه. فقال الراهب نكتاريوس لمخاصمه: "أنا الذي أناول النُسّاك غير المرئيين، أتحتد عليّ؟". فنسى حينئذ الراهب نكتاريوس أنه كان قد اتفق مع هؤلاء النُسّاك أن لا يظهرهم لأحد. وتذكر ذلك في الحال وندم أنه كسر الاتفاق. ومنذ ذلك الحين لم يعد النُسّاك غير المرئيين يذهبون إليه ولا يتناولون من يده.

هذه الرواية قالها أحد الآباء ويدعى بندلايمون قبل أن يرقد في الرب لأحد الرهبان الأصغر منه.

٣٦. لقاء تلميذ مع متوحدين

قَصّ عليّ المغبوط الراهب الشيخ إشعياء الكافسوكاليفيتي (رقد ٢٠٠٢) من كوخ القديس سمعان اللاهوتي الجديد قبل عامين الآتي:

"قابل تلميذُ أحدِ الشيوخ في البرية عشرة أو اثنى عشر راهبًا عرايا فقالوا له:

- "تعال معنا".

أما هو فلم يذهب، وربما خاف. وبعد أن عاد إلى كوخه قَصّ ما حدث على أبيه الشيخ، فقال له الشيخ:

- "كان يجب أن تتبعهم لتعرف أين يقيم هؤلاء النُسّاك المباركون".

ولكن التلميذ لم يقابلهم ثانية أبدا[٥٦]".

٣٧. مغارة "الابتهاج"

مقابل قلاية القديس نيلوس في الشمال توجد قلاية القديس إفثيميوس النسكية. في هذه القلاية يعيش اليوم خمسة أو ستة رهبان. أبوهم الشيخ هو العجوز ذو الخبرة الطويلة الأب يواقيم[٥٧] وقد قَصّ علي هو نفسه هذه القصة:

"كان لأبي الشيخ وأب اعترافي الأب نكتاريوس أخ يُدعى جيراسيموس. أخذ الأب نكتاريوس ذات يوم سلة وذهب، خلف أحد الصخور، ليجمع قواقع حلزونية. وبعد ساعة زمن سيرًا على الأقدام من قلايتنا حتى "كريا نيرا" توجد "قلاية القديس أرتميوس النسكية". وكان الأب نكتاريوس يصعد على هذا الطريق ليجد قواقع حلزونية في منتصف المسافة بين هاتين القلايتين، أي على بُعد نصف ساعة من قلايتنا، فضل

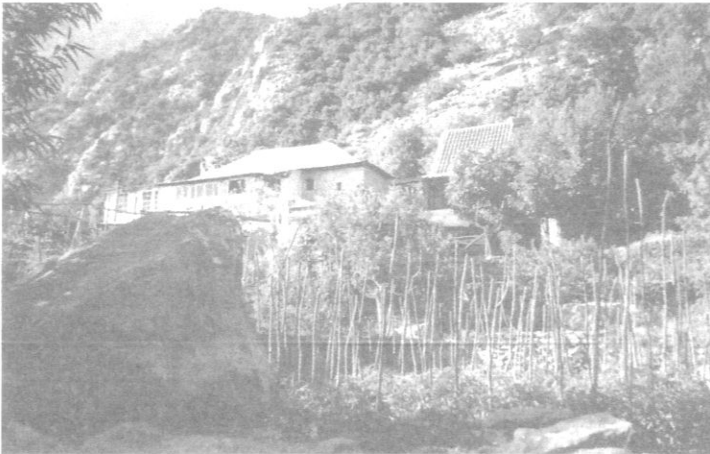
[٥٦] ربما تكون هذه هي نفس الراوية التي تحمل عنوان "اتبعنا" (رقم ١٣).

[٥٧] رقد عام ٢٠٠٣م.

الطريق يسارًا ودخل إلى أماكن صخرية غير ممهدة باحثًا عن القواقع الحلزونية.

وفجأة وجد نفسه أمام مغارة ما. وما أن وصل المغارة حتى اشتم رائحة عطرة جدًا وأحس بابتهاج في نفسه. ولمدة ساعة وقف ينظر إلى القلاية ويتفرس فيها وكان يشعر بنفس الابتهاج في نفسه. أخذ يبعد عن المغارة رويدًا رويدًا دون أن يدرى باحثًا عن القواقع الحلزونية وعندما وجد ما يكفي عاد نازلاً نحو قلايتنا.

وعندما قابل أخاه الراهب جيراسيموس قَصّ عليه أمر المغارة التي رآها وكيف أنه أحسّ بابتهاج في نفسه. فطلب منه الأب جيراسيموس أن يذهبا في الحال إلى الموضع الذي رأى فيه المغارة. وعندما صعدا وتقدما ووصلا إلى ذلك المكان تقريبًا، فتشا كثيرًا وحاولا كثيرًا ولكن وقفا عاجزين عن العثور على المغارة التي رآها الراهب نكتاريوس".



قلاية القديس إفثيميوس النسكية

٣٨. "استرافولاجاذا"

استرافولاجاذا عبارة عن وادي يبدأ من "كريا نيرا" ويمتد حتى "القديس نيلوس" وشاطئ كارافوستاسي. ويُدعى استرافولاجاذا لأنه وادي متعرج في انحداره ومحاط من هنا وهناك بصخور موحشة ومدببة. وهي منطقة غير ممهدة وتقريبًا يصعب الاقتراب إليها.

على مر العصور، وحتى بعد سُكنى الرهبان للجبل المقدس، استضافت استرافولاجاذا محبى النسك في مغائرها غير الممهدة وغير المقترب إليها. وكانت تطعمهم كَسْتَن (أبو فروة) وفراولة وأعشابًا برية وتسقيهم من مياهها الحلوة التي "تستعيرها" من منطقة "كريا نيرا" المجاورة.



إسترافولاجاذا كما تشاهد من القديس نيلوس وفى العمق كريا نيرا وفى الخلف جبل آثوس

وكان القديس غريغوريوس البيزنطي أحد ساكني استرافولاجاذا، لأن هذا القديس نفسه كان يدعى "الإسترافولاجاذيتي"، كما يبدو من سيرة القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي، الذي كان معلمًا للقديس غريغوريوس بالاماس في الصلاة الذهنية (القلبية). ويحتفل بتذكاره يوم ٦ أبريل / نيسان في سينكسار هذا الشهر.

وطبقًا لتقليد محلي (كما قَصّه على الأب المغبوط يواقيم شيخ الرفقة الغيورة الخاصة بالقديس إفثيميوس بالقرب من "القديس نيلوس")، كان هناك رهبان متوحدون في مغائر استرافولاجاذا خلال منتصف القرن السابع عشر الميلادي وكانوا يعترفون على القديس نيلوس الذي كان هو أيضًا ناسكًا في مغارة غير ممهدة وصعب الوصول إليها ومكانها هو حيث توجد اليوم كنيسته الصغيرة وقبره في مكان منحدر كالجرف، وقد عاش فيها من عام ١٦٠١ - ١٦٥١، كما يقول التقليد.

٣٩. نسّاك ليفكا[٥٨]

يوجد موضع على جبال اللافرا الكبرى يُدعى ليفكا. ويشار إليه على خريطة الجبل المقدس بكلمة ليفكيس[٥٩]. ويبدو أنها دُعيت بهذا الاسم بسبب وجود أشجار ليفكا كثيرة هناك. هذا المكان يوجد أعلى

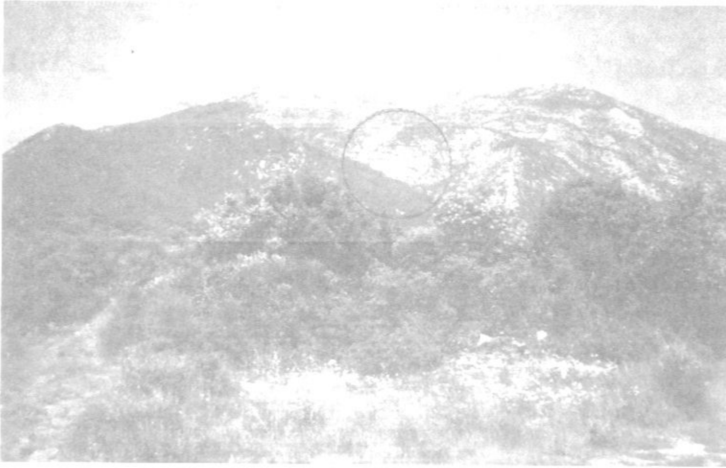
---

[٥٨] الكلمة في اليونانية تعني "أبيض"، أما الشجرة فهي تعني نوعًا من أشجار الغابات العالية المحبة للماء ذات الساق الأبيض، ويُسمى بالعربية "شجر الحور" (المترجم).

[٥٩] جمع كلمة "ليفكا".

مقاعد اللافرا الكبرى التي تُعرف باسم مقاعد "الثالوث القدوس" أو مقاعد "السيد إشعياء" نحو الغرب من جبل آثوس. بالقرب من ليفكا توجد منطقة "كريفونيري" وهو النبع الذي يستقي منه رهبان "فيغلا" المياه.

وقد دار حديث بين رهبان قدامى أنه في هذه المنطقة كان يوجد نُسّاك قديما معروفون باسم "الليفكاذيتيين" أو "نُسّاك ليفكا".



في منتصف الدائرة منطقة ليفكا (ليفكيس)

وهناك احتمال كبير أن يكون في هذه المنطقة، حيث ذُكر في عدد من "المجلة الأجيوريتية"، (١٩٣٥ - ١٩٦٥) أن شخصًا ما (ربما كان صيادًا) قد قابل ناسكًا مجهولاً وأثناء الحديث معه قال له الناسك إنهم سبعة في ذلك المكان وإنهم يعيشون متنسكين معًا وإن حدث ورقد أحدهم

ينضم إليهم راهبٌ أجيوريتي آخر غيره، فاضلٌ محبٌ للبرية، وهكذا يصيرون ثانية سبعة[٦٠].

في منطقة ليفكا هذه يوجد كَسْتَن وأعشاب برية مثلما في "كريفونيري"، وهكذا يستطيع النُسّاك أن يعيشوا على الكَسْتَن و الخبز الجاف ويشربون من نبع المياه هذا. ويقول بعض الذين مَرّوا بهذا المكان إنه توجد آثار مناسك قديمة. ويبدو أن هؤلاء النُسّاك قد بنوا أكواخهم من خشب شجر الليفكا التي توجد في هذه المنطقة بكثرة[٦١].

٤٠. عن النُسّاك القديسين غير المرئيين

(من رسائل الشيخ يوسف الهدوئي)[٦٢]

"أحدهم كان يقول لنا إنه قد أعطى قربانة للنُسّاك القديسين العرايا غير المرئيين".

"وآخر إنه كان يناولهم في القداس بعد منتصف الليل".

---

[٦٠] هذا مذكور أيضا في كتاب الأرشمندريت شيروبيم كارامبلا بعنوان: "ذكريات حنين من بستان والدة الإله"، طبعة ١٩٩٣.

[٦١] هذا مذكور أيضا في كتاب الأرشمندريت شيروبيم كارامبلا بعنوان: "ذكريات حنين من بستان والدة الإله"، طبعة ١٩٩٣.

[٦٢] من كتاب "التعبير عن الخبرة الرهبانية"، للشيخ يوسف الهدوئي، إصدار دير فيلوثيوس المقدس، ١٩٧٩.

"وثالث كان روسيا وظل سنوات على قمة جبل آثوس. وكان كل عشر سنوات يأتي ويقابل ناسكًا آخر. وقد قال لنا بما أننا هناك فلننتظر هذا الناسك. وكنا سنراه نحن أيضًا ولكن يبدو أنه قد رقد في البرية".

كل هذه الروايات سمعها خالد الذكر القديس الطفولي الشيخ الفاضل الأب يوسف من أفواه رهبان أفاضل وشيوخ بسطاء من عصره، وقد أشار إليها في رسائله لتشديد أخوته في المسيح ولمنفعتهم الروحية.



الشيخ يوسف المغائري (الهدوئي)

وكان يبكي مرات عديدة حزنًا على قلة مثل هؤلاء القديسين والشيوخ الأفاضل الذين يرحلون واحد تلو الآخر إلى المساكن السمائية وكان يقول بألم:

"حيثما تذهب الكنوز إلى خزائن الله ويصير جوع (روحي)، لن نعود نسمع بعد كلمة الله. فالمصابيح قد انطفأت ونحن الآن نسير في ظلام مدلهم ومن النادر سماع كلمة لنخلص بها".

٤١. اختفاء قطع من الخبز الإلهي

كان راهب شيخ كاتوناكيوتي فاضل خائف الله (رقد في الرب عام ١٩٩٨)، يصلي قداس الخميس العظيم وقد أخرج أجزاء من الخبز الإلهي ليحفظها سنة كاملة في حُق قربان المائدة المقدسة. وبعد الظهر لاحظ الشيخ أن ثلاث أو أربع قطع من الخبز الإلهي قد اختفت. فأخذ يفتش عنها وهو قلق ومتضايق وصلى بخوف إلى المسيح ليكشف له ماذا صار من أمر هذه القطع. وحتى ذلك الحين لم يكن قد اتخذ تلاميذ بعد وكانت له علاقات مستمرة مع رفقة الشيخ يوسف الهدوئي المغائري. فقَصّ على هؤلاء أمر القطع التي اختفت. ولم تمض أيام كثيرة حتى رأوه فرحًا.

- فسألوه: "ماذا حدث يا آبانا؟ أوجدت قطع الخبز؟".

- فأجاب: "كلا، لم أجدها، ولكنى أعتقد أن ملائكة قد أخذتها بطريقة غير منظورة لتنقلها إلى نُسّاك خفيين، يختفون ويتعبدون بهدوء في أماكن مجهولة من جبل آثوس".



٤٢. رهبان غامضون في "فافيلا" [٦٣]

حوالى عام ١٩٧٨ جاء رجل مسيحي أرثوذكسي من لبنان كزائر إلى الجبل المقدس، وقد كان قبلا لاجئًا إلى قانا الجليل بسبب الحرب الأهلية بين مسيحيي لبنان ومسلميها. تضمنت زيارته إلى الجبل المقدس إسقيط القديسة حنة أيضًا. وكان رئيس الإسقيط حينذاك هو الشيخ كيرلس من كوخ "الأنانيين" (نسبة إلى أنانياس) في دير الصليب المكرم. وبعد أن ضيف هذا الغريب في كنيسة الإسقيط الرئيسية سأل الرئيسَ صباحًا عن أي طريق يسلك ليصعد إلى جبل آثوس. وبعد أن أراه الأب

[٦٣] من كتاب الراهب الأجيوريتى أندرياس ثيوفيلوبولو بعنوان "كتاب شيوخ الجبل المقدس"، الجزء الأول، ١٩٧٩.

كيرلس الطريق إلى آثوس تحرك الزائر اللبناني، بعد أن شكر الأب أولاً، بسعادة بالغة لأن الطقس كان جميلاً، حيث كان يوم ٢٠ سبتمبر / أيلول.

في المساء عاد منهكًا من التعب ومن رحلته إلى آثوس ودخل إلى غرفته للراحة والنوم. في صباح اليوم التالي قبل أن يمضي من الإسقيط فكر في أن يسأل عن بعض الرهبان الذين قابلهم في آثوس وقد حركوا فيه الفضول.

بعد أن نزل من آثوس قال الزائر اللبناني للأب كيرلس بلغه يونانية ركيكة إنه قد وجد قلاية على اليمين أثناء نزوله إلى "باناجيا"، هناك حيث يوجد منحدر كبير يُقال له موضع "فافيلا"، وقد رأى راهبين يستقيان ماء من الحديقة. فرحب به الراهبان وأخذاه إلى قلايتهما وقدما له تينًا طازجًا فأكل. هناك في القلاية لاحظ وجود عشرة رهبان كانوا يتكئون على عصيهم والمسبحة بأيديهم ويبدو أنهم كانوا يصلون. وعندما سألهم الزائر اللبناني عن كم عام لهم لبثوا هناك، قالوا له سنوات عديدة ولا يعملون شيئًا سوى الصلاة من أجل العالم كله، ويبدو أنهم كلهم كانوا في سِنّ واحدة ولا يبدو عليهم أنهم كانوا طاعنين في السن. فطلب الزائر اللبناني من الأب كيرلس أن يعرف عنهم بالتفصيل.

فكر الرئيس قليلا متحيرًا من رواية الزائر الغريب وقال له إنه في هذه المنطقة التي وصفها والتي تسمى "فافيلا" لا يوجد قلاية ولا يوجد رهبان والمكان قفر.

ثم تبعه في القول:

- "افرح يا أخي، لأنك مبارك. فمن الواضح أن قلبك مؤمن وبسيط ونقي. لأنك رأيت قديسين يظهرون لمن يريدون ولمن هو مستحق، لأن هؤلاء الرجال القديسين قد ظهروا لرهبان صالحين وعلمانيين قديما في بريه آثوس".

وبعد أن حيا أحدهم الآخر مضى الزائر اللبناني من الإسقيط متهللاً روحيًا ولكن الأب كيرلس ظل مندهشًا متفكرًا في أمر أولئك الرهبان القديسين العجيبين الذين أظهرهم الله لذلك الزائر البسيط المؤمن.

٤٣. الناسك الليلي العاري

أقام الراهب الشيخ نسطوراس في قلاية بالقرب من كاربيس لمدة طويلة، وفترة أخرى ذهب إلى كيراسيا في الجانب الجنوبي لجبل آثوس، حيث أقام في قلاية صغيرة خارج قلالي أخرى أكبر. وكان الشيخ نسطوراس هذا راهبًا محبًا للجبال وللبرية، حيث الهدوء والوحدة، ولهذا كثيرًا ما كان ينسحب إلى تلك الأماكن البرية والغابات وكان من عادته أن يبنى فوق الأشجار، من الخشب والفروع، متكئات ليستريح عليها هناك في الأعالي، ليقوم بقانونه الروحي وصلواته ويدرس الكتب المقدسة وسير القديسين وكتابات الآباء ويصلي متأملا في الأسرار الإلهية.

سمعت عن هذا الراهب أنه قد رأى ذات مرة شيئًا عندما كان في تلك الأماكن البرية والغابات ولذلك أردت أن أقابله، فقابلته فعلاً في كاربيس وسألته:

- أيها الشيخ نسطوراس، ماذا تقول عن هؤلاء النُسّاك غير المرئيين الذين يقولون إنهم موجودون في أماكن من جبل آثوس؟ هل يوجدون بالفعل حتى اليوم أم كانوا موجودين قديمًا وظل هذا مجرد أسطورة؟
- فقال: "موجودون بالفعل موجودون. وموجودون حتى اليوم حيث إنني أنا نفسي شاهد عيان لأنني رأيت بأم عيني أحد هؤلاء النُسّاك".
- قل لي إذن ماذا رأيت أيها الشيخ؟
- كنت في الأماكن التي فوق كيراسيا بالقرب من "كريا نيرا"، حيث نصبت متكئي على شجرة صانعًا إياه من أعمدة وأوراق أشجار برية عاليًا عن الأرض، لكي أكون في مأمن من الرطوبة والزواحف والوحوش.

وأثناء سهري على الشجرة، حيث لم يكن الطقس جيدًا تمامًا، لأنها كانت تمطر تلك الليلة. وقبل منتصف الليل سمعت ضوضاء أسفل الشجرة ثم أحاديث هادئة فاعتقدت أنه أحد الخنازير البرية. أخذت كشافًا كهربائيًا ووجهته نحو مكان الضوضاء. فرأيت بتعجب ناسكًا عاريًا بلحية بيضاء وشعر خفيف وكان يحيط وسطه بأوراق شجيرات برية. حييته لما عرفت أنه راهب قائلا له: "باركني"، فبدون أن يتكلم هذا الناسك المجهول ضم يديه على شكل علامة صليب على صدره وانحنى قاصدًا أن يقول: "الرب يباركك". بدا لي أنه من بلاد مولدافيا.

من هناك اختفى الناسك دون أن أراه ثانية. ولا أعرف بالضبط أين كان يقيم، ولكنى أفترض أن مسكنه كان مغارة ما في مكان عال، ربما كان يقيم فيها، وأنا كنت أعرفها قبلا.

- منذ متى حدث أن رأيت هذا الناسك، يا أبي الشيخ؟
- منذ عشرين أو خمسة عشرين سنة تقريبًا (١٩٧٧ - ١٩٨٢).

يبدو أن هذا الناسك، الذي قابله الشيخ نسطوراس بشكل غريب، كان راهبًا فاضلاً. لأنه كان صامتًا ولم يكلم الراهب نسطوراس، وكان أيضًا رجل صلاة لأنه سمعه يرتل بصوت منخفض صلوات ومزامير.

٤٤. روايات أحد الرهبان

قال لي أحد الرهبان الهدوئيين في جبال "دير فيلوثيوس" إن أحد الشيوخ (وأبى أن يذكر اسمه) كان لديه كوخ في برية الجبل المقدس قَصّ عليه أنه مرة ذهب بعيدًا وأعلى من كوخه ليقطع أشجارًا.

فقابل هناك راهبًا ضعيفًا جدًا في سن الثلاثين تقريبًا، فسأله إن كان جائعًا أو يريد شيئًا ليأكل فيحضره له. فقال له الراهب المجهول إنه فعلا جوعان ولكن لا يريد أن يحضر له سوى خبز أو خبزًا جافًا وماء. فنزل هذا الشيخ سريعًا وأخذ معه خبزًا وماء من كوخه وصعد ثانية مسرعًا نحو الجبل في المكان الذي قابل فيه الراهب المجهول. وعندما ذهب

حيث كان قد قابله لم يجد أحدًا وقد فتش عليه كثيرًا ونادى عليه كثيراً ولم يستطع أن يقابله. ومنذ ذلك الحين لم يره ثانية.

هذا الراهب نفسه قَصّ على حالة شبيهة للتي رواها له راهب من كاتوناكيا.

صعد هذا الراهب الذي من كاتوناكيا إلى منطقة نائية غير مطروقة هناك ليجمع هو أيضًا خشبًا. هناك في المكان الذي ذهب إليه قابل شيخين مجهولين أحدهما يبدو أصغر من الآخر ويحتمل أن يكون تلميذ الأكبر. وما أن أدرك هذان الشيخانِ المجهولان وصول الراهب حتى اختبئا في الغابة واختفيا.

وبالقرب من المكان، الذي قابلهما فيه، كانت توجد بعض المغائر، كما قال الراهب، ويحتمل أن يكونا قد عاشا هناك.



في الوسط يلاحظ مغارة كاتوناكيا العليا

٤٥. "اختفى كالظل"

قصّ على الشيخ نيكولاس نيزوس من أرجوس بجزيرة البيلوبونيسوس والذي كان دائم الزيارة للجبل المقدس لمدة ٤٠ عامًا، أن مجموعة مسيحيين أتقياء قامت ذات مرة بزيارة قلاية البار بطرس الآثوسي. فوجدوا الشيخ إسيذوروس، أما تلميذه، الذي أرادوا أن يروه، فلم يجدوه هناك لأنه كان غائبا. فقد أرسله الشيخ إسيذوروس (رقد عام ٢٠٠٠) إلى "كريا نيرا" قائلاً لهم إنه هناك ليجمع كَسْتَن. اذهبوا لتروه وتعالوا ثانية.

ذهب الزوار الى "كريا نيرا" ووجدوا التلميذ يجمع كَسْتَن وظلوا هناك ليساعدوه وعندما جمعوا قدرا كافيا قال لهم الراهب:

- كفى الآن، ولنسترح قليلا ثم نمضي إلى قلايتنا لأن الشيخ وحده.

وهناك حيث جلسوا ليستريحوا، ظهر لهم راهب ضعيف جدًا مثل البرق بدون أن يعلموا من أين أتى، وكان يرتدي ملابس نسك ومعه مِخْلة على كتفه. وبعد التحيات تبادلوا الأحاديث، ثم تركهم معطيًا إياهم بعض ثمر الكمثرى البرية ومثل الظل مضى واختفى دون أن يدركوه.

وأثناء انصراف الزوار من "كريا نيرا" علقوا على لقاءهم مع الراهب المجهول وظهوره، معربين عن رأيهم المشترك بأن هذا قد يكون أحد متوحدي جبل آثوس.

٤٦. ناسك مجهول ذو لحية طويلة

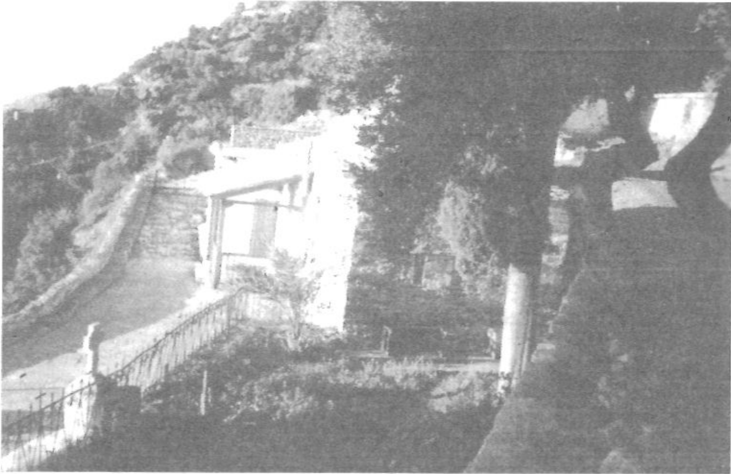
زار أحد طلاب اللاهوت الأتقياء من قبرص، (وهو اليوم راهب بدير كيكوس في قبرص)، الجبل المقدس بغرض نوال البركة. مساء مكث في دير ديونيسيوس وفي اليوم التالي وبعد القداس الإلهي ومأدبة الفطور تحرك على قدميه إلى دير القديس بولس، حوالى ساعتين سيرًا على الأقدام. في منتصف الطريق بين الديرين قابل هذا الطالب راهبًا مجهولاً كان ذاهبا نحو دير ديونيسيوس. كان هذا الراهب يرتدي ثيابًا نسكية رثة وعلى ظهره مِخْلة وله لحية طويلة تصل إلى ما قبل ركبتيه قليلا وقد مررها من حزام وسطه.

وما أن تقابلا وحيا أحدهما الآخر حتى سأله الطالب الشاب عن موضوع التناول الإلهي فأجاب الناسك على كل أسئلته ومعضلاته عن هذا الموضوع.

بعد قليل، عندما أدركا أنهما استراحا من السير، توقفا عن الحديث وبعد أن حيا أحدها الآخر ثانية استمر الناسك المجهول في طريقه نحو دير ديونيسيوس والطالب في مسيرته نحو دير القديس بولس. وعندما ذهب الطالب بضع أمتار استدار ليرى للمرة الأخيرة ذلك الناسك، ولكن بطريقة غريبة لم ير أحدا في الطريق.

٤٧. وقوف في القداس ووقت التناول الإلهي

في إسقيط القديسة حنة، منذ زمن بعيد كانت توجد عادة ونظام أن يصلوا يوميًا القداس الإلهي في مدفن الإسقيط، في كنيسة صغيرة باسم "نبع الحياة" التي توجد هناك. وأذكر أن كل أسبوع كان يقوم راهب من الإسقيط ككاهن دوريات بعمل القداسات. فالقداسات اليومية كان يقيمها في المدفن، أما قداسات الأحاد (أو/ والأعياد الكبرى) فكان يصليها في الكنيسة الرئيسية.



مدفن إسقيط القديسة حنة

وقد حكى لي كهنة دوريات قديمًا أنهم كثيرًا ما كانوا يناولون رهبانًا مجهولين هناك في المدفن وكانوا يبدون نحفاء، صائمين، شاحبين،

ظهروا هناك بملابس كهنوت بالية ، بثياب رثة، صامتين، منتبهين، خلال وقت الذبيحة غير الدموية. بعض الأحيان كان هؤلاء النُسّاك والرهبان الذين بلا مأوى وبلا قنية يذهبون قبل أن يفتح المدفن ويطوفون ملاحظين الصلبان وقبور الرهبان المدفونين هناك، متأملين في بُطل العالم، مصلين حتى يأتي موعد القداس الإلهي. وعندما كانوا يسمعون ضوضاء أو أقدام إنسان كانوا يختبئون. وعندما يكون الطقس باردًا كانوا يختبئون في مكان للخيول أو في أعشاب البغال الجافة هناك بجانب مما كان لدى الحمّارين.

وعندما كانوا يتناولون من الأسرار الطاهرة كانوا يمضون مباشرة بعد القداس الإلهي إلى أماكنهم البرية، ليهربوا من مخالطة الناس والكلام الباطل.

ويجب أن نشير هنا إلى أن القداس الإلهي في مدفن الإسقيط كان ينتهي ليلاً وخاصة خلال أشهر الشتاء.

٤٨. اختفاء رهبان

في العام ١٩٨٤، اختفى الراهب الشيخ سيرغيوس من كوخه في إسقيط إفيرون. كان شيخًا متقدمًا في العمر وأحد الهدوئيين الأفاضل شيوخ الإسقيط وكل الجبل المقدس. ظلت أبواب كوخه مفتوحة لأيام

كثيرة حتى تأكد جميع الآباء أنه غير موجود. وأخيرًا لم يعثروا عليه، لا حيًا ولا ميتًا.

وقد اختفى أيضًا بعد ذلك الأب الروحي الشيخ نكتاريوس لعدة سنوات، والذي كان متوحدًا هدوئيًا في منطقة كابسالا في كوخ يوجد يسار الطريق المؤدى من كارييس إلى دير إفيرون، ولا يبعد كثيرًا عن الجسر والدوران الكبير في كابسالا. وهو أيضًا اختفى ولم يُعثر عليه لا حيًا ولا ميتًا.

خلال نفس الفترة تقريبًا اختفى أيضًا الراهب مارتينيانوس من قلايته في دير "جميع القديسين" بكابسالا، وكان سابقًا في دير ذوخياريوس و في بداية خروجه من حياة العالم تنسك لفترة زمنية في دير القديس سابا بفلسطين. كان راهبًا فاضلاً ومجاهدًا، وكان يتناول باستمرار ومحبًا شديدًا للهدوء والصلاة والسيرة النسكية - التوحدية. وقد عزا بعضهم اختفاءه إلى أنه تبع "النُسّاك غير المرئيين".

وعندما مضى المغبوط الشيخ بورفيريوس من الكافسوكاليفيا بالجبل المقدس، ترك في الكوخ الذي يتنسك فيه شيخين. وبعد زمن رقد واحد منهم بسلام. ولم يمض وقت طويل حتى اختفى الآخر بطريقه عجيبة جدًا. ولم يُعثر عليه في أي مكان رغم استدعاء الشرطة أيضًا. وحتى هذا اليوم يُعد مفقودا رغم مرور ٧ عقود.

وفي شتاء العام ١٩٩٩ اختفى الراهب الهدوئي خارالمبوس من مقعد دير ديونيسيوس المقدس الذي على اسم "القديس أونوفريوس". هذا المقعد

يوجد على بُعد مسافة كافية فوق الدير الأعلي. ويقول البعض إنه غرق في النهر الذي يمر بجوار كوخه (لأن الطقس ساء في تلك الأيام وقد وجدوا ثيابًا خاصة به هناك)، والبعض الآخر يقول "قد أخذه النُسّاك غير المرئيين".

وعندما قَصّ البعض بعد ذلك قصة اختفاء الراهب المشار إليه سابقًا على الأب الروحي المريض الهرم مكسيموس الإيفيريتي (رقد في الرب بعد ذلك) قال لهم: "قد أخذه النُسّاك غير المرئيين معهم".

وعندما سأل البعض المغبوط الأب الروحي مكسيموس عن مكان وجود هؤلاء النُسّاك غير المرئيين الآن قال إنهم في الفترة الأخيرة يوجدون في جبال اللافرا الكبرى. وفي الشتاء ينزلون إلى المنطقة التي تدعى "السيد إشعياء". أما في الصيف فيصعدون إلى جبال "كريا نيرا".

ويوجد تقليد في الجبل المقدس - البعض يعتبرونه حقيقة والبعض الآخر يعتبرونه أسطورة - وهو عندما يُفقد راهبٌ يقولون: "قد أخذه النُسّاك غير المرئيين" أو "قد تبع النُسّاك غير المرئيين".

٤٩. شهادة زائرين قبرصيين

زار اثنان من قبرص الجبل المقدس خلال شهر مايو / أيار من العام ١٩٩٨. وخلال زيارتهما لدير سمعان بطرس سألا الراهب أثناسيوس الذي من هذا الدير إن كان يوجد اليوم في جبل آثوس رجال يتنسكون في

مغائر. فقَصّ الأب أثناسيوس على مجموعة الزوار ما يلي (وهذا حكاه أحد الزائرين):

"كان الأب أثناسيوس وراهب آخر من دير سمعان بطرس موجودين لعمل ما أعلى الدير (لا أتذكر سبب تواجدهما هناك، ولكن أعتقد أنه من أجل تنظيف طريق ما). وحدث أثناء الشغل أن وجدا شيئًا يشبه الطريق داخل زرع كثيف. فقررا أن يفتحا ممرًا لينظرا إلى أين سيؤدي بهما.

وصلا إلى منطقة نائية حيث تأكدا من الوهلة الأولى أنه لا يوجد فيها شيء، وتساءلا لماذا يوجد هذا "الممر". ولكن بنظرة ثانية تنبها إلى بعض النتوءات الصخرية المنحدرة التي تؤدي إلى الجانب غير المرئي. أما الراهب الآخر، الذي كان مع الأب أثناسيوس فاضطرب وبعد قليل نادي الأب أثناسيوس قائلاً:

- أيها الأب لقد وجدنا كنزًا.

وشرح له بعد ذلك أنه يعنى أنهما وجدا مغارة ناسك، فيها ثياب كهنوت بالية، وبعض الخبز الجاف ، وإناء به ماء ولوحة رقاد أو أخشابًا للسرير.ناديا ، ولكن لم يتلقيا جوابًا. ولأن الوقت كان متأخرًا فقد قررا أن يهبطا إلى الدير ويعودا اليوم التالي ليبحثا بأكثر دقة وعندما عادا اليوم التالي لم يجدا شيئًا داخل المغارة".

٥٠. زوار ليل عجيبون في "باناجيا"

بحسب رواية زائر تقي من رودس، قام هو واثنان آخران بزيارة الجبل المقدس قبل ست سنوات تقريبا عام (١٩٩٨). صعدوا إلى قمه آثوس، حيث توجد كنيسة "تجَلى المسيح" وبعد أن سجدوا وصلوا، وإذ كان مساء ولم يدركوا أن يذهبوا إلى أي إسقيط أو دير ليقضوا الليل هناك، صعدوا وظلوا في موضع يدعى "باناجيا"، حيث توجد غرفة واسعة يأكل فيها المحتفلون بعيد التجلي. ففتحوا جوالات النوم الخاصة بهم وتمددوا على الأرض إذ كان شهر يوليو / تموز، ليناموا.



موضع الصليب حيث يبدأ الطريق الصاعد إلى باناجيا وقمه جبل آثوس

بعد منتصف الليل بقليل دخل بعض الناس إلى باناجيا، وفتحوا الباب وتمشوا في المكان وعندما وجدوا مكانًا تمددوا على الأرض هم أيضًا. ولكن لم يكن معهم إضاءة ولا كشاف. يقول الزائر إنه سمع صوت فتح الباب ودخل تقريبًا ستة أو سبعة أشخاص، كما فهمنا من وقع خطواتهم، ثم سمعنا صوت طرق عندما تمددوا على الأرض. تمتموا شيئًا مثل الصلوات ثم تمددوا في الحال وبعدها ساد صمت رهيب.

عندما استيقظنا صباحًا، كما يحكي الزائر ، تأكدنا أن ضيوف الليل في "باناجيا" لم يكونوا موجودين في الغرفة. يا له من أمر عجيب! حينئذ ذهب عقلي في الحال إلى أولئك النُسّاك غير المرئيين السريين لأنني كنت قد قرأت شيئًا عنهم. وما تعجبت منه هو أنهم كانوا يسيرون ليلاً بلا ضوء وليلاً أيضًا اختفوا.

٥١. ناسك مجهول في "كوكوزيليكا" العالية

خلال شهر مايو / أيار من العام الماضي ٢٠٠٣، حدث أن ذهبت بركوبة حتى منطقة "خائيرى" لأجمع شاي أو ما يقال له النعناع، الذي ينمو بكثرة في ذلك المكان. وبعد جمع هذا النبات صعدت أعلى قليلا إلى طرف الجرف الذي يُدعى "كوكوزيليكا" العالية، حيث يوجد كوخ صغير مبني منذ زمن. هذا الكوخ يدعى "كوخ الماعز"، لأن مربي ماعز اللافرا كان يقيم فيه قديمًا، عندما كان يوجد ماعز. هذا الكوخ مبني في

جوانبه الثلاثة بالحجارة والجير، في حين أن جانبه الشمالي صخرة مجوفة. أي أن هذا الكوخ نصفه مغارة ونصفه الآخر حجارة، ولكنها صغيرة جدًا. أي أنها موتدة في جزر الجرف. وكان يوجد قديمًا حول هذا الكوخ حظيرة ماعز. أما اليوم فقد زرعوا فيه أشجارا برية.

ذهبت حينذاك لألتقط صورا لكوخ الماعز هذا فرأيت في الخارج مسبحة معلقة في شجرة وبجانب كوخ الماعز على صخرة مثل كرسي توجد فروع أشجار مقطعة حديثًا ومثبتة داخل كوخ الماعز كمقعد. ورأيت داخل كوخ الماعز سريرًا خشبيًا للنوم وجوالاً صغيرًا به خبزًا جافًا وجركن به تقريبًا عشرون لتر ماء. ففهمت للتو أن أحد النُسّاك كان يعيش هنا. ناديت مرتين وثلاثة ولكن لم يجب أحد.

وعندما زرت الكوخ الصغير مرة أخرى بعد عدة شهور لم يكن هناك أحد ولم توجد المسبحة في مكانها[٦٤].

٥٢. ناسك آخر عريان في الغابة

خلال شهر مايو / أيار من العام الماضي ٢٠٠٣ تقابلت في دير اللافرا الكبرى مع زائرين روسيين، أحدهما كاهن والآخر علماني، بائع كتب من موسكو. فقالا لي (من خلال راهب روسي تحت الاختبار

---

[٦٤] ما يجب أن ننتبه إليه هنا هو أن البرية ليست بالمكان غير الخطير بالنسبة للرهبان غير الناضجين روحيا، بسبب فخاخ العدو وحيله.

كمترجم) إنه خلال اليومين الماضيين أقاما في أماكن برية وهي دير "القديس نيلوس" و"كريا نيرا" وفي آثوس. وبعد أن سجدا في مغارة القديس نيلوس الميروفليتى، أخذا بعد ذلك الطريق الصاعد الذي يؤدي إلى دير "القديس نيلوس"، نحو "كريا نيرا". بعد قلاية "القديس إفثيميوس" بقليل توقفا ليستريحا قليلاً، وكانا يراقبان آثوس بعدسات مكبرة. وعندما استكشفا جبل آثوس جيدًا، أدارا العدسات المكبرة نحو غابة "كريا نيرا". هناك تفاجئا برؤية ناسك عريان. شاهداه كلاهما، فوضعا علامة للمكان، وعندما ذهبا ثانية هناك، وبحثا كثيرًا ونايا كثيرًا لم يشاهدا أحدًا ولم يتلقيا ردًا من أحد[٦٥].

٥٣. متوحدان معاصران

كما هو دائمًا وكذلك اليوم يوجد نُسّاك ومتوحدون في الأماكن البرية من جبل آثوس. ولم ينقطع أبدا مثل هؤلاء النُسّاك المحبون والعاشقون للوحدة، وللحياة الرهبانية التي في المسيح. ومنذ أن سُكِن جبل آثوس حتى اليوم لم يغب الذين يفضلون حياة الوحدة والهدوء. فقد أطلق عليهم

[٦٥] بحسب الروايات الحالية معظم النُسّاك العرايا سواء القدماء أو المحدثين شوهدوا في منطقة "كريا نيرا". وطبقا للشهادات الموجودة فإنهم يخرجون ليلاً ليستقوا مياههم، لأن آبار "كريا نيرا" توجد على الطريق وهكذا يتحاشون أن يذهبوا نهارا هناك لكي لا يراهم المارة.

الكثيرون اسم "قوات مغاور الرهبنة"[٦٦]. مثل هؤلاء يفضلون حياة الوحدة بدون أن يخافوا من شياطين أو من أمراض أو من جوع أو من عناصر الطبيعة أو من وحوش الغابات أو من زواحف أو حتى الخوف من الموت، لا يعرفونه، بل يرغبونه، حتى يذهبوا مبكرًا إلى جانب المسيح، رئيس الحياة، ومصدر النور. مثل هؤلاء يوجدون حتى اليوم ولكنهم قليلون.

وخلال بحثي الذي قمت به في البراري المحيطة بآثوس، ليس في الأماكن العالية بل المنخفضة، قابلت متوحدَيْن. أحدهما قابلته في منسكه، والآخر بعيدًا عن منسكه وهكذا، بالنسبة للأخير، لم أعرف عن كَثب مكان إقامته، الذي كان يفضل أن يحتفظ به سرًا.

أحدهما كان يوناني الأصل، وعمره تقريبًا ستون عامًا أو خمسة وستون، أما الآخر فهو من بلاد مولدافيا في منتصف العمر تقريبا (حوالي خمسة وثلاثين عامًا).

هذا الراهب الشاب كان ينام ثلاث ساعات فقط في اليوم، منشغلاً بالصلاة الذهنية (القلبية) ودراسة الكتب المقدسة وكتابات الآباء. وكان يتبع الطقس الهدوئي للذي للقديس طيب الذكر الشيخ يوسف الهدوئي.

وذات مرة مرض هذا الناسك وكان يتألم كثيرًا من الكُلى ولم يقدر أن يعمل عملاً روحيًا ولا جسديًا. فاضطر أن يذهب إلى أبيه الروحي ليستشيره.

---

[٦٦] الكلمة في اليونانية الواردة هنا هي (καταδρομέας) وتعني عضو فرقة عسكرية تدربت لتقوم بهجمات مفاجئة ضد أماكن العدو.

- ماذا أفعل يا أبي، قال لأبيه الروحي. فلدى فكر أن أمضي إلى العالم وأذهب إلى طبيب للفحص لأري ماذا لدي. فبماذا تشير علي؟

فكر الأب الروحي قليلاً ثم أجابه قائلاً:

- لا، لا تخرج خارجًا. أنت ناسك والسيدة العذراء تحمي كثيرًا النُسّاك، لأنهم وجهوا كل اهتمامهم نحو الله ورجاؤهم فيه. ومن جهة أخرى فقد وَعَدَتْ الرهبان الأجيوريتيين في كل العصور أن تكون راعيه لهم، ومُطْعِمة وطبيبة لمن يؤمنون بوعدها ويصبرون. تضرعْ إلى السيدة العذراء مرة واحدة في اليوم وأنا أؤمن أن الفائقة القداسة سوف تخلصك من تعبك هذا.

بعد أن أخذ مشورة أبيه الروحي ذهب الناسك إلى منسكه وتضرع إلى السيدة العذراء كل يوم. ولم يمض وقت طويل حتى سقطت حصوة أثناء تبوله. وفي ظرف أسبوع تقريبًا سقطت حصوة أخرى وهكذا تخلص من آلام مبرحة. فقد كان يعاني من حصوات في الكُلى.

أما الناسك الآخر اليوناني، فكان يقيم في منطقة أخرى غرب آثوس. وكما حكى لي هو نفسه أنه في بداية حياته التوحدية أقام لمدة تسعة شهور تقريبًا في مغاره مبنية. وهناك قضى حياة روحية مباركة بصلوات كثيرة وجهادات وسهر روحي. ولكنه مضى من هناك بسبب رطوبة المغارة وبسبب مضايقة السناجب له[٦٧]. فبينما هو نام ذات ليلة صعدت

---

[٦٧] هذه الحيوانات هي نوع يجمع بين الفئران والسناجب، فهي مثل الفئران الضخمة ولكن ذيلها كثيف. وهى توجد بكثرة في الجبل المقدس.

على صدره وأخذت تقفز، ولم تتركه ينام ليلته. بعد ذلك ترك هذه المغارة وذهب أعلى بقليل وبنى في موضع قفر كوخًا فقيرًا. ولكن السناجب خرجت له مرة أخرى وظهرت له ليلاً وبدأت تأكل من الفتات الذي كان يلقيه لهم. ومن المعروف أن السناجب حيوانات متوحشة، لا تقترب من الإنسان، ولكنها في مثل هذه الحالة كانت تمثل "استثناء".



داخل مغارة حيث يوجد السرير الذى كان ينام عليه الناسك المعاصر



مغاره بباب ونافذتين صغيرتين، حيث عاش لفترة زمنية الناسك المعاصر

في بداية حياته التوحدية كانت التجارب تأتيه من البشر، أما الآن فتأتيه في وحدته من الشياطين. فقد قال لي:

- "مفيدون هؤلاء أيضًا. فإنهم يوقظونني عدة مرات للصلاة. ليس أنهم يوقظونني لأُصلّى، ولكن بعد مضايقات كثيرة وتجارب أستيقظ وأقوم للصلاة، وهكذا يمضون ويتركونني هادئا قليلاً".

وقد تحققت تمامًا من أن هذا الشيخ له حياة سهر مباركة وبساطة وفقر وعدم إدانة القريب. فقد قال لي:

- "لا إبليس ولا الشياطين يجب أن نلعنهم! لأن هكذا سيعتاد اللسان على اللعن ثم نلعن الناس. بل لنَقُل ما قاله رئيس الملائكة ميخائيل وهو ينتهر الشيطان ليمنع مشيئته في الاقتراب من جسد موسى

النبي لكي يضلل الشعب: "وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ: «لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ"، فلم يقل له أنا أنتهرك بل "الرب ينتهرك". فيجب أن نأخذ نحن أيضًا مثالاً من الكتب المقدسة. وقال أيضًا:

- الحكمة الإلهية[٦٨] لا تُقتنى بالدراسات والعلوم، بل تأتى مجانًا من الله للإنسان المتواضع خائف الله. فمن العُلى منشاؤها، من الروح القُدُس.



المدخل إلى كوخ الناسك الجديد

[٦٨] ليس المقصود هنا هو بدعة "الثيوسوفيزموس" أي "الانشغال بالحكمة الإلهية"، بل الحكمة التي هي موهبة من مواهب الروح القدس.

٥٤. ظهور ثلاثة رهبان شيوخ واختفاؤهم

ذات مرة كان الشيخ الأب دانيال (عاش نحو نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)، من مكان هدوء البار بطرس الآثوسي، على وشك أن يقوم بخدمه القداس الإلهي، ومن المساء ذهب إلى جبال مكان الهدوء ونادى من السَدّ أحد جيرانه الرهبان، الذي كان يتنسك أسفل في دير "القديس سمعان الثيوذوخوس"، داعيا إياه أن يساعده في القداس الإلهي والذي كان سوف يقيمه صباح اليوم التالي. فاستجاب الراهب ووعده بأن يأتي باكرًا جدًا ليساعده في القداس الإلهي.

في صباح اليوم التالي مرض الراهب ولم تدعه الحُمى أن يخرج من قلايته. وفي تلك الأثناء كان الأب دانيال قد ارتدى ثيابه الكهنوتية للخدمة وقام بخدمة الاستعداد وظل منتظرًا مجيء الراهب ليقوم بدور المرتل في القداس الإلهي. وبينما هو ينتظر ظهر في الكنيسة الصغيرة ثلاثة رهبان. وبعد أن رحب بهم، اقترح أن يقوموا بدور المرتلين. قال لهم الله أرسلكم لتساعدوني في القداس الالهي. فرتل أحدهما في الخورس اليمين والآخر في الشمال والثالث فقام بدور الكنائسي.

وعندما انتهى القداس الإلهي سألهم الأب دانيال من أين أتوا وما هي أسماؤهم. أما هم فقالوا له إنهم من دير إفيرون وأسماؤهم هي: إفثيميوس ويؤانس وغيورغيوس. ولكن عندما انتهى هذا القديس من خدمة القداس الإلهي وخرج خارجًا ليقدم لهم شيئًا ليأكلوه، كانوا الثلاثة قد اختفوا.

وهكذا أدرك أن هؤلاء الثلاثة الزوار المجهولين كانوا رؤساء دير إفيرون وهم القديسون إفثيميوس ويؤانس وغيورغيوس، وقد أرسلتهم العناية الإلهية ليساعدوه.

٥٥. ناسك مغائري معاصر

قَصّ عليّ شاب تقي اسمه أنطونيوس من إفروس بثراكي، وقد جاء ليأخذ بركة جبل آثوس وقد أفصح عن رغبته في أن يترهب ويرتدي الزي الرهباني، قَصّ عليّ عندما زارني الآتي:

تقابل مع أخ تحت الاختبار من دير كوتلوموسيوس، الذي قَصّ عليه أنه قبل أن يذهب إلى هذا الدير ليترهب طاف بأماكن كثيرة في آثوس وخاصة الأماكن البرية، وقابل شيوخًا وقديسين أتقياء ونال بركتهم وانتفع من الحديث معهم.

في أحد الأماكن غير الممهدة الصخرية قابل ناسكًا فقيرًا معدمًا في مغارة. وعندما رآه الناسك اضطرب ولم يتحدث إليه مطلقًا. احترم الأخ هدوء الناسك، وعندما أدرك أن وجوده يزعجه ذهب وانحنى أمامه صانعًا له ميطانية وبعدما نال بركته استدار ومضى دون أن يزعجه أكثر. ورغم أن الشاب أنطونيوس حاول أن يعرف من الأخ مكان مغارة الناسك إلا أنه لم يستطع.

وحكى له الأخ السابق ذكره أيضًا أنه كان يجتاز ذات مرة في أماكن غير مطروقة تحت جبل آثوس، وجد مغارة كان يوجد فيها عظام تبدو أنها لأحد النُسّاك.

٥٦. اكتشاف مغارة ناسك قديس مجهول الاسم وعظامه

في قلاية "السابق المكرم"، والتي توجد خارج كارييس، كان شيخ بسيط ذو ثلاثة وتسعين عامًا يُدعى داماسكينوس[٦٩]، يعيش حياة هدوئية. ويقولون إنه الشيخ الأجيوريتى الوحيد الذي عاش أكثر من أي راهب آخر في جبل آثوس. فله في الجبل أربعة وثمانون عامًا! حيث أتى إلى الجبل في سن الثامنة وعاش بالقرب من شيخ قلايته الذي كان قريبه، أعتقد كان عمه. وهو ينحدر من إبيرسوس بخالكيذيكي.

وكان للشيخ داماسكينوس تعاون وصداقة مع شيخ قلاية "دخول والدة الإله" في كيراسيا وهو الأب الروحي إيروثيوس. فمرات كثيرة كانت الحيوانات والبغال الخاصة بالشيخ إيروثيوس تأتى لخدمه قلاية "السابق المكرم" والعكس، فقد كانت حيوانات الآخرين تذهب إلى كيراسيا لخدمة قلاية "دخول والده الإله" أي كانت مساعده متبادلة.

وذات مرة حيث كان الشيخ داماسكينوس (وهو في سن الخامسة والعشرين) موجودًا في كيراسيا وكان يساعد الأب إيروثيوس حدث أن

---

[٦٩] رقد هذا الأب خلال شهر أغسطس / آب من العام ٢٠٠٤.

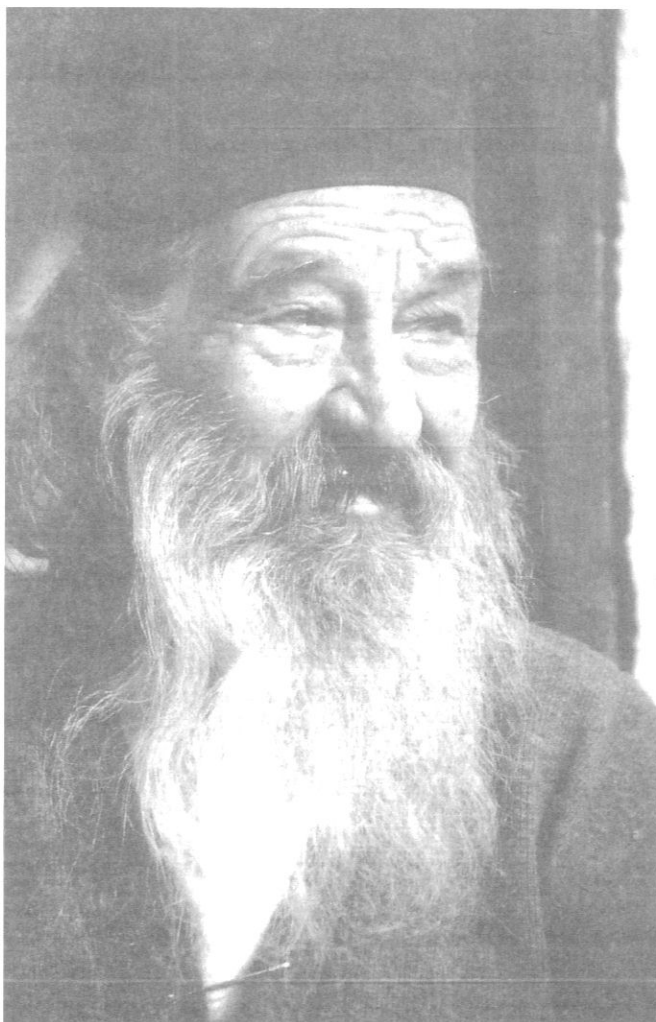
تواجد بصحبتهم علمانيان عاملان وكانا على الأرجح بناءين. هذان البناءان كانا يعملان أيامًا طويلة وكانا يتذمران على الأب إيروثيوس لأن الطعام الذي كان يقدمه لم يكن يروق لهما لأنه كان طعامًا بسيطًا ونباتيًا وهما لم يأتيا ليصيرا راهبين بل ليعملا ويأكلا جيدًا وكانا يطلبان خاصة اللحوم. وكانت معهما أسلحة صيد وكانا يطلبان من الرهبان هناك أن يرينهما المكان الذي توجد فيه الخنازير البرية. فلما سمع الراهب داماسكينوس قال لهما:

- أنا أعرف مكانا ترعى فيه خنازير، لأنني رأيت منذ أيام حوافرهم.

أخذ العاملان الراهب داماسكينوس معهما ليريهما المكان. وسلكوا الطريق المؤدى إلى كيراسيا نحو إسقيط القديسة حنة. وهناك حيث يوجد طريق منحدر صخري نحو إسقيط القديسة حنة على اليمين يوجد بيت صغير بجانب الطريق، مفتوح بدون باب وعن يمينه يوجد مقعد طويل ضيق لراحة الرهبان العابرين والزوار. في الوسط يوجد نبع مياه صغير ليشرب منه العابرون ويتبردون. من هذه النقطة، يقول الشيخ داماسكينوس، ضلوا الطريق إلى أماكن صخرية ذات زرع خفيف. هناك وجدوا خنزيرا بريا فضربه أحدهما بسلاحه.

رأي الراهب داماسكينوس أن الخنزير البري قد جُرح وجرى نحو المنحدر. فتبعه ورأى أن الوحش ذهب أسفل الجرف واختفى. وعندما ذهب بالقرب منه رأى أنه توجد فتحة في الصخرة وقد دخل فيها الخنزير. نادى الراهب داماسكينوس على الآخرين وعندما أتيا قرّرا أن يضيئا نارًا ليجبرا

الوحش على الخروج. فأشعلا شعلة ووضعاها في فم المغارة. وما أن اشتم الخنزير رائحه الدخان ورأى النار حتى قفز في الحال خارجًا وهكذا ضربه الصيادان بالسلاح وقضيا عليه.



الشيخ داماسكينوس ٢٠٠٤ م

وبينما كان العلمانيان ينقضان على الخنزير أضاء الراهب داماسكينوس نارًا ودخل ليرى ماذا يوجد في الحفرة. وعندما دخل داخل الحفرة وجد أنها مغارة. نظر بتعجب فرأى في ركن رفاتٍ لم تتبق منها سوى عظام بلون أصفر مثل الذهب وتفوح منها رائحة عطرة، كما قال لنا الشيخ داماسكينوس. وبينما هو يبحث بضوء المشاعل وجد في المغارة وعاءين من المعدن. وما أن كشف الغطاء عن أحدهما حتى رأى خبزًا جافًا لم يُمسّ في حالة جيدة جدًا.

- فتحت الوعاء الآخر وعندما كشفت الغطاء الخشبي امتلأ المكان برائحة عطرة. رائحة تشبه رائحة الريحان. ورأى أنه يحتوي على ماء وربما كان ماء مقدسًا.

وعندما خرج من المغارة أخذ الثلاثة الخنزير البري وذهبوا إلى قلاية "دخول والده الإله" في كيراسيا. وعندما قصّوا على الشيخ إيروثيوس ما رأوه واكتشفوه في البرية وفي المغارة التي قادهم إليها الخنزير قال لهم:

- ليس الخنزير هو الذي قادكم إلى هذا المكان، بل الله لتكتشفوا هذا الكنز المقدس. هذا كان رجلاً قديسًا. فبعض الآباء قديمًا كانوا يقابلون في تلك الأماكن ناسكًا، ولكن لم يستطيعوا أبدًا أن يتحدثوا معه، لأنه عندما كان يشعر بوجود إنسان كان يختبئ في الغابة ويختفي.

قال الراهب داماسكينوس للشيخ إيروثيوس:

- وأنا يا أبي، قبل عشر سنوات، قابلت ناسكًا في هذه المناطق ولكن لم أستطع أن أقترب منه. فقد اختفى من أمامي، واختبئ ولا أعرف ماذا حدث.

فقال الأب إيروثيوس:

- ورهبان آخرون عندما أدركوا وجوده، لم يروه آخر عشر سنوات، فقد اختفت آثاره. فبالتأكيد المكان الذي اكتشفتموه كان هو مخبأه.

وقد أرسل بعد ذلك الشيخ إيروثيوس الراهب داماسكينوس ليذهب ويحضر له رفات ذلك القديس المجهول. ولكن داماسكينوس رفض متعللاً بصعوبة المسيرة إلى هناك وبسبب مكانها الصخري غير الممهد. ولكن الأب إيروثيوس أقنعه أخيرًا بعد أن طلب من راهب آخر أن يرافقه، وأعطى الاثنين قطعة من العملة كهدية.

وهكذا بعد أن أخذا جوالاً نظيفًا ومصابيح زيت ومشاعل، إذ لم توجد بعد كشافات، تحركا نحو ذلك المكان. وأخيراً وجداه ووصلا حتى فم المغارة فقال داماسكينوس للراهب الآخر:

- ادخل أنت أولاً.

ولما كان الراهب الآخر خائفا قال له:

- لا، أنا خائف، ادخل أنت أولاً.

وهكذا دخل داماسكينوس أولاً إلى المغارة بعد أن أشعلا المصابيح والمشاعل. أخذا الخبز الجاف وأكلاه كنوع من البركة وأخذا وجربا الماء

المقدس المعطر الذي كان في القنينة الأخرى. ووجدا داخل المغارة مسبحتين معلقتين، إحداهما ذات ثلاثين عقدة وهذه أخذها داماسكينوس والأخرى ذات مائة عقدة وهذه أعطاها للراهب الآخر.

وبعد أن وضعا الرفات في الجوال بحرص بالغ أخذا مصابيح الزيت ونقلا العظام إلى قلاية "دخول والدة الإله" في كيراسيا.

وبعد سنوات أخبرنا الشيخ داماسكينوس أنهم نقلوا رفات الناسك إلى كوخ في إسقيط القديسة حنة.

وقد حدث اكتشاف مغارة هذا الناسك القديس ورفاته حوالي عام ١٩٣٧.



صورة للمنطقة التي اكتشفت فيها رفات الناسك المجهول. وفى الوسط يلاحظ قلاية القديس أرتميوس

هذا الناسك المجهول تناسبه هذا القطعة من عظة للقديس إفرام السرياني إلى "الآباء المنتقلين":

"لا يهتمون بالقبور، لأنهم موتى ومصلوبون للعالم لأجل رغبتهم في المسيح. لأنه حيث يحل أحدهم صومه، فهناك في نفس المكان يصير قبره. بعضهم، بينما يحنون ركبهم للصلاة، رقدوا في هدوء أمام السيد. وآخرون، بينما يستندون إلى الحائط، أسلموا الروح إلى سيدهم. وآخر، بينما يسير على الجبال، رقد فصار مكانه مدفنه وقبره. وآخر، بعد ما رشم ذاته (بعلامة الصليب)، دُفن معتازًا في نعمة السيد. وآخر، بينما يرعى في مرعى سيده، نعس ولفظ أنفاسه على مائدته. وآخر، وهو واقف على الجبل ليصلي ويسبح، جاءه الموت وأنهى صلاته. كل هؤلاء ينتظرون الصوت الذي سوف يقيمهم، فيزهرون كزهور تفوح عطرًا".

إلى الناسك المجهول

أيها الهدوئي مجهول الاسم، محب الرب،
احتقرتَ كل شيء حتى مُتع الحياة،
سعيتَ وراء النعمة فنلتَ، أيها الحامل الإله،
نعمة سيدك المشتهى في حضنك الروحي.

رفضتَ العالم وأتيت إلى جبل آثوس،
اقتحمتَ البرية ودخلت إلى مغارة،
وكانت لك محبة المسيح في داخل قلبك،
فاشتركت في أسرار الله بتمتع.

ليلاً ونهارًا صلاة، غير عابئ بشي، بل تقي،
نقضتَ ظلمة الشرير وسجسه،
صرتَ إناء، أيها الحكيم، للنعمة الإلهية،
ونهضتَ غالبًا رائعًا في التجارب.

٥٧. ناسك مجهول بين جبل آثوس ومقابله

قام زوار أتقياء من روسيا، رهبانًا وكهنة من لافرا القديس سيرغيوس رادونيز ومعهم علمانيون أيضًا أتقياء، بزيارة الجبل المقدس وذلك في صيف عام ٢٠٠٤. وبعد أن نالوا بركة أديرة عديدة وكنائس وأساقيط ورفات مقدسة صعدوا إلى قمة جبل آثوس.

هناك في الأعالي، بعدما أخذوا بركة كنيسة تجلي الرب يسوع، خرجوا فرأوا منظرًا بانوراميًا في كل الأفق. وكان مع أحد الزوار آلة تصوير فحاول أن يقترب أكثر ويلتقط صورًا لأكمة معقوفة مقابل آثوس. وبينما هو يضبط عدسة الكاميرا وعلى وشك التقاط الصورة رأى بين آثوس ومقابله ناسكًا في الغابة. حاول الزائر أن يوجه عدسة الكاميرا نحو مكان الناسك ليلتقط له صورة لكن الناسك بطريقة عجيبة كان قد اختفى. حاول الزائر عدة مرات أن يحدد مكان الناسك الذي رآه فيه ولكن دون جدوى. فقد اختفى الناسك. وكان المكان الذي شوهد فيه موحشًا فلم يكن فيه لا طريق ولا ممر، فمثل هذه الأماكن يختارها النُسّاك الذين يرغبون في هدوء حقيقي.

أخذ شيخان تقيان من اللافرا[٧٠]، في يوم الثلاثاء التالي لعيد القيامة حوالى عام ١٩٨٢، بعد الابتهال والتقديس الذي يحدث في مرفأ اللافرا الكبرى، أخذا قارب إبيرسوس وأقلعا إلى مرفأ دير خيلانداري ثم بعد ذلك أرسل لهما الدير جرارًا لنقلهما لأخذ البركة، وهناك باتا ليلتهما.

وكان رئيس الدير وقتها هو المغبوط الراهب الأب بابيسيوس[٧١] الراهب الفاضل التقي، الذي استضافهما بمحبة كبيرة.

في المساء كانوا يتناقشون، فدار حديث عن النُسّاك غير الظاهرين في الجبل المقدس، الذين غابوا عنه الفترات الأخيرة. فانتهز راهِب صربي فرصة المناقشة وقال لآباء اللافرا ما يلي:

"عندما كان شابًا أُرسل من الدير مع راهب آخر إلى حدود دير خيلانداري ودير إسفيجمينوس لينظفا طريقًا. وعندما اشتغلا وقتًا كافيًا، رجعا مساء إلى الدير لحضور صلاة العشية وللقيام بواجبتهما الروحية. في المساء، وبينما كان الأب بابيسيوس نائمًا ليستريح رأى في المنام راهبًا مجهولاً يلكزه في جنبه ويقول له: "إن قمتما بتنظيف ٢٠- ٣٠ مترًا أو

---

[٧٠] المقصود هنا هما الأبوان المحبوبان خريسوستوموس أسقف روذوستولوس والشيخ بيصاريون.

[٧١] ينحدر الأب بابيسيوس هذا من البوسنة. وقد ذبح الكروات المسلمون أهله خلال فترة الحرب ما بين ١٩٩١- ١٩٩٥. وقد رقد حوالي عام ٢٠٠٢ إثر مرض عضال وكان رئيسًا للدير.

أكثر، فسوف تجدانني، فأنا هناك". بعدها استيقظ وكان يتفكر في الحلم الذي رآه، فماذا عساه أراد أن يكشفه له هذا الراهب الذي ظهر له.

في صباح اليوم التالي وبعد صلاة الخدمة تحرك الراهبان الصربيان ليذهبا إلى المكان الذي كانا ينظفانه في اليوم السابق، وليستكملا عملهما. في الطريق قَصّ الراهب على أخيه الراهب الآخر الحلم، وأرجعا ظهور الراهب المجهول إلى ناسك قديس كان يعيش في ذلك المكان. وعندما وصلا هناك، بدآ ينظفان الطريق باهتمام شديد وبعد أن نظفا حوالى ٢٠ - ٣٠ فأكثر، لم يجدا شيئًا بعد. ففكرا أن يبحثا أيضًا في حدود ٢٠ - ٣٠ متر يمينًا ويسارًا من طريق المنطقة، ليريا إن أمكن أن يجدا هناك الراهب المجهول كما ظنا.

وفيما هما يبحثان وقعا في طريق غير ممهد حيث رأيا شيئًا أسود خلف فرع الأشجار البرية وبعد أن اقتربا بعناء شديد متفاديين الفروع رأيا أنها مغارة وعندما دخلا وجدا بتعجب رفات ممدة على الأرض، لم يتبق منها سوى العظام فقط فرنما "الثلاث تقديسات" من أجل رقاد نفس الناسك المجهول ثم أكملا عملهما في تلك المنطقة ورجعا إلى ديرهما متعجبين من الاكتشاف العجيب لذلك القديس الناسك المجهول".

كان رهبان برية الجبل المقدس، سواء أتوا من رفقات أو من أساقيط، كثيرًا ما يكتشفون في دهاليز هذه البرية وأماكنها البعيدة نُسّاكًا ومتوحدين، وكانوا يعربون عن رغبتهم الطيبة في خدمة احتياجاتهم الضرورية للحياة. وكان بعض النُسّاك يقبل والبعض الآخر لا. ولكن دائمًا ما كانوا يطلبون من الخدام أو من الوسطاء أن لا يكشفوهم لأحد بل أن يعتبروا الأمر سرًا والسبب في ذلك هو أنهم لم يريدوا أن تأتي إليهم زيارات وخلطة فيسقطون في كلام باطل، بل بالوحدة والهدوء والصمت يحفظون أفكارهم نقية وبالتالي صلاة نقية واتحاد وشركة مع الله.

ويذكر القديس يوحنا ذهبي الفم في كتاباته "عن مواهب الروح القُدُس" أنه كما أن مواهب الروح القُدُس كثيرة، فالبعض أُعطى روح حكمة والبعض نعمة الوعظ والبعض موهبة الشفاء والبعض موهبة تنبؤ والبعض أنواع ألسنة والبعض تفسير الألسنة والبعض موهبة الخدمة، والبعض موهبة الرحمة، وللبعض مواهب أخرى، هكذا هناك البعض الذين أعطوا موهبة الصلاة سواء من أجل أنفسهم أو من أجل الكنيسة أو من أجل العالم كله".

صبيحة يوم عيد القديس أثناسيوس الآثوسي الذي يُحتفل به يوم ٥ يوليو / تموز وفي العام ٢٠٠٦ صعد راهب الى آثوس، وفي الأماكن التي

بجوار "باناجيا" وبين كيراسيا وقمة آثوس قابل راهبًا آخر وتبادلا الحديث فقال له الراهب الآخر إنه للتو عائد من مقابلة بعض النُسّاك الذين كان قد أحضر لهم بعض الطعام. ورغم إصرار الراهب في أن يقول له أخوه عن مكان هؤلاء النُسّاك إلا أنه لم يكشف له شيئًا. الشيء الوحيد الذي كشفه له الراهب هو أن هؤلاء النُسّاك والمتوحدين لهم شيخ كبير في السن، (أفصح له عن اسم الشيخ وسنه) وأن كل المتوحدين هناك عددهم تسعة. حاول الراهب أن يعرف تفاصيل أكثر عن المتوحدين إلا أن الراهب الآخر لم يفصح له عن أكثر من هذا، بل حياه قائلا له فقط هذه الكلمات: "افرح يا أخي، لأنه لا يزال يوجد هؤلاء المتوحدون القديسون، لأن بصلواتهم يرحم الله العالم كله ويخلصه. فهؤلاء يمسكون بالعالم".

هذه الرواية قالها لي راهب وأب روحي[٧٢] كانت له رفقة في قلاية خارج كارييس، كما حكاها له ابنه الروحي، أي الراهب الذي قابل معطى الطعام للرهبان المتوحدين في الأماكن المنخفضة من آثوس.

---

[٧٢] عدم الإشارة إلى اسم الأب الروحي وكذلك أسماء الراهبين الذين في الرواية تمت بناء على طلب الأب الروحي الذي رواها.

٦٠. روايات الشيخ بولس "غوفذيلا" [٧٣]

حوالى عام ١٩٤٧- ١٩٤٨ عندما كان يوجد في الجبل المقدس حراس للأراضي وبعد أن طردوا العصابات بدأوا في مطاردة الثعالب هناك.

وحدث أن تواجد الشيخ بولس من القلاية المعروفة باسم "غوفذيلا" بين أديرة إفيرون وكوتلوموسيوس في غابة كَسْتَن على الحدود بين أديرة غريغوريوس وفيلوثيوس وسمعان بطرس، ولكن في غابة دير غريغوريوس أعلى قمه الجبل في هذا المكان تقابل الشيخ بولس مع ناسك يأكل خبزًا جافًا وعندما حول الراهب بولس، الذي كان شابًا حينذاك، أن يقترب منه ابتعد عنه الناسك واختفى وهكذا لم يستطيع أن يتكلم معه.

مرة أخرى بعد ذلك كان الراهب بولس متواجدًا في طريق بين دير إفيرون ودير كوتلوموسيوس وكارييس وقبل الجسر انحرف عن الطريق يمينا نحو الغابة هناك فوجد مغارة كان يوجد فيها مسبحة وكتاب خدمة الكاهن بالروسية. هذه المغارة توجد، كما قال، على بُعد ١٥٠ متر تقريبًا قبل جسر الطريق الذي يؤدي من دير إفيرون نحو كارييس على اليمين ويبدو أن أحد الرهبان الروس كان يتنسك هناك.

---

[٧٣] رقد الشيخ بولس هذا مؤخرًا.

٦١. رواية الشيخ مليتيوس سيكيوتيس

قَصّ علي المغبوط الشيخ مليتيوس سيكيوتيس عام ١٩٩٢ أنه ذات مرة وجد في مكان بالقرب من قلاية "القديس خارالمبوس"، التي توجد أعلى جبل إفيرون بالقرب من الطريق الصاعد نحو دير كوتلوموسيون وكاريبيس، هناك في الغابة وجد مغارةً محفورةً داخل الأرض ويبدو أنها كانت مسكونة لأنه كان يوجد بها معلبات يبدو أن الناسك المجهول الذي يسكنها كان يشرب بها ماء. وكذلك كانت توجد مَرتبة موضوعة على الأرض مصنوعة من بقايا الأوراق والأعشاب الجافة. ولكن الناسك المجهول عندما علم أن أمر مغارته تم اكتشافه هجرها ومضى إلى مكان آخر حتى يعيش بلا انزعاج.

الجزء الثالث

ملحق لروايات شبيهة غريبة خارج الجبل المقدس

أ. روايات شبيهة في جبل سيناء أيضًا

١) أخذ أحد الشيوخ تلميذه وخرج إلى الصحراء تدفعه الرغبة في أن يجد أحد النُسّاك لينال بركته، وبينما هما يتجولان في أماكن سيزّي نظرا في أحد الأنهار الجافة العميقة فرأيا قلاية ذات أشجار، بها ثمار جميلة قبل أوانها، وبعدما تقدما ناديا:

- باركو.

فأجاب أولئك:

- مرحبًا، يا آبائنا.

وما أن قالوا هذا حتى اختفى كل شيء. وعندما صعد الشيخ وتلميذه إلى قمة الجبل رأيا ثانية القلاية فنزلا وقالا نفس الكلام وسمعا نفس الردود واختفى كل شيء ثانية. حينئذ قال الشيخ لتلميذه:

- لنمض من هنا وأنا أثق بالله أنه كما قال لنا عبيد الله "مرحبًا" فسوف يجعلنا الله مستحقين أن نأتي إليهم في الدهر الآتي بصلواتهم المقدسة.

+ + +

٢) في نفس الوادي كان يعيش شيخ قديس وكان له تلميذ. وذات يوم أرسله إلى رايثو ودخل الشيخ في رؤيا. وفي اليوم الثالث رأى تلميذه آتيا من بعيد واعتقادًا منه أنه أحد المسلمين تحول الشيخ إلى

شكل نخلة لكي لا يقطع عليه التلميذ رؤياه. وعندما اقترب التلميذ ورأى النخلة ضربها بكف يديه قائلا:

- "متى ظهرت هنا هذه النخلة؟".

أما الشيخ فبِيَد ملاك ذهب إلى الأمام ودخل المغارة التي كانا يسكناها. وعندما جاء تلميذه قال له:

- "ماذا فعلت بك يا أخي لتضربني؟".

ولما كان التلميذ لا يعرف عن ماذا يتكلم الشيخ تعجب منه. حينئذ كشف له أن النخلة التي ضربها بكفه كانت هو ولكن لأنه كان في رؤيا ولكي لا يتشتت ذهنه فقد تحول إلى نخلة.

+ + +

٣) حكى لنا أحد المسلمين أنه أثناء فصل الشتاء كان يرعى خرافه ثم دخل إلى حديقة ما حيث كانت توجد أنواع مختلفة من الخضروات ونبع مياه. هناك رأى إنسانًا متقدمًا في السن يجلس بالقرب من النبع الذي كان يأتي إليه تيوس برية ليشربوا منها ماء. وعندما تعجب المسلم مما رأى قال له الشيخ:

- اقطع وخذ في مِخْلَتك ما تستطيع حمله من الفاكهة.

وبينما كان المسلم يقطع الفاكهة سمع الشيخ يقول لأحد التيوس الذي كان يضرب بقرونه التيوس الأخرى ولم يتركهم يشربون ماء:

- ماذا؟! كم مرة قلت لك أن لا تضرب التيوس الأخرى بقرونك ولم تسمع. فمبارك هو الله، المرة القادمة لن تشرب ماء من هنا!

أخذ المسلم الفاكهة التي جمعها في مِخْلَته ثم مضى إلى موضعه. وفي اليوم التالي أتى إلى المكان ومعه كلاب قطيعه ولكن لم يجد الحديقة بل قطيع التيوس فقط. حينئذ جرت الكلاب وخطفت ذلك التيس الذي انتهره الشيخ وقطعوه. أما التيوس الأخرى فقد هربت ونجت.

+ + +

٤) وقال مسلم آخر لأحد الرهبان:

- تعال أريك حديقة صغيرة لأحد النُسّاك وقلايته.

وبعد أن مضيا إلى جبل متمور وصعدا معًا إلى قمة الجبل آراه أسفل الوادي مغارة ناسك وحديقته الصغيرة قائلا:

- انزل وحدك إلى هناك أسفل لأني لست مسيحيًا والمتوحد يفر (عندما يراني).

وبينما الراهب نازلاً ، ناداه المسلم قائلاً:

- يا أبي، خذ حذاءك لأنك تركته هنا.

وعندما استدار الراهب ليقول له إنه لا يريده، لم ير شيئًا، لا قلاية ولا حديقة. فبقى هكذا حزينًا قائلاً إنه قد أصابه ما أصاب امرأة لوط، أي إنها بعد أن التفتت إلى الوراء فشلت في هدفها.

+ + +

٥) قال عبد مسيحي لرجل مسلم إنه ذات مرة وهو يرعى جماله في الصحراء قابل ناسكًا شيخًا جالسًا على صخرة على الأرض وكان يمسك بيده كيسًا فقال له المسيحي:

- باركني يا أبي.

أما الشيخ فبدون أن يتكلم نهائيًا صلّب عليه بعلامة الصليب بيده اليمنى وبعد أن سار المسيحي أربع أو خمس خطوات فكر في أن يطلب بركة الشيخ وبعد أن استدار لم ير أحدًا رغم أن المكان لم يكن فيه شجر ولا صخور حتى يختفي بينها.

+ + +

٦) على بُعد خمس عشرة ميلا من العليقة المقدسة يوجد موضع يقال له "جودة". هناك كان يتنسك راهب أرميني الجنسية يدعى قزماس. فخرج معه مرة الأب أناسطاسيوس إلى الصحراء وبعد أن ابتعد نحو ميلين من "جودة" وجد مغارة فنظر بداخلها فوجد ثلاثة متوحدين جالسين يرتدون ملابس جلدية. ولم يكن يعرف إن كانوا أحياء أو أموات، ولكنه فكر فقط في أن يعود إلى قلايته ليأخذ مجمرة ويدخل إلى مغاراتهم. فوضع علامة على المكان وعاد إلى قلايته ليأخذ مجمرة مشتعلة وقفل راجعًا ليبحث عن المكان ولكنه لم يجده.

+ + +

٧) قَصّ الأب متثاوس الناسك ما يلى: أنه عندما كان يسكن في أرانذولا حيث يوجد نُسّاك كثيرون كان لديه حُق قربان لينقل إليهم فيه التناول المقدس وكان هذا الحُق في دولاب فوق الكنيسة ومغلق بمفتاح. وحدث عدة مرات أنه عندما كان يأتي يوم الأحد المقدس يجد الدولاب وكذلك حُق القربان مفتوحين فبدأ يحصي الأجزاء وأخذ شمعة وخاتماً وختم بهما المفاتيح. وعندما فتح مرة أخرى وأحصى الأختام تأكد من اختفاء ثلاثة أجزاء ولهذا لم يعرف ماذا يفعل. في الليلة التالية ظهر له ثلاثة نُسّاك وأيقظوه قائلين:

- قم! إنه وقت تأدية قانونك الرهباني.

أما هو فسألهم من هم ومن أين أتوا فقالوا له:

- نحن الخطاة الذين نأتي ونتناول من حُق القربان، ولهذا لا تحزن ولا تهتم بهذا.

حينئذ عرف أنهم متوحدون قديسون فمجد الله الذي وهبهم لجيلنا[٧٤].

---

[٧٤] من كتاب "المرج القديم" ليوحنا إفكراتاس وصفرونيوس الحكيم، الطبعة الرابعة، طبع بمطبعة أولاد سوتيريوس سخيناس، فولوس ١٩٨٥.

ب. حالات شبيهة وروايات في أجيوفارانجو بكريت أيضًا

توجد حالات شبيهة لتلك التي حدثت في الجبل المقدس وجبل سيناء وذلك في المكان الرهباني بكريت ويقصد بها جبال أستيروسيا وبالخصوص في أجيوفارانجو.

وأجيوفارانجو هذه توجد بين الجزء الجنوبي لجزيرة كريت العظمى وهو عبارة عن ممر ضيق به أحطاب ومغائر طبيعية كان يعيش فيها في العصور القديمة نُسّاك ومتوحدون صارمون. في وادى صغير منبسط من الأجيوفارانجو توجد كنيسة صغيرة على اسم القديس أنطونيوس مبنية من زمن النُسّاك وكان يستخدمونها ككنيسة رئيسية للسهرانيات والقداسات في الآحاد والأعياد الكبرى.

في برية أجيوفارانجو هذه وفي المناطق المحيطة حدثت قصص شبيهة للشيوخ السريين وظهوراتهم لبعض المؤمنين.

١) خلال منتصف القرن التاسع عشر (حوالى ١٨٥٠) أعطى رئيس دير أوذيغيتريا وصية بأن يترك الرعاة والعمال الذين يعملون في الدير كل سبت مساء أشغالهم ويحضرون صلاة الغروب وكل أحد صباحًا القداس الإلهي، ثم بعد ذلك ينصرفون إلى أشغالهم. في ذلك الوقت كانوا يحفظون خراف الدير على القمة بين كيفاليو ومارتسالو وظل الرعاة في منطقة "القديس غيورغيوس" التي توجد أسفل كيفاليو. بين هؤلاء الرعاة كان الشيخ لامباكيس الذي كان قد اكتشف كنيسه إلباناجيا في مارتسالو.

مساء يوم سبت مضى كل الرعاة إلى دير أوذيغيتريا وبقى هناك الشيخ. ولتقدم سنه كان يسير ببطيء نحو الدير الذي في "فاسولي أروليثوس" فرأى شيخًا آخر آتيًا من أماكن الدير ممسكًا بقربانة. وعندما تقابلا قال الراهب للشيخ لامباكيس:

- لا تذهب يا أبي إلى الدير لحضور القداس لأن المكان بعيد، بل تعال معي وهناك حيثما أذهب سيكون هناك قداس وستحضره أنت أيضًا.

ظن الشيخ لامباكيس أنهم سوف يقيمون القداس في كنيسة صغيرة فتبع الراهب. ومَرّا بدير "القديس غيورغيوس" وأخذا الطريق نحو قمة كيفاليو. وفي منطقة "سبورا" مضيا من الطريق ونزلا إلى منحدر. هناك في مغارة رأيا شيوخًا كثيرين، فقال أحدهم للشيخ لامباكيس بعد العشية:

- نم هنا وفي الصباح عندما يبدأ القداس سوف نوقظك.

فنام بالفعل الشيخ لامباكيس في زاوية المغارة - الكنيسة وفي الصباح أيقظوه وبدأ القداس. وما أن انتهى حتى أخذ القربانة ومضى محييًا الشيوخ الذين قالوا له:

- نحن نصلي هنا كل أحد فتعال هنا ولكن لا تقل لأحد لأنك لن ترانا ثانية.

ولأن لامباكيس لم يذهب إلى الدير مساء السبت فقد استدعاه رئيس الدير وطلب منه توضيح سبب ذلك فوجد ذاك حينئذ بعض التبريرات. فقال إنه قد فُقدت منه بعض الخراف وذهب ليجدها. فتأخر لهذا السبب

عن المضي وكان مساء ولأنه مسن لم يستطع أن يذهب وعندما سمع الرئيس ذلك قال إن هذا التأخير لا يجب أن يتكرر مرة أخرى.

ولكن لامباكيس لم يطع ولم يذهب إلى دير أوذيغيتريا لثلاث سبوت متتالية بل كان يحضر القداس هناك حيث أراه الراهب المجهول. وفي النهاية، تضايق الرئيس من سلوك لامباكيس ودعاه وسأله لماذا يهمل تنفيذ وصاياه ولكن لامباكيس قَصّ على الرئيس كل شيء وهو خائف. حينئذ طلب منه الرئيس أن يأخذه إلى ذلك المكان الذي كان يحضر فيه القداس الإلهي فذهبا وبحثا ليجدا المغارة -الكنيسة ولكن دون جدوى. وذهب لامباكيس وحده مرة أخرى ولكن رغم كل المحاولات لم يجد شيئًا.

+ + +

٢) في ١٤ سبتمبر / أيلول من عام ١٩٣٤ ذهب الأب أنطونيوس من قرية بيغايذاكيا إلى كيفالى بدير "الصليب المكرم" وصلى القداس مع زوار آخرين وكان معه ابنه أوديسيوس ذو السبع سنوات والذي توفى بعد ذلك. وقت القداس خرج الطفل خارجًا وذهب إلى الجانب الشمالي من الكنيسة. هناك رأى إنسانًا قصير القامة، كله شعر ولحية. خاف الطفل قليلا ولكن الإنسان الذي ظهر له هدأه وقال له:

- لا تخف، بل اذهب وقل لأبيك أن يأتي بمفرده خارجًا لأنني أريده.

ذهب الطفل وأخبر الأب أنطونيوس فخرج حالاً وخرج معه كل من كانوا في الكنيسة ولكن لم يروا شيئا. فقد اختفى الناسك القديس وأبى أن يكشف أمره بل بهذا الحدث أعلن عن وجوده.

+ + +

٣) في العام ١٩٠٥ عندما كان ميليتيوس سارولاكس شماسًا بدير أوذيغيتريا، وهو من ريف سيفا بيرغيوتيسا، ذهب صباح أحد الآحاد قبل بداية القداس ليوقد القناديل. هناك حيث كان يحاول أن يوقدها والأبواب والنوافذ مغلقة ظهر له راهب قصير القامة وقال له:

- اعطني أيها الشماس قربانة لأننا نريد أن نقدس.

ولأنه كان لدى الشماس فائض أعطاه قربانة وما أن أعطاه القربانة حتى اختفى من أمام عينيه تمامًا كما ظهر له.

وفي مساء أحد السبوت سمع نفس الشماس ضربات على باب قلايته فقام وفتح فرأى نفس الراهب أمامه الذي قال له نفس الكلام الأول:

- اعطني أيها الشماس قربانة لأننا نريد أن نقدس.

فقال له الشماس إنه ليس لديه قربان، حينئذ قال له الراهب:

- توجد قربانة هناك على الرف.

وكان الشماس ميليتيوس قد نسيها تمامًا فذهب فعلاً ورآها فأخذها وأعطاها له وكما حدث في المرة السابقة ما أن أعطاه القربانة حتى اختفى من أمامه.

+ + +

٤) في العام ١٩٣٦ ذهب ثلاثة بنائين من بتروكيفالى وهم قسطنطينوس كابسيس أو خاتزيس مع ابنيه، نيكولاوس وذيامانديس، وذهبوا ليرمموا كنيسة القديس أنطونيوس في أجيوفارانجو وقد استمر العمل بها لمدة أربعة شهور.

وذات يوم طوال فترة الأربعة أشهر ابتعد ذيامانديس عن أبيه وأخيه فرأى إنسانًا ذا شعر طويل ولحية، قصير القامة. فارتعب ذيامانديس كطفل ولكن الراهب في الحال قال له:

- لا تخف يا بني! من أي قرية أنت؟

قال له ذيامانديس:

- أنا حفيد فانورونيكوليس من بتروكيفاليس.

فقال له الشيخ المجهول:

- بلغ تحياتي لجدك من أخوين من أجيوفارانجو وقل له أن يحترس لأنه سوف يموت بسبب ثمرة تين.

وعندما عادوا إلى قريتهم بلغ ذيامانديس تحيات الشيخ لجده وقال له أن يحترس من التين، ولكنه في النهاية لم ينج منه.

+ + +

٥) خلال نفس هذه الفترة التي كانوا يرممون فيها كنيسة أجيوفارانجو تعرف خابسيس وأولاده على راعي ماعز. وذات يوم قال راعي الماعز لخابسيس وأولاده:

- خذ مطرقة والكثير من التراب أو الجير، وأنتم يا أولاد، خذوا ماء وتعالوا اتبعوني.

وعندما ذهبوا إلى أجيوفارانجو(في مدخلها) ثم أعلى في زاوية صعدوا إلى مغارة كان بها فتحة صغيرة فنظروا بداخلها ورأوا هيكلا عظميًا لإنسان أبيض جدًا. فصنعوا طينا من التراب والماء الذي كانا معهم وقام خابسيس بسد فتحة المغارة حتى لا يدخلها تيوس ويدوسوا رفات الناسك القديس.

ومن الروايات المؤكدة التي أشرنا إليها بعاليه يستطيع الإنسان أن يدرك كم كانت منطقة أوذيغيتريا مقدسة ومباركة وكذلك مناطق أجيوفارانجو ومارتسالو وكل المناطق الأخرى التي كانت مضيئة بالرفات المقدسة الخاصة بالنُسّاك القديسين المجهولين والرهبان، الذين بصومهم ونسكهم وصلواتهم وصلوا إلى درجة كبيرة من التجرد المادي.

فإن كنا اليوم نؤمن، ولو إيمانًا قليلاً فيما يحدث في هذا الموضع المقدس، حينئذ ستكون نعمه هؤلاء القديسين قريبة منا وستُمنح لنا بسهولة، فيكفينا أن نقترب منهم (تسيكناكيس).

+ + +

وتوجد أيضًا روايات شبيهة من نفس الفترة نحكيها كما يأتي:

أثناء حرب عام ١٩٤٠ ذهبت بعض النسوة ليوقدن قناديل القديس غيورغيوس. كانت إحداهن تدعى سيرمالينيا كاناكاراكى. هذه رأت في زاوية الكنيسة ناسكًا يجلس على كرسي. فانحنت المرأة وقبلت يديه

وأخذت منه قربانة ، أما النسوة الأخريات فلم يلحظن شيئًا (أنثولا كالوغريذاكى ٦- ٤- ١٩٩١).

+ + +

كان هناك ناسك يعيش في مغارة في أجيوفارانجو. وقد حكى لي الأقدمون أنه كان يختفى حتى لا يراه إنسان. فكان يمكث حتى أربعين يوم صائمًا جالسًا في قلايته ليفتح ثانية السماء. وكانت بالفعل السماء تنفتح ويرى ما يحدث وما سوف يحدث. كان يجلس صائمًا مصليًا من صباح الاثنين الطاهر[٧٥] حتى مساء السبت العظيم (الراهب تيموثيوس بيلاذاكيس ١٩٨٦).

+ + +

كان النُسّاك يجتمعون كل ليلة في كنيسة القديس أنطونيوس في أجيوفارانجو ويصلون القداس الإلهي. ومغبوط من كان يراهم. وكان رئيس دير أوذيغيتريا يقوم في منتصف الليل ويذهب هناك، ويقولون إنه مرات كثيرة كان يأخذ قربانة (الراهب تيموثيوس بيلاذاكيس ١٩٨٦).

كان النُسّاك هم العنصر السائد في روايات كل منطقة أستيروسيا وتقاليدها. فالتقليد يصور هؤلاء النُسّاك أحياء، يقيمون في مغائر بعيدة ويتغذون على الأعشاب ويفتحون الكنائس ليلاً. ويظهر النُسّاك بهذه

---

[٧٥] الاثنين الأول من الصوم الأربعيني المقدس. (المترجم)

الأوصاف: نحفاء، ذوى لحى طويلة قد تصل إلى الأرض، وأحيانًا عرايا وحفاة. ولكن هؤلاء النُسّاك لا يظهرون للجميع.

الكثير من الروايات والتقاليد تحيط بجبل كريت الرهباني ألا وهو أستيروسيا. ومعظم هذه التقاليد تشير إلى تاريخ نسكي كبير للمكان. فهناك نُسّاك لا يزالون أحياء، ونُسّاك متجردون من المادة ونُسّاك يختفون عن أعين الناس جميعًا ولا يظهرون إلا للزوار القديسين أو لبعض الأطفال (نيكوس بسيلاكيس).

وكل ما أشرت إليه في جبل سيناء وفي أديرة فارانجو وأستيروسيا في كريت أشرت إليه ليس لكي أخرج عن موضوع الجبل المقدس، ولكن لكي أؤكد على تطابق الروايات وكيف أنه في أماكن رهبانية مختلفة في كل أنحاء العالم وعلى فترات زمنية بعيدة مَرّ بها نُسّاك شهدت أمورًا سرية عجيبة شبيهة، بحسب قول تسيكناكيس، أن الله أراد بها أن يظهر قدسية هذه الأماكن ويؤكدها.

الجزء الرابع

عناصر مكملة تتعلق بالرهبنة والنسك

شواهد من الكتب المقدسة
عن مدح حياة التوحد والهدوء

من العهد القديم

+++++++

١. "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ" (تكوين ٥: ٢٤)

٢. "هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ" (تكوين ٦: ٩)

٣. "ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ" (تكوين ١٢: ٩)

٤. "وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إلى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إلى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إلى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ" (تكوين ١٩: ١٧)

٥. "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاه" (تكوين ١٩: ٣٠)

٦. "فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إلى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ" (خروج ٣:٥)

٧. "فَقَالَ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ" (خروج ٣: ١٢)

٨. "فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلُ أَنْتَ وَشُيُوخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ الْتَقَانَا، فَالآنَ نَمْضِي سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا" (خروج٣: ١٨)

٩. "وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «اذْهَبْ إِلى الْبَرِّيَّةِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى». فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللهِ وَقَبَّلَهُ" (خروج٤: ٢٧)

١٠. "وَبَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ" (خروج٥: ١)

١١. "فَقَالَ: «مُتَكَاسِلُونَ أَنْتُمْ، مُتَكَاسِلُونَ! لِذلِكَ تَقُولُونَ: نَذْهَبُ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ" (خروج٥: ١٧).

١٢. "فَصَعِدَ مُوسَى إِلى الْجَبَلِ، فَغَطَّى السَّحَابُ الْجَبَلَ" (خروج٢٤: ١٥).

١٣. "فَأَخَذَ بَالاَقُ بَلْعَامَ إِلى رَأْسِ فَغُورَ الْمُشْرِفِ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ" (عدد٢٣: ٢٨).

١٤. "حِينَ صَعِدْتُ إِلى الْجَبَلِ لِكَيْ آخُذَ لَوْحَيِ الْحَجَرِ، لَوْحَيِ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ، أَقَمْتُ فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً لاَ آكُلُ خُبْزًا وَلاَ أَشْرَبُ مَاءً" (تثنية ٩: ٩).

١٥. "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَتْقِيَاءَهُ، وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ" (مز ٢٩: ٤).

١٦. "أَحِبُّوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ أَتْقِيَائِهِ. الرَّبُّ حَافِظُ الأَمَانَةِ، وَمُجَازٍ بِكَثْرَةٍ الْعَامِلَ بِالْكِبْرِيَاءِ" (مز ٣٠: ٢٣).

١٧. "اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ، لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ" (مز ٣٣: ٩).

١٨. "وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ" (مز ٣٦: ٣)

١٩. "لأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ، وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ" (مز ٣٦ : ٢٨).

٢٠. "أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إلى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإلى مَسَاكِنِكَ" (مز ٤٢ : ٢).

٢١. "اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ وَتُخْبِرُ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّيَّانُ. سِلاَهْ" (مز٤٩ : ٥- ٦)

٢٢. "كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ، أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ. رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ" (مز ٤٦ :١٠ - ١١).

٢٣. "هأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِبًا، وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ. كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَمِنَ النَّوْءِ" (مز ٥٥ : ٧، ٨).

٢٤. "يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ" (مز٦٢ : ١).

٢٥. "اكْتَسَتِ الْمُرُوجُ غَنَمًا، وَالأَوْدِيَةُ تَتَعَطَّفُ بُرًّا. تَهْتِفُ وَأَيْضًا تُغَنِّي" (مز٦٤ : ١٣).

٢٦. "الْمُثْبِتُ الْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، الْمُتَنَطِّقُ بِالْقُدْرَةِ، الْمُهْدِّئُ عَجِيجَ الْبِحَارِ، عَجِيجَ أَمْوَاجِهَا، وَضَجِيجَ الأُمَمِ .وَتَخَافُ سُكَّانُ الأَقَاصِي مِنْ آيَاتِكَ. تَجْعَلُ مَطَالِعَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تَبْتَهِجُ" (مز٦٤ : ٦- ٨).

٢٧. "يَرَى ذلِكَ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ، وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي اللهِ، لأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ" (مز٦٨ : ٣٢، ٣٣).

٢٨. "مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اَللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ" (مز٦٧ : ٣٥).

٢٩. "تَحْمِلُ الْجِبَالُ سَلاَمًا لِلشَّعْبِ، وَالآكَامُ بِالْبِرّ" (مز٧١ : ٣).

٣٠. "أَبْهَى أَنْتَ، أَمْجَدُ مِنْ جِبَالِ السَّلَبِ" (مز٧٥: ٤)

٣١. "شَقَّ صُخُورًا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَسَقَاهُمْ كَأَنَّهُ مِنْ لُجَجٍ عَظِيمَةٍ.أَخْرَجَ مَجَارِيَ مِنْ صَخْرَةٍ، وَأَجْرَى مِيَاهًا كَالأَنْهَارِ" (مز٧٧: ١٥، ١٦).

٣٢. "وَأَدْخَلَهُمْ فِي تُخُومِ قُدْسِهِ، هذَا الْجَبَلِ الَّذِي اقْتَنَتْهُ يَمِينُهُ. وَطَرَدَ الأُمَمَ مِنْ قُدَّامِهِمْ وَقَسَمَهُمْ بِالْحَبْلِ مِيرَاثًا، وَأَسْكَنَ فِي خِيَامِهِمْ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ" (مز٧٨: ٥٤، ٥٥).

٣٣. "أَسَاسُهُ فِي الْجِبَالِ الْمُقَدَّسَةِ" (مز٨٧: ١).

٣٤. "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَظِيمٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ" (مز٩٤: ٤).

٣٥. "يَا مُحِبِّي الرَّبِّ، أَبْغِضُوا الشَّرَّ. هُوَ حَافِظٌ نُفُوسَ أَتْقِيَائِهِ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ يُنْقِذُهُمْ" (مز٩٦: ١٠).

٣٦. "عَلُّوا الرَّبَّ إِلهَنَا، وَاسْجُدُوا فِي جَبَلِ قُدْسِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَنَا قُدُّوسٌ" (مز٩٨: ٩).

٣٧. "أَشْبَهْتُ قُوقَ الْبَرِّيَّةِ. صِرْتُ مِثْلَ بُومَةِ الْخِرَبِ.سَهِدْتُ وَصِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ عَلَى السَّطْحِ" (مز١٠١: ٦، ٧).

٣٨. "أَمَّا الْمُسْتَمِعُ لِي فَيَسْكُنُ آمِنًا، وَيَسْتَرِيحُ مِنْ خَوْفِ الشَّرِّ" (أمثال١: ٣٣).

٣٩. "ذِكْرُ الصِّدِّيقِ لِلْبَرَكَةِ، وَاسْمُ الأَشْرَارِ يَنْخَرُ" (امثال١٠: ٧).

٤٠. "اَلْمُحْتَقِرُ صَاحِبَهُ هُوَ نَاقِصُ الْفَهْمِ، أَمَّا ذُو الْفَهْمِ فَيَسْكُتُ" (امثال١١: ١٢).

٤١. "اَلسُّكْنَى فِي زَاوِيَةِ السَّطْحِ، خَيْرٌ مِنِ امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ وَبَيْتٍ مُشْتَرِكٍ" (امثال٢١ : ٩).

٤٢. "اَلسُّكْنَى فِي أَرْضٍ بَرِّيَّةٍ خَيْرٌ مِنِ امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ حَرِدَةٍ" (٢١ : ١٩).

٤٣. "مَنْ أَحَبَّ طَهَارَةَ الْقَلْبِ، فَلِنِعْمَةِ شَفَتَيْهِ يَكُونُ الْمَلِكُ صَدِيقَهُ" (امثال٢٢ : ١١).

٤٤. "ثُمَّ سَدَّدَتْ مَسَاعِيَهُمْ بِإِرْشَادِ نَبِيٍّ قِدِّيسٍ، فَسَارُوا فِي بَرِّيَّةٍ لاَ سَاكِنَ بِهَا، وَضَرَبُوا أَخْبِيَتَهُمْ فِي أَرْضٍ قَفْرَةٍ، وَقَاوَمُوا مُحَارِبِيهِمْ، وَدَافَعُوا أَعْدَاءَهُمْ" (حكمه سليمان١١ : ١- ٣)

٤٥. "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ" (اشعياء٢ : ٢).

٤٦. "لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (١١ : ٩).

٤٧. "وَيَبْنُونَ الْخِرَبَ الْقَدِيمَةَ. يُقِيمُونَ الْمُوحِشَاتِ الأُوَلَ، وَيُجَدِّدُونَ الْمُدُنَ الْخَرِبَةَ، مُوحِشَاتِ دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (٦١ : ٤).

٤٨. "الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يَرْعَيَانِ مَعًا، وَالأَسَدُ يَأْكُلُ التِّبْنَ كَالْبَقَرِ .أَمَّا الْحَيَّةُ فَالتُّرَابُ طَعَامُهَا. لاَ يُؤْذُونَ وَلاَ يُهْلِكُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، قَالَ الرَّبُّ" (٦٥ : ٢٥).

٤٩. "وَكُلُّ هذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي، فَكَانَتْ كُلُّ هذِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ .وَإِلى هذَا أَنْظُرُ: إِلى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي" (٦٦ : ٢).

٥٠. "وَإِنَّ يَهُوذَا الْمَكَّابِيَّ كَانَ قَدِ انْصَرَفَ إلى الْبَرِّيَّةِ، وَهُوَ عَاشِرُ عَشَرَةٍ، فَلَبِثَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْجِبَالِ يَعِيشُونَ عِيشَةَ الْوُحُوشِ، وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ لِئَلاَّ يَشْتَرِكُوا فِي النَّجَاسَةِ" (المكابيين الثاني٥: ٢٧).

٥١. "فَعَيَّدُوا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ بِفَرَحٍ كَمَا فِي عِيدِ الْمَظَالِّ، وَهُمْ يَذْكُرُونَ كَيْفَ قَضَوْا عِيدَ الْمَظَالِّ قُبَيْلَ ذلِكَ فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَاوِرِ مِثْلَ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ" (المكابيين الثاني١٠: ٦).

٥٢. "وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ لَهُ قَائِلاً: "انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ، فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاك. فَانْطَلَقَ وَعَمِلَ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ، وَذَهَبَ فَأَقَامَ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ .وَكَانَتِ الْغِرْبَانُ تَأْتِي إِلَيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحًا، وَبِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ" (١ ملوك ١٧: ٢- ٦)

٥٣. "تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِجُ الْقَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ يُزْهِرُ إِزْهَارًا وَيَبْتَهِجُ ابْتِهَاجًا وَيُرَنِّمُ. يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ. بَهَاءُ كَرْمَلَ وَشَارُونَ. هُمْ يَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلهِنَا" (٣٥: ١- ٢).

٥٤. "دَخَلُوا الْغَابَاتِ وَصَعِدُوا عَلَى الصُّخُورِ. كُلُّ الْمُدُنِ مَتْرُوكَةٌ، وَلاَ إِنْسَانَ سَاكِنٌ فِيهَا" (ارميا٤: ٢٩).

٥٥. "اهْرُبُوا نَجُّوا أَنْفُسَكُمْ، وَكُونُوا كَعَرْعَرٍ فِي الْبَرِّيَّةِ" (إرميا ٤٨: ٦).

٥٦. "أَنَا عَرَفْتُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ الْعَطَشِ" (هوشع ١٣: ٥).

+++++++

٥٧. "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: «تُوبُوا ، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ .فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً" (متى٣: ١- ٣).

٥٨. "وَيُوحَنَّا هذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا" (متى٣: ٤).

٥٩. "ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ .فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا" (متى٤: ١- ٢).

٦٠. "ثُمَّ انْتَقَلَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلى جَانِبِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَصَعِدَ إِلى الْجَبَلِ وَجَلَسَ هُنَاكَ" (متى١٥: ٢٩).

٦١. "فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ انْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ فِي سَفِينَةٍ إِلى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ مُنْفَرِدًا. فَسَمِعَ الْجُمُوعُ وَتَبِعُوهُ مُشَاةً مِنَ الْمُدُنِ" (متى١٤: ١٣).

٦٢. "وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلى جَبَل عَال مُنْفَرِدِينَ .وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ" (متى١٧: ١- ٢).

٦٣. "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مرقس١: ٣- ٤).

٦٤. "وَلكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللّٰهُ" (مرقس١٠: ٦).

٦٥. "وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ" (مر ١: ١٢، ١٣).

٦٦. "وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي قَائِلَيْنِ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا" (مرقس١٠: ٣٥).

٦٧. "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مرقس١٠: ٤٥).

٦٨. "ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ. وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا، وَيَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ" (مرقس٣: ١٣- ١٥).

٦٩. "وَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، كُلِّ مَا فَعَلُوا وَكُلِّ مَا عَلَّمُوا .فَقَالَ لَهُمْ: تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً لأَنَّ الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكْلِ" (مرقس٦: ٣٠- ٣١).

٧٠. "وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ" (مرقس٦: ٤٦).

٧١. "وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَل عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحْدَهُمْ وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ،وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ" (مرقس٩: ٢- ٣).

٧٢. "أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إلى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ" (لوقا١ : ٨٠).

٧٣. "أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيرًا (لوقا٤ : ١، ٢).

٧٤. "وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ خَرَجَ وَذَهَبَ إلى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ الْجُمُوعُ يُفَتِّشُونَ عَلَيْهِ. فَجَاءُوا إِلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ لِئَلاَّ يَذْهَبَ عَنْهُمْ" (لوقا٤ : ٤٢)

٧٥. "وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي" (لوقا٥ : ١٦)

٧٦. "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إلى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ" (لوقا٦: ١٢)

٧٧. "فَلَمَّا مَضَى رَسُولاَ يُوحَنَّا، ابْتَدَأَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا: «مَاذَا خَرَجْتُمْ إلى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَانًا لاَبِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الْفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ. بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ" (لوقا٧: ٢٤، ٢٦)

٧٨. "فَقَالَ هِيرُودُسُ: «يُوحَنَّا أَنَا قَطَعْتُ رَأْسَهُ. فَمَنْ هُوَ هذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْهُ مِثْلَ هذَا؟» وَكَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَرَاهُ" (لوقا٩: ١٠)

٧٩. "وَبَعْدَ هذَا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إلى جَبَل لِيُصَلِّيَ .وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا" (لوقا٩: ٢٨، ٢٩)

٨٠. "وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ .وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هذِهِ تَكُونُ، فَانْتَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ" (لوقا٢١ : ٢٧ ، ٢٨)

٨١. "فَصَعِدَ يَسُوعُ إلى جَبَل وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ" (يوحنا٦ : ٣)

٨٢. "وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إلى الْجَبَلِ وَحْدَهُ" (يوحنا٦: ١٥)

٨٣. "وَعَلَى أَثَرِ ذلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ .وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ" (لوقا٨: ١ ، ٢).

٨٤. "وَمَضَى أَيْضًا إلى عَبْرِ الأُرْدُنِّ إلى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِيهِ أَوَّلاً وَمَكَثَ هُنَاكَ" (يوحنا١٠ : ٤٠).

٨٥. "وَهَاجَ الْبَحْرُ مِنْ رِيحٍ عَظِيمَةٍ تَهُبُّ" (٦ : ١٨).

٨٦. "لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ" (فيليبي٤ : ٦).

٨٧. "وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ" (كولوسي٤ : ٢).

٨٨. "وَأَنْ تَحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَكُونُوا هَادِئِينَ، وَتُمَارِسُوا أُمُورَكُمُ الْخَاصَّةَ، وَتَشْتَغِلُوا بِأَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ" (اتس ٤ : ١١).

٨٩. "فَلاَ نَنَمْ إِذًا كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ" (اتس ٥ : ٦).

❖ "لا يستطيع إنسان أن يجد وقتًا ليرى نفسه أو يتذكر خطاياه أو يصلي طالما هو يرى وجوهًا كثيرة ويسمع أصواتًا كثيرة مختلفة" (أب مجهول الاسم).

❖ "خبز بملح مع هدوء وعدم اهتمام أفضل من مأكولات فاخرة مع تجارب وهموم" (القديس يوحنا ذهبي الفم).

❖ "بأربعة أمور تصير النفس خربة: بعدم الهدوء، بمحبة التجارب، برغبة العالم المادي وبالنوم الكثير" (إفاغريوس البنطي).

❖ "عندما توقف العبرانيون عن الاهتمام بأشغال المصريين ومكثوا في خيامهم، تعلموا كيف يعبدون الله. تمامًا مثل السفن التي ليست في البحر بل تتاجر وتربح وهي في المرفأ. هكذا النفس، إن لم تتوقف عن الانشغال بأمور العالم ولا تمكث في موضع هادئ فلن تجد الله ولن تكتسب فضائل" (شيخ حكيم مجهول).

❖ "بعيدًا عن العالم، الذي هو عدو الله[٧٦]، وحتى في أماكن الغابات غير المريحة، وفي أحراش الجبال والمغائر، يرافقنا الله ويجعلنا خدامه الحقيقيين" (القديس إغناطيوس برياتشيانينوف).

❖ "لأنه عندما يبتعد الذهن عن كل المحسوسات ويترفع عن الضوضاء الذي يحيط به ويلاحظ بانتباه إنسانه الداخلي، يرى أولا القناع السيئ الذي اكتسبه من ضلاله في الأرضيات، فيسرع ليغتسل منه بالنوح. وبعد أن ينزع هذا القناع القبيح حينئذ، والنفس

---

[٧٦] "محبة العالم عداوة لله" (يع ٤ : ٤).

لم تعد بعد تتشتت فيما لا يليق باهتمامات متنوعة، يهدأ (الذهن) ويجد الهدوء الحقيقي ويبقى في حاله. فيعقل ذاته، أو بالحري يعقل من ذاته الله، على قدر المستطاع" (غريغوريوس بالاماس).

- "عندما كان الأب أرسينيوس في البلاط الملكي كان يصلي إلى الله قائلا: "يا رب قدني إلى كيف أخلص. فجاءه صوت يقول له: "يا أرسينيوس، اهرب من الناس وأنت تخلص". "وعندما مضى إلى الرهبنة كان يصلي هذه الصلاة بنفس الطريقة فسمع صوتًا يقول له: "يا أرسينيوس، اهرب واصمت واهدأ لأن هذه هي جذور عدم الخطية". نقلاً عن كتاب الشيوخ (الأب أرسينيوس).
- "أما أنا فلا أجلس منفردًا عن فضيلة، بل عن ضعف. لأن الذين يدخلون وسط الناس يعدون أقوياء" (الأب متى).
- "الابتعاد عن العالم والهدوء يقطعان أسباب الخطية. فإن أضاف الإنسان إلى الهدوء هذه الفضائل الأربعة والتي هي: طول الأناة، والتواضع، والسهر، والعفة، ومعهم الصلاة فسوف يجد الطريق المباشر لأن يصير بلا هوى". "لا يستطيع الذهن أن يهدأ بدون المشاركة الجسدية. وبدون الهدوء والصلاة يستحيل مرافقة النفس مع الجسد (القديس مرقس الناسك).
- "ما أن أجد ثمر عدم الطاعة، أرغب فيها في الحال وأجربها فأموت. ولكن في الصحراء فلا توجد بسهولة الماديات التي تغذى الأهواء، ولهذا من المحتمل جدًا أن تموت" (أب مجهول الاسم).

- "هلم إلى نور الهدوء والصلاة وسوف ترى أن الظلمة سوف تهرب أولاً من نفسك ثم بعد ذلك سوف ترى النعمة الحقيقية وقوة القديسين وتتمتع بها" (القديس مكسيموس الكافسوكاليفيتي إلى زائر من القسطنطينية شك في معجزات القديسين ونعمتهم).

أقوال القديس أثناسيوس الآثوسي (عن الهدوء)

- "أما أنا فلم أقتنع بكلام نيكيفوروس فوكاس بخصوص بناء اللافرا، لأنني كنت أرغب في أن أعيش حرًا وحيدًا، فقد اعتدت على أن أتحاشى حزن الجموع والانشغال الشديد بالتجارب. كنت أرى أن أخلص نفسي أمر محبوب وكافي جدًا إذ أنه لم يُطلب منا أن نخلص الآخرين. ولهذا هربت من جبل كيمينا، لأنني لم أحتمل مقابلات الأحباء باستمرار".
- "الهدوئي ليس له اهتمام، وغياب الاهتمام يجلب الهدوء وعدم الاضطراب وعدم الظلمة".
- "كما أنه من بناء القلالي وزراعة الحقول تتولد العثرات والاضطرابات هكذا من الاقتراب شيئًا فشيئًا تحد افتراضات الوحدة والهدوء".
- "لا يعتبرن أحد (سواء رئيس الدير والرهبان الآخرون) الهدوء والحرص (حرص رهبان اللافرا الذين يريدون الهدوء) بطالة. لأنى

مرات كثيرة صليت إلى الله ولا زلت أصلى أن يصيروا جميعهم هكذا".

❖ "جهادات حياة الهدوء هي: اليقظة الروحية، مراقبة الذهن، الصلاة، السهر، العفة، دراسة الكتب المقدسة وتفتيشها، والعمل قدر المستطاع".

❖ "إن أعطى الله البعضَ قوةً لهدوء أكثر ووحدة أكثر، حتى يمكثوا بسبب حروب روحية أعظم أو أن يختبروا هذا، فلا يجب أن يعاقوا".



فكرة عامة عن الرهبنة

منذ ظهور مخلصنا فادى الجنس البشري، ربنا يسوع المسيح على الأرض، بدأت حرب عدونا غير المنظور إبليس ضده وضد كل أتباعه، أي الكنيسة. وعندما وُلد المخلص في بيت لحم، حارب (عدو الخير) وجوده من خلال هيرودس، حيث أمر بذبح ١٤ ألف رضيع لكي يهلكه. ولكن لم يستطع لأن الله كان يحفظه. وفي البرية، عندما ذهب بعد المعمودية، لم يستطع أيضًا أن يغلبه بالتجارب التي قدمها له ومضى مخزيًا. بعد ذلك حاربه عن طريق اليهود غير المؤمنين الذي أرادوا أن يرجموه لأنه كان

بالنسبة لهم مجدفاً. ثم دخل الشيطان في يهوذا الإسخريوطي، واحد من تلاميذه، فأسلمه لأعدائه وللذين كانوا يطلبون نفسه. ومن خلال الكتبة والفريسيين صلبه بيلاطس حاكماً عليه بالموت. ولم يستطع إبليس أن يغلبه حتى بالموت لأن الله الآب أقامه.

بعد ذلك بدأت حرب ضارية ضد تلاميذه ورسله القديسين الذين كانوا يكرزوا بالإيمان في الأمم. فجلد أعوانه البعض، ورجموا البعض، وسجنوا البعض، وصلبوا البعض وقطعوا رؤوس البعض. وأيضاً لم يستطع إبليس أن يغلب الكنيسة. ثم بدأ حرباً ضروساً ضد المؤمنين المسيحيين "الذين عندهم شهادة الرب يسوع" (رؤ ١٩: ١٠). وهكذا، بواسطة القادة غير المؤمنين الكافرين أمثال نيرون وديوكليتيانوس ومكسيميانوس وآخرين، حاول بكل قواه أن يقتلع الكنيسة. وهكذا حرقوا البعض بالنار، وعذبوا البعض بطرق متنوعة، وقدموا البعض طعاماً للأسود، وقطعوا البعض أشلاء وقطعوا رؤوس البعض، وأهلكوا البعض بأشكال متنوعة من العقوبات والعذابات. وأيضاً لم يستطع أن يغلب الكنيسة لأن رئيسيها وحاميها معها. وبدلا من أن تختفي هذه الكنيسة تقوَّت أكثر وانتشرت.

حينئذ رَفَع المسيح، من أجل تَقوِيةُ الكنيسة أكثر، ملكاً باراً وهو الإمبراطور قسطنطين الكبير، الذي "بنصر مظفر" أي بالصليب المكرم المحيي، غلب كل الأعداء الكافرين فانتصرت التقوى.

وفي زمن قسطنطين الكبير، عندما توقفت الاضطهادات والضغوط على المسيحيين، بدأ المؤمنون المختارون حياة جديدة تستحق الثناء ألا وهي حياة الرهبنة. فقد هربوا من المدن والحقول، ومن الضوضاء واهتمامات الحياة العالمية المضطربة ومضوا إلى الجبال والبراري. فالبعض عاشوا هادئين وحدهم في قلالي أو مغائر مشغولين بالصلوات والأصوام والسهر وعمل اليد البسيط لكي يقيتوا أنفسهم. وآخرون فضلوا حياة الشركة فبنوا الأديرة وبرعاية رئيسهم عاشوا سيرة رهبانية مماثلة للملائكة.

وفي بداية القرن الرابع م. بدأت الرهبنة بطريقة منتظمة في مصر وفلسطين وسوريا وليبيا ثم انتشرت في كل المسكونة. وكان أول سكان البراري والنُسّاك والمتوحدين هم القديس أنطونيوس الكبير والقديس إيلاريون الكبير والقديس أونوفريوس والقديس كيرياكوس المتوحد والقديس بولس الطيبي (أول من خرج إلى الصحراء عقب اضطهاد دكيوس عام ٢٥٠ م) وآخرون. ثم بعد ذلك تأسست الأديرة، أديرة الشركة على يد القديسين رؤسائها مثل باخوميوس وثيودوسيوس وآخرين. وعندما رأى عدونا إبليس الناس ذوى الجسد والدم يسيرون مثل ملائكة على الأرض بدأ حربًا بشعة ضدهم. فقد حارب النُسّاك بأهواء مختلفة. وهاجم الصوامين بسهام البطن محاربًا إياهم بالأطعمة التي كان يقدمها لهم مرات خياليًا بنكهات مختلفة حتى يسقطهم في حل الصوم وعدم العفة. وقدم للبتوليين مناظر خليعة ونساء ليغلبهم بالشهوات الجسدية. وحارب الغضوبين

بحيل متنوعة ليسقطهم في الغضب. وحارب الأفاضل والكاملين بالمجد الباطل والكبرياء والحسد. وحارب رهبان الشركة في الأديرة بالعثرات والثرثرة والعصيان. ولم تكن فقط حرب غير منظورة تلك التي أثارها ضد الرهبان والنُسّاك بل كانت أيضًا منظورة من خلال أعوانه الفرس وشعوب بربرية أخرى ذبحوا رهبانًا في سيناء ورايثو وفي دير القديس سابا (بفلسطين) وإسقيط نتريا، وخربوا أديرتهم وأكواخهم. باختصار شن حربًا ضروسًا لكي لا يستطيع أحد أن يدخل ملكوت الله. ولكن المسيح قوى عبيده وشددهم لأنهم كرسوا حياتهم له.

❖ **الأديرة**: وهي عبارة عن مجموعة مباني على شكل مربع تقريبا وفي وسطه الكنيسة المركزية والتي تسمى "الكنيسة العامة"، ويصلي فيها الرهبان في الآحاد والأعياد الكبرى. والأديرة على نظامين: أديرة حياة الشركة وأديرة حياة الخصوصية.

❖ **أديرة حياة الشركة**: وفيها يعيش الرهبان في حياة شركة تامة سواء أموال أو ممتلكات أو ملابس أو طعام ويوجد لها رئيس أو قمص. ليس لهم عمل يد بل خدمات.

❖ **أديرة حياة الخصوصية**: وفيها لكل راهب راتبه الخاص ومطبخه وملابسه وحديقته ولهم رؤساء يديرون الدير. وبها أيضًا خدمات.

❖ **الأساقيط**: وهي عبارة عن مجموعة من الأكواخ حيث يعيش راهب أو أكثر (في كل كوخ) وينشغلون بعمل اليد مثل رسم الأيقونات، وعمل البخور، والنحت على الخشب، وعمل الأختام، وعمل المسابح وغيرها. في هذه الأكواخ على العموم الغالب لهم كنائسهم الصغيرة لتأدية صلواتهم ولكن في الآحاد والأعياد الكبرى يذهبون إلى الكنيسة المركزية الكبيرة وعادة ما تكون في وسط الإسقيط وتسمى "الكنيسة الرئيسية".

❖ **الأكواخ الجافة**: وتُسمى هكذا الأكواخ الصغيرة التي توجد بشكل رئيسي في الأساقيط وليس فيها كنائس. ويسكنها عادة راهب واحد.

❖ **المقاعد**: وتُسمى هكذا الأكواخ التي تُبنى بالقرب من الأديرة الكبيرة أو بعيدًا عنها، وعلى العموم الغالب يكون فيها كنائس صغيرة. وملمح مميز لهذه المقاعد هو أنها تدار وتتوفر لها احتياجات المعيشة من خلال الأديرة العامرة. وعادة لا تُعطى للمقاعد (سندات توكيل أو ملكية) من الأديرة التي تتبعها.

❖ **القلالي**: وتُسمى هكذا الأكواخ التي فيها كنيسة وحجرات كثيرة حيث يستطيع أكثر من راهب أن يعيشوا كجماعة صغيرة. ينشغلون في الغالب العام بأعمال الزراعة والحدائق والبساتين والكروم وزراعة الأشجار وغيرها. وتُعتبر حياة القلالي حياة خصوصية. ولهم في الغالب دواب لخدمتهم.

❖ **قلالي الهدوء**: وهي مثل القلالي ولكن لا ينشغلون بأعمال اليد، بل بالقليل منها لأن شاغلهم الرئيسي هو تنمية صلاة الذهن ودراسة الكتب المقدسة وأقوال الآباء وأغلب الأوقات يقضونها في الأمور الروحية.

❖ **المناسك**: وتُسمى هكذا القلالي الصغيرة التي بلا شكل معين المبنية في البراري بعيدًا عن الأماكن المأهولة. فهي مباني متواضعة وبسيطة وبها الضروريات فقط. يعيش فيها النُسّاك عديمو القنية كطيور السماء ومرات كثيرة لا يقومون بعمل اليدين، بل ينشغلون حصريًا بالأمور الروحية مكرسين ذواتهم بالكلية لله، مسبحين له بصلوات وتماجيد من أجل خلاصهم ومن أجل خلاص كل العالم. في الغالب طعامهم يتكون من

الخبز الجاف، وأعناب، وتين جاف، وحبوب مبللة، ومكسرات، وأعشاب وماء.

- ❖ **الرهبان المتجولون**: وهكذا يُسمى الرهبان الذين ليس لهم قلاية خاصة ولا مأوى خاص بل يستأجرون بطريقة ما غرفة بسيطة بالقرب من قلاية كبيرة ويدفعون لها بعض الأحيان مبلغًا يسيرًا لا يُذكر أو لا يدفعون نهائيًا إن كان راهب القلالي الذي سوف يستضيفهم رحومًا وشفوقًا. وهذا النوع من الرهبان الفقراء عديمو القنية يحاولون محاكاة حياة ربنا يسوع المسيح الذي لم يكن له أين يسند رأسه بحسب الإنجيل المقدس، بل كان يحل ضيفا عند مؤمنين كثيرين وأناس أفاضل.
- ❖ **الرهبان العموديون**: ويُسمى هكذا الرهبان الذين قاموا ببناء عمود بدرج للصعود عليه ويعيشون حياة ملائكة بلا هم، بل شاغلهم هو الروحيات (مثل صلاة القلب غير المنقطعة والميطانيات والوقوف مستقيمًا وقراءة الكتب المقدسة والمزامير)، بأصوام شديدة وسهرانيات طويلة. وقد اختفى هذا النوع من النسك.
- ❖ **الرهبان الحُبساء**: ويُسمى هكذا الرهبان أو النُسّاك الذين ينشغلون بالأكثر خلال اليوم بالروحيات وخاصة بصلاة القلب والقليل فقط من عمل اليدين. لا يخرجون أبدًا من محبسهم وعادة لهم تلميذ يخدم احتياجاتهم. وقد اختفى هذا النوع تقريبا اليوم.
- ❖ **الرهبان المغائريون**: ويُسمى هكذا الرهبان النُسّاك الذين يعيشون بعيدًا عن العالم في براري وداخل مغائر. والكثير من آباء كنيستنا كانوا

مغائريين مثل بطرس الآثوسي والقديس أونوفريوس المصري، وبولس الطيبي ومكاريوس الرومي، ومرقس الأثيني، وإيلاريون الكبير، وبولس الذي من لاترو وآخرون كثيرون.

❖ **رهبان التجاويف**: ويُسمى هكذا الرهبان أو النُسّاك الذين يقيمون في تجاويف الأشجار وعلى العموم الغالب شجر البلوط، التي لها جذوع عملاقة. إلى هذا النوع من الرهبان ينضم النُسّاك الذين يسكنون في أشجار الزيتون أو أشجار اللوز. وكان القديس داود الذي من تسالونيكي يسكن في شجرة لوز.

❖ **الرهبان الرعاة**: ويُسمى هكذا النُسّاك الذين يعيشون على الجبال وفي البراري والمغائر، وهم عندما يجوعون ويحين وقت الطعام لا يطهون شيئًا ولا يمدون مائدة، بل يسعون على أربع، اليدين والرجلين، (مثل الحيوانات) يبحثون عن طعامهم على الجبال ويأكلون خاصة أعشابًا، وقد اختفى هذا النوع من الرعاة اليوم لأن القانون المقدس (البداليون) منع هذا النوع من النسك.

❖ **الرهبان حاملو الحديد**: ويُسمى هكذا الرهبان أو النُسّاك الذين يحملون حديدا على أيديهم أو على أحقائهم أو على أكتافهم أو على أعناقهم وكانوا يعتبرون أنفسهم مذنبين أمام الله ويعيشون بالشقاء والتعذيب مسترحمين الله. ونذكر منهم القديس نيكيفوروس الكالافري (من اللافرا الكبرى بآثوس وهو تلميذ القديس أثناسيوس الآثوسي)، والقديس باناريتوس أسقف بافوس بقبرص وغيرهم كثيرون مارسوا هذه

الطريقة من الإيذاء الطوعي. وبعض هؤلاء النُسّاك مشار إليهم بواسطة ثيودوريتوس أسقف كيروس في كتابه "فيلوثيوس هيستوريا" = "التاريخ الديني".

- **الرهبان المتسولون**: ويُسمى هكذا الرهبان المتسولون الذي يعيشون فقراء طوعًا وليس لهم راتب ولا مأوى ولا بيت، بل يقيمون في الخلاء صيفًا وفي قلالي خربة أو بيوت صغيرة أو مغائر أو في مخابئ محيطة شتاء. يعيشون متجولين على القلالي والأساقيط والأديرة يتسولون أو يأخذون رحمة من الرهبان. هؤلاء أكثر الرهبان كلهم في عدم القنية. ومن قديسي كنيستنا الذين عاشوا هكذا نذكر القديس أندراوس المتباله لأجل المسيح، وسمعان المتباله لأجل المسيح ويوحنا الكاليفيتي وآخرين.
- **الرهبان المتبالهين لأجل المسيح**: ويُسمى هكذا الرهبان أو العلمانيون الذين يدعون الهبل (الجنون) ليخدعوا الناس بتواضعهم فلا يظنون أنهم قديسون أو أفاضل بل يرونهم مجانين وفي حالة فصام في الشخصية، بهدف أن يتمسكوا بالتواضع أو يخفوا تدابيرهم. يعيش هؤلاء أيضًا على إحسانات الآخرين وليس لهم بيت ولا مأوى ولكن حيثما يجدون مكانًا يقيمون. لا يعملون أي عمل ولا عمل اليدين، بل يطوفون هنا وهناك كبهلوانات العمل الصوفي الروحي الذي بحسب الله. فهم سريون في حياتهم وعجيبون في الواقع. في ملبسهم يبدون أحيانًا في ملابس رثة وأحيانًا أنصاف عرايا أو عرايا تمامًا وأحيانًا عندما يجب يرتدون ملابس ملوك أو قادة، ويضحكون على بُطل هذا العالم. أحيانا يدعون أنهم محبون للفضة وهم

بلا قنية، وأحيانا زناة يخرجون من بيوت الدعارة وهم غير نجسين، وأحيانًا يبدون شرهين وسكارى وهم صوامون لأيام كثيرة. وإنما يفعلون هذه الأمور كأنها ليست بلا أهمية. وهم مولودون كأنهم "مرفوضين" في هذا العالم.

ومن هؤلاء نذكر أندراوس الإسكيثى وسمعان السوري، وثيوذولوس القبرصي، وسابا الفاتوبيذى وآخرين.

❖ **الرهبان سكان اللافرا**: ويُسمى هكذا الرهبان الذين يسكنون في اللافرا، واللافرا عبارة عن دير كبير به عدد كبير من الرهبان. وباللافرا مقاعد ومناسك ونُسّاك مقاعد وهؤلاء النُسّاك يصلون من أجل رعاية اللافرا. وملمح آخر مميز للافرا هو أنه رغم أنها دير حياة شركة إلا أن راهب اللافرا يستطيع بإذن من رئيسه وتحت إشرافه أن يمارس، وقتما أراد، أصوامًا كثيرة أو وسهرانيات أو صلاة أكثر أو نسك[٧٧].

[٧٧] كل أديرة الحياة الخصوصية في الجبل المقدس تحولت إلى أديرة حياة الشركة. وآخرهم كان دير الباندوكراطور عام ١٩٩٢.

عن النسك

بعد أن أشرت إلى أشكال الرهبنة وأنواع النسك المختلفة، سوف أتكلم الآن عن النسك الذي يدور حوله الحديث هنا، طالما أن النصوص والروايات التي سبقت في هذا الكتاب تشير إلى التنسك في آثوس.

يشير مخلصنا المسيح في الإنجيل المقدس إلى العفة والبتولية أنه "لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُم" (١٩: ١١)، أي: لا يستطيع الجميع أن يتبعوا حياة البتولية ولكن هؤلاء فقط الذين أُعطى لهم من الله. ونفس الشيء نستطيع أن نقوله هنا إنه "لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُم" (١٩: ١١) أي: لا يستطيع الجميع أن يتبعوا حياة الوحدة والنسك ولكن هؤلاء فقط الذين أُعطيت لهم هذه النعمة من الله".

فعندما سمع القديس أنطونيوس الكبير كاهن القرية يقول في قراءة الإنجيل "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي" (لو ٩: ٢٣) لم يذهب إلى الميادين ولا إلى الأسواق ليجد المسيح ويتبعه، بل ذهب إلى الصحراء وإلى الهدوء".

ولكن أول من مضى إلى البرية منذ طفولته هو "العظيم في مواليد النساء" المكرم يوحنا المعمدان السابق. وبأمر ملاك الله كان ممنوعًا أن يشرب خمرًا ولا مسكرًا. فقد كان مكرمًا وبتولاً وصوامًا أكثر من

كل الناس، يأكل جرادًا وعسلاً بريًا ويلبس ملابس من وبر الإبل ويتمنطق على حقويه بجلد.

ولكن ربنا يسوع المسيح أيضًا، الناسك الأعظم، بعد المعمودية أخرجه الروح إلى البرية وكان هناك أربعين يومًا وأربعين ليلة صائمًا ومصليًا. ولكن الوحش الكبير غير المرئي العقلي الذي هو إبليس، عندما تضايق جدًا من صوم المسيح، اقترب إليه وحاول بأقوال من الكتاب المقدسة أن يسقطه في الخطية. ولكنه اصطدم بمن لا يخطئ! لأن ربنا يسوع المسيح بنفس السلاح الذي استخدمه العدو ليغلبه، أي بأقوال من الكتب المقدسة، بنفس السلاح غلبه وحطمه، وظهر ليس فقط كناسك عظيم بل كغالب لإبليس.

وفي العهد القديم نجد أشهر إنسان وهو موسى، الذي كان أنقى وأحب إنسان إلى الله في عصره، كما شهد الله نفسه عنه قائلاً: "عرفتك باسمك" (خر ٣٣: ١٢) نجد أن الله لم يحدثه عندما كان في بيته، ولا عندما كان في بلاط فرعون، ولا في ميادين المدن. بل تكلم إليه الله في البرية ورأى رؤية العليقة المحترقة في البرية. وخلع حذاءه واقترب، لأن الموضع الذي كان يقف عليه أرضًا مقدسة. ثم بعد ذلك، عندما أخرج شعب اسرائيل إلى البرية، صام أربعين يومًا وأربعين ليلة، مصليًا على جبل سيناء حتى يأخذ "ناموس الله المكتوب" وعندما نزل لم يستطع الاسرائيليون أن يتطلعوا في وجهه لأنه كان يلمع.

فالابتعاد عن الناس والشركة مع الله بالصلاة تجعل الإنسان التقي أكثر بريقًا ومثل الله وصاحب مواهب وقديسًا.

محبة الآباء القديسين للبرية

ونحن ندرس سير القديسين نجد أن معظمهم يرغبون بشدة في حياة البرية والهدوء ويطلبونهما.

فالبعض مضوا إلى البرية منذ البداية وظلوا هناك حتى النهاية مثل القديس بولس الطيبي ومرقس الآثوسي، وبطرس الآثوسي، ومرقس الرومي، وماريا المصرية وآخرون.

والبعض صاروا في البداية نُسّاكًا ثم بعد ذلك دعتهم العناية الإلهية لأن يصيروا نظارًا على أديرة مثل القديس أنطونيوس الكبير وإيلاريون الكبير، وخاريتون في فلسطين والقديس سابا، وسمعان مؤسس دير سمعان بطرس وأثناسيوس الآثوسي وآخرون كثيرون.

والبعض أيضًا ذهبوا وصاروا رهبانًا في أديرة، ثم رغبة منهم في حياة البرية خرجوا وعاشوا باقي سنواتهم فيها مثل القديس أونوفريوس والقديس إسحق السرياني والقديس قوزماس الزوغرافيتى وآخرون.

ولنر الآن مقتطفات من سير الآباء القديسين حيث يشار فيها إلى تفضيلهم حياة البرية والهدوء:

"وبعد أن غادر دير الشركة وكل تلك الأخوة المقدسة جاء كغزال عطشان إلى منابع المياه، إلى موضع قفر بعيداً عن العالم وخلطه الجميع، وسكن داخل قلاية منفردة، منشغلاً وحده بالله فقط وبذاته" (من سيره القديس إسحق السرياني).

"وبعد رسامته بوقت قصير ترجى والده الإله أن ترشده إلى خلاصه. ويا للعجب!! فقد سمع صوتًا من الأيقونة المقدسة يقول: "يا ابني وإلهي، قُدْ عبدك إلى خلاصه"، وقد استجاب المسيح لوالدة الإله قائلا: "ليمضِ من الدير ويهدأ وحده". وبعد أن غادر الدير هدأ هناك بالقرب منه". (من سيرة القديس قوزماس الزوغرافيتى).

"ولكي يتجنب هجمات القراصنة التي عانى منها الدير المذكور لموقعه على الشاطئ، صعد ومعه باقي الأخوة إلى الأماكن العالية الصخرية. وقد مكث الأخوة في المكان الذي فيه الآن إسقيط القديسة حنة، أما القديس غيرونديوس فقد أحب الهدوء الكامل، وصعد إلى أماكن أعلى مع واحد من تلاميذه بالقرب من كنيسة القديس بندلايمون"، (القديس نيكوديموس الأجيوريتى في مديح للآباء القديسين المنيرين في آثوس، إشارة إلى القديس غيروندويوس).

"وبعد أن مضى من هناك (من دير ستوذيتوس) جاء إلى الجبل المقدس وسكن في إسقيط الكاريين ومن هناك في إسقيط القديسة حنة، الذي كان يقال له وقتها "إسقيط اللافرا"، كما يشهد بذلك القديس ديونيسيوس نفسه. ورغبة منه في الهدوء التام ذهب أخيرا إلى ما يُسمى الآن

إسقيط القديسة حنة الصغير، الذي كان حينئذ برية تامة ممتلئة بالنباتات، حيث أمضى في مغارة هناك حياته المقدسة في نسك شديد ورؤيا عملية"، (القديس نيكوديموس الأجيوريتى عظة في مدح الآباء القديسين المنيرين بالنسك في جبل آثوس، إشارة إلى القديس ديونيسيوس الخطيب).

"وعندما مضى القديس مكسيموس إلى هناك اجتاز إلى مقدونيا وإلى الجبال القريبة منها ملتمسًا أن يجد شيخًا فاضلاً ليسأله. ولكن الله حقق رغبته لأنه وهو ذاهب إلى جبل بابيكيون وجد رجالا قديسين يشبهون القدماء الذين كانوا يسكنون على الجبال وداخل المغائر والأماكن المقفرة، ولم يكن لهم شيء آخر إلا ملابسهم الرثة التي كانوا يرتدونها. وبعد أن تحدث معهم وقتًا طويلاً اكتسب في ذاته كل فضائلهم التي تفوق البشر كما يقبل الشمع خصائص الختم".

"وأما الفضائل التي تفوق البشر فهي عدم القنية لدرجة أنه لم يقتن شيئا ولا حتى معولاً، ولا مغرفة، ولا مخلة، ولا مقعدًا، ولا مائدة، ولا كيسًا ولا دقيقًا ولا زيتًا ولا نبيذًا ولا خبزًا ولا أي شيء من ضروريات الإنسان للعيش بل أمضى حياته متجردًا من المادة في البراري والأماكن غير المطروقة" (من سيرة البار مكسيموس الكافسوكاليفيتي).

مقتطفات من أقوال بعض الآباء القديسين والشيوخ الأفاضل المعاصرين عن النسك وحياة الوحدة والهدوء

- "ألم تر الرهبان الذين يرغبون في الحياة الرهبانية فينعزلون على قمم الجبال، وكم مشقة كبيرة يحتملون؟ لأن الرهبان بالفعل يفترشون التراب ويرتدون مسوحًا ويضعون في كل جسدهم أغلالاً ويحبسون أنفسهم في قلاية بجوع طويل، ويعيشون بنوح وسهرانيات لا تُحتمل، كل هذا ليستطيعوا أن يطردوا عنهم جزء صغير من خطاياهم" (القديس يوحنا ذهبى الفم).
- "شعرة صغيرة تهيج العين، واهتمام قليل يذهب الهدوء. لأن الهدوء يعنى ترك الأفكار ورفض الاهتمامات الهامة والضرورية" (القديس يوحنا الدرجى).
- "في البداية كان الرهبان الأوائل منتشرين في كل شبه جزيرة آثوس، يعيشون حياة الوحدة مهتمين بخلاص نفوسهم سواء منفردين أو في جماعات صغيرة". "ونميز فيهم الاهتمام بالنقاوة وبكل أثر للخطية من خلال حبس أنفسهم في مناسك أو مغائر أو أديرة حياة الشركة الصارمة". "حدث أن عرفت رهبانا في بريه آثوس لم يأكلوا أبدًا طبيخًا بل ثمارًا وفاكهة فقط وخبزهم هو الخبز الجاف ،"لن أغالى إن سميتهم "نسور السماء"، لأنهم يتطلعون

نحو الله فقط، وكما سبق وقلت يهيمون نحوه عقليا" (الأب جابريل ديونيسياتوس "التاريخ اللوزاكي للجبل المقدس"، فولوس ١٩٧٦ الطبعة الثانية، ١٩٧٦، الطبعة الثانية).

- "ليس للنُسّاك كتاب، اللهم الا المسبحة التي تحل محل الكتب. فالراهب عندما يصلي يهرب من هذا العالم. وبينما هو موجود بالجسد على الأرض تجده يعيش بالروح في السماء، حتى لتمر الساعات دون أن يدرى كيف مرت"... والناسك ليس له ساعات محددة يصلي فيها، لأن الوقت ليس له أية قيمة أمام الله. فالراهب حقا يصلي بلا انقطاع ويسجد لله بالروح والحق" (تعليقات للأرشمندريت يواقيم سبيتسييرى).
- "يمثل النُسّاك والمتوحدون ساكنو القلالي والمغائر الصحراوية الجافة البعيدة وعلى الصخور المنحدرة البعيدة والمخيفة المائلة في الجبل المقدس طقسًا خاصًا جدًا ويثيرون انطباعات مختلفة. فحياة كل واحد منهم مستترة في الله وهو وحده الذي يعرف صراعاتهم وجهادهم، فنعمته ألهمتهم هذه الغيرة وحمية الإيمان والمحبة، ورغم أن لهم صلاحًا وبساطة وقلبًا طفوليًا، إلا أنهم صارمون على أنفسهم، ومن الخارج يبدون أنهم ليسوا من العالم بمظهرهم غير المهندم وشعرهم الأشعث ولحيتهم وملابسهم المرتقة التي من كثرة الرتق فيها لا تعرف أيهما الملبس القديم" (الراهب بافلوس

خوزيفيتيس، "المكتبة الأجيوريتية"، الأماكن المقدسة، الجبل المقدس، العام ٢٨، المجلد الخامس، ١٩٦٣).

❖ "حوالي القرن الخامس الميلادي ظهرت في فلسطين اللافرات. واللافرات كانت عبارة عن أديرة تربط أديرة حياة الشركة بالصحراء. فالرهبان الذين تحت الاختبار، وبعد جهادات الروحية، كانوا يحصلون على إذن من رئيس الدير ليتنسكوا في قلالي خارج الدير. وجدير بالذكر هو أن التعليم الرهباني يعلي الصحراء كأنسب مكان للكمال ومساعد للاتحاد السري مع الله. هذا المفهوم، الذي تكون من التعليم النسكي وخبرة الآباء الطفوليين، أثمر شكلاً جديدًا من أشكال الحياة الرهبانية ألا وهو "الهدوئية". فالهدوئية أهدتنا خبرات روحية عالية وأدبًا صوفيًا غنيًا جدًا". "فإن كانت أديرة حياة الشركة هي القُدس فالهدوئية هي قدُس الأقداس. وإن كان دير حياة الشركة هي "المبيضة" حيث تُبيّض الأصواف، فالهدويئة هي "المصبغة" حيث تأخذ الأصواف لونها وكمالها، أو إن كان دير حياة الشركة هو "مدرسة الأطفال" فإن منطقة الهدوء محددة لذهن الرجال، بعد جهادات روحية طويلة وبطولية.

وهكذا أستطيع أن أشبه :

- دير حياة الشركة بفناء الهيكل.

- الإسقيط، الذي هو حياة مركبة من أديرة حياة الشركة والهدوئية، بالهيكل الرئيسي.
- الهدوئية بدهاليز هذا الهيكل، حيث تقام فيها خدمات روحية عالية ويتوسع الذهن لبحار من اللاهوت الصوفي لا حد لها".

"فالهدوئية هي أحد فروع شجرة الرهبنة أو هي مرحلة أخيرة من مراحل تطور الحياة الرهبانية أو هي أعلى درجة للنفس البشرية، التي تراها النعمة". "فالهدوئية تأخذ اسمها من التأكيد على الهدوء والصمت الروحي. والهدوئي لا يسمع ولا يرى ولا يتفكر في الأرضيات ولا يتخيل الأمور الجارية. فالهدوئية تعبر عن روح التغرب الشديد عن العالم مرتبطاً برغبة حارة لحوار غير منقطع في علاقة سرية مع الله ولا أخطئ إن سميت الهدوئية عصب الرهبنة" (الراهب ثيوكليتوس ديونيسياتوس، "المكتبة الأجيوريتية"، معنى ألف عام من الجبل المقدس، العام ٢٨، المجلد الخامس، ١٩٦٣).

❖ "فاليوم، والشكر لله، عندنا يوجد ليس فقط عشرة أبرار بل أكثر في الأماكن الصخرية وبراري جبل آثوس، ليلاً ونهارًا، لا يتوقفون عن التضرع إلى الرب، من أجل سلام العالم، مرضين الرب بأصوام وسهرات وصلوات، قامعين أجسادهم، صائرين مثل ملائكة آخرين في الجسد، مستمرين في النوح، مترجيين الله بتنهدات لا يعبر عنها لكي ينير العالم ويخلص بالتوبة والرجوع، فهل يجد بعض الناس وقتًا ليتهكمّوا عليهم ويتهمونهم بأن في

عصر الحضارة المزعوم والطاقة الذرية "الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى غير مقبولين؟". "ولكن يطيع الله فقط ويسمع تضرعات هؤلاء النُسّاك المتواضعين الأبرار وابتهالاتهم" (أفكسينديوس الراهب فيلوثيئتيس "المكتبة الأجيوريتية" النُسّاك في القرن العشرين، العام ٢٨ ، المجلد ٦ ، ١٩٦٣).

❖ "الوحدة هي الحديث مع الله ومع الأرواح التي تقترب منا جدًا بمحبة ورفق. ولن أستبدل فقط صخور باتموس الجافة الغامقة بحدائق أثينا المزينة بالزهور. فهنا (في أثينا) ترى العالم بدون فكر مقدس، ترى هذه الزهور والحدائق الجميلة دون أن ترفع قلبك بالشكر لله الذي ملأنا بمثل هذا الجمال، في حين أنك في برية وفي مكان قفر جدًا موحش كمثل طائر صموت جدًا ترى الله قريبًا منك. فسعيد إذن هو الإنسان الذي يكون قريبًا من الله حتى ولو كان فوق صخرة" (الراهب أمفيلوخيوس ماكريس ١٩٧٠ +).

❖ "يحب الناسك الصمت والوحدة والصلاة. فله خبرات في الحياة التي في المسيح. ويعرف أحداثًا من حياة كبار النُسّاك في الصحراء. ملأ قلبه بالإيمان والرجاء والمحبة. يعيش وحيدًا ليهدأ النفوس المريضة من الألم والصراع والكبرياء. يزور قلايته أناس مرضى وأناس محملون بمشاكل وصراعات وأناس يريدون أن تصفو حياتهم". "يوجه الناسك إلى الزوار نصائح مقتضبة واستنتاجات من حياته الخاصة". "عيناه مبتلتان بدموع الامتنان. في الصباح يقوم مسرعًا

ويدخل روحيًا إلى مغارته. وروح الله الصالح يقوده إلى قيامات وإلهامات" (إيرينيوس أسقف باتارا، تنفسات القيامة، أثينا ٢٠٠١).

❖ "لا تثمر التعاليم الإنجيلية في أراضي كسل وعبودية للبطن وللشراب والانغماس والخلاعة ومحبه الجسد. فعلى قمم وعرة وغير مطروقة وفي شقوق الصخور تنبت "الأبدية" المباركة، وبسقيها بالدموع و"التضرعات" المهدهدة تنمو وتخرج "زهور الفردوس" (خريسوستوموس أسقف روذوستولوس، أغنية الأبدية، في آثوس، الجبل المقدس ٢٠٠٤).

❖ "بسبب أنه في السنوات الأخيرة ظهر الكثير من النُسّاك مضلي الشعوب الذين كانوا يرتدون ملابس سوداء ولهم شعر طويل ويطوفون في مدن العالم بين الرجال والنساء، وهكذا يهينون الشكل الرهباني، فقد حدد هذا القانون أن هؤلاء إما أن يقصوا شعرهم مثل باقي الرهبان الذين يعيشون في الأديرة وأن يقيموا هم أيضًا في أديرة أو أن يُطردا نهائيًا من المدن ويذهبوا ليعيشوا في البراري التي خرجوا منها وسموا أنفسهم كذبًا وليس حقيقة، نُسّاكًا" (من البيداليون المقدس، القانون ٤٢، المجمع السادس).

ويجب هنا، في صدد هذا الموضوع، أن نشير إلى بعض الأقوال النسكية للناسك العظيم ومتوحد المتوحدين والشهير بين كل الهدوئيين القديس الأب إسحق السرياني. لأن كتاب "النسكيات" بالفعل يُعد، بحسب رأى الكثيرين، "إنجيل البرية". وتُعتبر أقواله بحسب رأى البعض

الأخر، "ترنيمة للهدوء"، ولهذا أطلقت عليه سير القديسين الأرثوذكسية لقب "المُلْهَم". وما سنعرضه أدناه هي فقرات من أقواله النسكية:

- "لا يستطيع أحد أن يقترب إلى الله ما لم يبتعد عن العالم. وعندما أقول الابتعاد عن العالم، لا أقصد أن يمضي أحد منه جسديًا، ولكن أن يبتعد بالتمام عن كل أمور العالم" (العظة الأولى).
- "وبسبب البرية، صارت كل هذه الأهواء (الغضب، الشهوة، تذكار الشر، المجد وما شابها)، عليهم خفيفة. وهكذا بهذه الأفكار صاروا محتمين ومحصنين داخل البرية، كما في حصن حصين، يستطيع كل واحد منهم أن ينمو بجهاده في هذا المكان، حيث لا تجد المشاعر من يزكيها ولا تتحد مع العدو ضدهم. فالأفضل لنا إذن أن نموت ونحن نحارب في جهادنا من أن نعيش مغلوبين من الأهواء" (العظة ٦).
- "فإن وصلت، يا بني، إلى نقاوة القلب التي من الإيمان، النقاوة التي تُقتنى بالهدوء من خلال الهروب من الناس، والابتعاد عن معرفة هذا العالم، فجأة تجد المعرفة الروحية التي من الإيمان داخلك دون أن تبحث عنها، كما قال الله ليعقوب: "انصب عمودًا واسكب عليه زيتًا" (تك ٣٥ : ١٤) وتجد كنزًا في حضنك" (العظة ١٩).
- "اقرأ الأناجيل المقدسة دائمًا في البرية وفي الأماكن الهادئة وأنت متحرر من اهتمامات الجسد الكثيرة ومن اضطرابات الأمور

العالمية، حتى بالإصرار تشعر نفسك بحلاوة الفهم التي هي فوق كل شعور" (العظة ٢٣).

❖ "حتى وإن ضايقنا الجوع وتملكنا، فلا يجب أن نتحرك من مكان هدوئنا، ولا أن ننتقل حيث نستطيع بسهولة أن نستمتع بأمور مُسرّة للجسد، ولا أن نطلب فرصًا وأسبابًا لنهرب من البرية. لأنه من الواضح أن هذه هي اختراعات من عدونا كلنا. فإن صبرت في البرية فلن تكون في مرمى التجربة. لأنك في البرية لا ترى امرأة ولا شيئًا من شأنه أن يفسد سلوكك ولا تسمع أحاديث غير لائقة" (العظة ٢٦).

❖ "فالهدوء الكامل الحاصل بعد القراءة، وتوازن الطعام والسهر، يوقظون في الحال الفكر إلى مفاجأة الأمور الإلهية. إلا إذا حدث عارض من شأنه أن يفسد الهدوء" (العظة ٢٩).

❖ "قال أحد الآباء القديسين إنه ليس من نظام سيرتك، أيها الراهب، أن تشبع الجائعين، ولا أن تجعل قلايتك فندقًا. لأن هذا عمل العلمانيين ويجب عليهم أن يعملوا الرحمة كعمل صالح، وليس بالنسبة للمتوحدين الذين هم أحرار من اهتمامات الأمور الظاهرة، ويحفظون أذهانهم بالصلاة، عائشين في هدوء" (العظة ٣٣).

❖ "لنحتقر بُطل العالم ومتعه، ولنحتمل بفرح الهدوء المستمر مع جسد مريض، حتى نستحق النعيم الآتي مع أولئك، الذين في المغائر

وشقوق الأرض ينتظرون من السماء ظهور الرب المستحق للثناء" (العظة ٣٥).

- "الوحدة في الصحراء تسبق الصلاة، وهذه الوحدة تصير لكي نكتسب محبة الله. لأن بالصلاة نجد سببًا لكي نحب الله" (العظة ٣٥).
- "وإن لم يسبق الصبرُ التفكيرَ فلا يمكن أن يختار (الراهب) موضعا ممتلئًا وحشة وخاليًا من البشر. وإن لم يختر (الراهب) حياة الوحدة فلا يمكن أن يصر على الصلاة، وإن لم يعش منفردًا، مكرسا لله، ولا يصر على أشكال مختلفة من الصلاة، والتي تصير بالتوالي كما قلت، فلن يشعر بمحبة الله" (العظة ٣٥).
- "إماتة العالم ليست فقط في أن يبتعد أحد جسديًا عن المجتمع وعن علاقات أمور العالم، ولكن في أن لا يرغب بالفكر في أي شيء من خيراته" (العظة ٣٨).
- " يزداد فكر تذكر الموت ويبقى من خلال حياة الهدوء والوحدة" (العظة ٣٩).
- "بقدر ما يبتعد الإنسان عن الخلطة والأحاديث مع البشر بقدر ما يستحق الدالة مع الله بذهنه. وبقدر ما يقطع من نفسه عزاء هذا العالم، بقدر ما يستحق نعمة الروح القُدُس الإلهية. وكما تموت الأسماك خارج الماء، هكذا تختفي الحركات الذهنية من قلب الراهب الذي يخالط باستمرار العالمين ويعيش معهم" (العظة ٤٣).

- "طوبى للإنسان الذي يحتمل الهدوء من أجل الله، ويأكل خبزه وحده" (العظة ٤٣).
- "ابتعد عن العالم، وحينئذ سوف تشعر برائحته النتنة" (العظة ٥٥).
- "طوبى للإنسان الذي يبتعد عن العالم وظلمته ويهتم بخلاص نفسه" (العظة ٥٥).
- "الراهب هو ذاك الذي يبتعد عن العالم، ويتضرع إلى الله دائمًا لكي يحصل على النعم الآتية" (العظة ٥٦).
- "كما أن طاهر البلشون[٧٨] يفرح ويُسر، كما يقول الحكماء، كلما ابتعد عن البشر، وسكن في موضع قفر، هكذا نفس الراهب، عندما تقبل الفرح السماوي وتبتعد عن البشر وتسكن المواضع الهدوئية حتى خروجها" (العظة ٧٣).
- "لأنه بدون أن نترك كل أمور العالم، وبدون أن نتجنب كل اهتمام، حتى وإن قلنا إننا حققنا سيرة الهدوء، فهذا خزي لنا ودينونة علينا" (العظة ٧٩).
- "لا تسأل بعد عن العالم ولا عن حاله ولا عن الرهبان ولا عن أحوالهم ولا عن كيف يعيشون ولا عن كم عمل أيديهم ولا تهتم بأي شيء بالنسبة لهم. انظر كيف خرجت أنت بمعجزة من العالم واحسب ذاتك مائتا لأجل المسيح، ولا تعش بعد لأجل العالم ولا

---

[٧٨] طائر مالك الحزين (المترجم).

لأجل أمور العالم لكي يدركك الرقاد وتعيش لأجل المسيح" (العظة ٨٠).

❖ "وكما أن النفس توجد مختفية في الجسد وغير ظاهرة للناس هكذا المتواضع الحقيقي لا يريد فقط أن لا يراه الناس أو أن يعرفونه، ولكن إن كان ممكنًا يفني ذاته ويأتي ليعيش في مكان هادئ ويترك بالتمام كل اهتماماته الأولى وأفعال حواسه ويعيش كما لو كان لا يوجد في العالم، ولا تعرفه حتى نفسه الخاصة، لأنه كلما اختبأ وانسحب من العالم كلما اقترب من سيده الرب" (العظة ٨١).

❖ "عندما تُقطع الحواس بالهدوء وتشيخ الرغبات بمساعدة الهدوء، يستطيع حينئذ الإنسان أن يرى ما هي أفكار نفسه الطبيعية وما هي طبيعة نفسه وما هي الكنوز التي تخبأها نفسه فيها" (العظة ٨٢).

❖ "لأنه، عندما يبتعد أحد عن العالم وأموره، ينسى سريعًا عادته الأولى بدون عناء كثير ولكن عندما يقترب من العالم وأموره يضعف سريعًا وتخور قوى تفكيره. فالابتعاد عن العالم ينفع جدًا في جهاد النسك الاستشهادي ويجعل الإنسان في تقدم نفسي" (العظة ٨٥).

❖ "لأنه عندما يهدأ الإنسان داخليًا يتجه حينئذ ذهنه نحو ذاته و يفحص قلبُه أفكار نفسه، وإن بقي الإنسان حسنًا على هذا فإنه يأتي رويدًا رويدًا إلى طريق نقاوة نفسه" (العظة ٨٥).

❖ "وعندما يصل الإنسان إلى الهدوء، تستطيع حينئذ نفسه أن تميز الأهواء ، وحينئذ يتحمس الإنسان الداخلي لعمل الروح ويومًا فيومًا يشعر بالحكمة الخفية التي تزهر فيه" (العظة ٨٥).

❖ "سؤال: ما هي باختصار قوة عمل الهدوء؟

الإجابة: الهدوء يميت الحواس الخارجية ويحفز حركات النفس الداخلية، أما الصحبة الخارجية فتعمل العكس" (العظة ٨٥).

❖ "لأن الهدوء يشارك في هذه النعمة (أي انشغال النفس بالمعاني الإلهية)، إذ أن الذهن يجد وقتًا ليبقى غير منشغل بها" (العظة ٨٥).

❖ "طوبى للإنسان الذي يصبر على الهدوء لأن به يفيض أمامه نبع نظر عجائب الله، ويشرب منه فيحلو له ولا يتوقف أبدًا عن الشرب منه ليلاً ونهارًا حتى نهاية حياته المؤقتة" (العظة ٨٥).

❖ "من يُودِع مشيئته لله ولا يهتم بعد باحتياج الجسد ولا بتعبه ولا بمرضه بل يثابر على نقاوة قلبه الداخلية ويصبر على حياة التواضع، لن يخاف الأحزان بل سوف يُحمد على نقاوة سيرته وليبعد عن العالم ويعاني على الجبال ويعيش طوافًا في أماكن الحيوانات العجماوات، دون أن يقبل أن يتعزى جسديًا أو أن يعيش حياة مليئة بالنجاسة" (العظة ٨٥).

❖ "الوصية التي تقول: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ" (لو ١٠ : ٢٦) بل وأكثر من كل العالم ومن كل الطبيعة، تكمل هكذا، عندما تصبر على الهدوء. ووصية محبة القريب تكمن فيها" (القديس إسحق السرياني، الرسالة الاولى).

❖ "وقال أيضًا: "لا يمكن لأحد ان يخضع أحاسيسه الجسدية لسلطة النفس بدون الهدوء والتغرب عن البشر، لأن بهذين تلتحم النفس العاقلة وتنجذب إلى أسفل مع أفكارها، إن لم يكن الإنسان منتبهًا لعمل النفس الخفي" (الرسالة الثالثة).

❖ "إن لم تتطهر بصيرة الذهن بعمل الوصايا وأعمال سِيَر هدوء مختلفة، وإن لم تكتسب المحبة الكاملة وتزداد في قامة الحياة الجديدة، التي للمسيح، وتقترب إلى اختلاف معرفة الطبائع الروحية بنظام، فلن يستطيع أحد أن يصبح متأملاً حقيقيًا للرؤيا الإلهية" (الرسالة الرابعة).

كلمة قصيرة عن النساك في جبل آثوس

بعد أن تكلمنا سابقًا قليلاً عن النسك عامة، سنتكلم الآن أيضًا قليلاً عن النسك في جبل آثوس.

توجد مناطق نسكية وهدوئية كثيرة في جبل آثوس الشهير الاسم، مثل كابسالا وبروفاتا وكوليتسو وغيرها، ولكن أشهر منطقة نسكية في الجبل المقدس هي "اللافرا الكبرى". لأنها تمتد من دير اللافرا وتصل حتى إسقيط القديسة حنة. إلى هذه المنطقة البرية الموحشة الصخرية تنتمي بعض الأماكن مثل "كريا نيرا"، "إفانجيليون"، "القديس أرتميوس"، "استرافولاجاذا"، "خائيرى"، "كوكوزيليكا"، "ليفكا"، "القديس أنطونيوس"، "القديس نيلوس"، "الكافسوكاليفيا"، "كيراسيا"، "كارميلي"، "القديس باسيليوس"، "باناجيا"، "كاتوناكيا"، "كاروليا"، "إسقيط القديسة حنة الصغير"، "القديس بندلايمون" و"مغائر سارا". كل هذه المناطق تقريبًا أماكن موحشة صعبة الطرق وأماكن نسك وأغلبها جافة ولا يوجد بها ماء.

في هذه الأماكن من برية آثوس لجأت خلال القرون السابقة، منذ القرن العاشر، حيث توجد إشارات إلى متوحدين في الجبل، وحتى يومنا هذا، وعاشت فيها مجموعاتٌ كبيرةٌ من النُسّاك والقديسين المتوحدين الصارمين بأصوام وسهرانيات وصلوات ونسك ورقدوا فيها. أكثرهم ظلوا مجهولين وغير معروفي الاسم. أما المشهورون منهم

والمعرفون، كالذين حُفظت سيرتهم، فهم: القديس بطرس الآثوسي والراهب نيكيفوروس ومكسيموس الكافسوكاليفيتي ونيفون الكافسوكاليفيتي وغيرونديوس الفوليفتيريوتي وغريغوريوس البيزنطي وإشعياء الناسك وديونيسيوس الخطيب وميتروفانيس الأب الروحي وأكاكيوس الكافسوكاليفيتي وثيوذوروس الذي من فيغلا، وقد كتبنا عنهم باختصار في بداية هذا الكتاب.

وهناك المتوحدون المحدثون في برية آثوس مثل الذين حفظت لنا أسماؤهم، وهم:

يواقيم الناسك (لص سابق، رقد عام ١٨٨٨ م.) والذي اعُترف به قديسًا رسميًا في الكنيسة الروسية وتنسك في المنطقة البرية من إسقيط القديسة حنة.

باخوميوس المغائري (القرن التاسع عشر) والذي تنسك في مغارة غير مطروقة وعرة أعلى منطقة "كريا نيرا" تجاه "باناجيا".

جيراسيموس الكارميلى والأب سيرابيون الروسي المتوحد العظيم (بدايات القرن التاسع عشر) والراهب سيرافيم النيوسكيتيوتي، المتوحد الأحدث في آثوس. هؤلاء هم المعرفون والمشهورون جدًا خلال الفترات الأخيرة، وقد أشرنا إليهم في صفحات سابقة في شكل سير قصيرة.

وكان هناك أيضًا متوحدون محبون لله صارمون، قدماء ومحدثون، ولكن للأسف ظلوا غير معروفين ومجهولي الاسم لأنهم فضلوا عدم الظهور والتواضع وعاشوا بعيدًا عن الناس ولا يعرف أحد سيرتهم

العجائبية ولا حتى أسماءهم ولا في أي مكان من برية آثوس تركوا رفاتهم المكرمة. وكما يشير الملك والنبي داود في المزامير قائلا: "يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ" (٦٣: ١)، و"هأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِبًا، وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ. كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَمِنَ النَّوْءِ" (مز ٥٥: ٨، ٩)، هكذا أيضًا نُسّاك برية آثوس من شعلة إيمانهم المتوهجة ومن حلاوة محبتهم لله ومن رغبتهم في الكمال والقداسة، هجروا العالم وكل اهتماماته المعيشية وكل أهل وصديق وحتى أخوتهم في المسيح وأديرتهم وجروا "كإيل عطشانة إلى مجاري المياه"، لكي يرووا نفوسهم المحبة لله بماء الاتحاد المقدس بالله والشركة والرفقة المقدسة والتعزية الإلهية، بصلاة حارة مُخلّصة للنفس واتحاد إلهي ودموع مطهرة.

ولكن قد يسأل البعض قائلين لماذا يهرب هؤلاء الرهبان ويهجرون كل سند بشري ورفقة وتعزية ويفضلون حياة الوحدة في البرية وحدهم متروكين من كل معونة بشرية؟ أليس هذا خطرًا؟ وطالما أن المسيح مخلصنا قال: "لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (مت ١٨: ٢٠)، و"تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت ٢٢: ٣٩) وقال بولس: "لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا" (في ٢: ٤)، فكيف يمكن تطبيق كل هذا بدون شركة مع الناس؟ والإجابة هي كما قلنا سابقًا في المقدمة، هناك أناس لهم نعمة وقوة من الله أن يعيشوا وحدهم مع الله فقط في شركة معه من خلال

الصلاة. والروح القُدُس هو الذي يسندهم ويعزيهم وينير لهم ماذا يجب أن يفعلوه في حياتهم.

ولدينا أدلة حية من الكتب المقدسة ومن سير القديسين أنه حيثما سكن الباراكليت أي روح الله، الروح القُدُس، فلن يحتاج الإنسان إلى عزاء بشري أو رفقة، لأن رفقة الله المقدسة تفوق كل رفقة بشرية وبالأكثر لا تُقارن نهائيًا بالعزاء البشري. ورغم أن ربنا يسوع المسيح له طبيعتان إلهية وبشرية[٧٩] ولم يكن له احتياج إلى بشر، إلا أنه لم يذهب إلى البرية وحده، بل "أخرجه الروح القُدُس" (مر ١ : ١٢)، حيث ظل صائمًا ٤٠ يومًا. وكذلك القديس يوحنا المعمدان الذي من صغره كان في البريه حتى جاء اليوم الذي أعلن فيه للشعب الإسرائيلي. فمن كان يسنده ويعزيه؟ إنه روح الله.

والقديس أنطونيوس الكبير، عندما أراد ذات مرة أن يعيش حياة الهدوء ليصلي أكثر وأنقى، وتضرع إلى الله لهذا الأمر، كشف له الله أن يذهب إلى الجبل الداخلي أي إلى أعماق الصحراء.

نفس الشيء حدث للقديس أرسينيوس عندما صلى الى الله ليظهر له كيف يخلص، فسمع صوتًا يقول له: "يا أرسينيوس، اهرب من الناس وأنت تخلص".

---

[٧٩] تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية، بطبيعتين في شخص ربنا يسوع المسيح، إلهية وبشرية، وأن المسيح إله كامل وإنسان كامل، غير أن الكنيسة القبطية تؤمن بطبيعة واحدة للمسيح بعد الاتحاد الأقنومي الذي حدث للطبيعتين، أي أنها طبيعة واحدة من طبيعتين.

وإن درسنا سيرة القديس بطرس الآثوسي سنجد أن الشيطان نفسه كان يحاول أن يقنعه بأن يهجر حياة الهدوء والبرية وأن يرجع إلى العالم لينفع النفوس بعظاته وقد أحضر له أيضًا أدلة من الكتاب المقدس بأن الله لا يُسر بأن يعيش الإنسان وحده، بل أن يوجد وسط العالم وأن يعلم الناس بأقواله وأفعاله. ولكن عندما طلب القديس معونة والدة الإله، اختفى الشيطان في الحال. فقد حسد الشيطان الفضيلة والكمال النسبي الذي وصل إليهما والقداسة التي اكتسبها في حياة الهدوء وأراد بهذا الشرك أن يخرجه من الهدوء وأن ينقله إلى اهتمام العالم المضطرب العجاج بالضوضاء، لكي يسرق منه رويدًا رويدًا الكنز الثمين الذي اكتسبه من البرية ويتركه عاريًا ومعوزًا لكل حالة روحية. لأن "محبة العالم عداوة لله" كما يقول القديس يعقوب الرسول.

هنا يظهر بوضوح جنون العدو في محاربة الهدوئيين والنُسّاك ليخرجهم من حالة الهدوء والروحانية. ولأن كلي الشر هذا يعرف أنه كما أن السمك لا يعيش طويلاً خارج الماء، هكذا لا يستطيع الهدوئي أن يعيش حياة روحية خارج قلايته وهدوءه. وهذا ما قد عرفه بالخبرة. لأن منذ نشأة الرهبنة حتى اليوم وعدو الخير يراقب الرهبان، فوجد أن معظم حالات سقوطهم يقعون فيها في العالم بعيدًا عن قلاليهم، وبعيدًا عن أديرتهم وبعيدا عن أخوتهم الذين في المسيح.

ولهذا يشن حربًا شرسة على الهدوئي حتى أنه يعتبره إنجازًا عظيمًا عندما يسقطه ويجعله يترك مكان حياته الرهبانية.

وكذلك نرى في سيرة القديس العظيم بطرس الآثوسي أن الشيطان يفر عند ذكر اسم والدة الإله. ولكن لم يظهر للقديس لا المسيح ولا العذراء ولا أحد من القديسين ولا ملاك رغم قداسته ليقترحوا عليه ترك موضعه ونسكه لينفع النفوس، ليس إلا عدو الله الحي وعدو الجنس البشري، الشيطان.

ولنر ماذا يقول عن هذه الحالات القديس العظيم في الهدوئيين إسحق السرياني:

"شر عظيم بالنسبة للهدوئيين هو رؤية الناس والتحدث معهم! يا أخوتي، الهدوئيون يتأذون بالحق من الخلطة والحديث مع الآخرين أكثر من أولئك الذين هربوا من الهدوء. لأنه كما أن برودة الثلج عندما تسقط فجأة على زروع غضة فإنها تجففها وتهلكها هكذا الخلطة والحديث مع الناس، حتى وإن كان قليلاً ومقتضباً، أو يبدو أنه لهدف نبيل، إلا أنه يجفف زهور فضائل الهدوئي، التي لتوها أينعت في نفسه من تمسكه بالهدوء، وتحيط ببساطة ولطف نبتةَ النفس التي زُرعت على مجاري دموع التوبة. وكما أن قوة الثلج التي تسقط على أعشاب غضة تحرقها، هكذا أيضًا الحديث مع الناس يحرق أصل الذهن الذي لتوه بدأ يثمر ثمر الفضائل. وإن كان حديث بعض الذين يتعففون، ولكن لديهم بعض النقائض، يضر النفس فكم بالحري حديث العلمانيين ورؤيتهم وكذلك الرهبان غير الأتقياء؟ فكما أن الإنسان كريم الأصل عندما يسكر فإنه ينسى أصله ويستهزئ به وتهان كرامته من الأفكار الغريبة الأجنبية، التي

تدخل عليه بقوة الخمر، هكذا أيضًا تعقل النفس يتعكر ويُظلِم من رؤية الناس والحديث معهم، وينسى حينئذ الهدوئي طريقة حراسة نفسه ويُمْحَى هدف مشيئتها من ذهنه ويُخلع منها أساسُ حالته التي تستحق الثناء" (العظة ١٣).

وهناك قطعة أخرى من كتاب "النسكيات" لنفس الأب يوضح فيها أن الله وهب نعمه لأناس قديسين في البرية أكثر من أناس في العالم، وهي كما يأتي:

"لم يظهر الله قوته في أي مكان آخر بطريقه ملموسة إلا في مواطن الهدوء والبراري، حيث لا يوجد محادثات ولا اضطرابات ولا صحبة بشر" (العظة ١٩).

مما سبق يتضح أن القديسين الذين هربوا إلى البرية فعلوا هذا لأسباب تحصين النفس والحياة الروحية العالية، أي حياة أكمل. وكانوا يفضلون أن يحتملوا كل مشقة من الشياطين ومن الطبيعة وأن يصبروا على كل احتياج وأيضًا على أمراض مختلفة دون أن يتراجعوا على الاقتراب من العالم والسقوط حتى ولو في خطية صغيرة، حتى ولو في كلمة بطالة. ولا يقول القديس إسحق إن الحديث مع الناس أمر شرير أو مع الرهبان بل قال مع الهدوئيين. لأن الهدوئي، عندما يعيش في البرية مجاهدًا بنعمة المسيح، يبدأ الإنسان العتيق فيه يجف، والجديد الذي في المسيح يتجدد ويثمر ثمر الروح الجديد المتزايد في المرج الروحي أي في حياة الهدوء والوحدة.

الخاتمة

العظة الثانية "عن الآباء المنتقلين"
(لأبينا القديس إفرام السرياني)

❖ في هذا اليوم الأول والرسمي[80]،

عندما تُرتل بمجد أسرار الابن الوحيد،

فلنصرخ بألحان في الكنيسة، عروس المسيح،

منادين بأعمال الآباء القديسين،

ومرنمين بمدائح لساكني البرية.

لنذكر جهادات أولئك،

الذين تركوا المدن،

وأرادوا بشوق أن يسكنوا البرية،

وذلك لفائدة كل من يسمع.

وإن كان أحد غائبًا عنا،

فليجتمع مع الحاضرين،

وليصر مشاركًا لنا،

بصلوات الآباء القديسين،

وبصلوات السامعين يخلص المتكلم.

❖ فهؤلاء الآباء القديسون ليسوا بعيدين عنا،

لأنهم دائمًا يحبوننا ويصلون لأجل ضعفاتنا.

فهم ليسوا تافهين، بل ممجدون،

ولا هم أصاغر، بل مكرمون،

---

[80] يُقصد به يوم الأحد، اليوم الرسمي للعبادة (المترجم).

ولا هم جهلة، بل معلمو جميع الناس بأعمالهم الصالحة،

لأنهم يتعلمون من الرب نفسه.

يطوفون على الجبال،

ويُطعمون مثل الوحوش.

هم كاملون، مملؤن برًا، لأنهم أبناء الروح القُدُس.

لا يتعدون الناموس، بل يحفظون الكهنوت والوصايا.

لا يقاومون الناموس، إذ هم حارون في الإيمان.

لأنه عندما يقف الكهنة المكرمون إلى المائدة المقدسة،

لكي يقيموا القداس الإلهي،

يكون هؤلاء هم أول من يمدون أيديهم،

ويقبلون بإيمان جسد الرب،

الذي هو دائمًا معهم.

هم كالحمام الهائم على المرتفعات،

الذين نصبوا عشهم على الصليب.

يطوفون في المواضع البرية كخراف،

ولكنهم عندما سمعوا صوت الراعي،

عرفوا في الحال أنه السيد الصالح.

هؤلاء هم التجار،

الذين خرجوا ليطلبوا الجوهرة الثمينة.

فهم أبطال، متمرنون فاضلون.

❖ أعيروني أسماعكم واسمعوني هذه الساعة،
لأروى لكم سيرة الآباء ساكني البرية.
اجعلوا عقولكم في وسط البرية،
وهناك سوف ترون عجائب ومجدًا.
لنمض سريعًا ونصف نماذج سيرتهم الصالحة،
لأن شوقهم كثيرًا ما يضطروني
إلى أن أمضي وأغترف من كنوزهم.
فسيرتهم تخيفني أن أتقدم إليهم سرًا،
لأن في هذا يُنصح بأن يتقدم أحد إليهم سريعًا،
لأنهم عندما يحنون ركبة للصلاة،
قادرون على أن يجعلوني ثابتًا، بينما أنا مهمل.
عندما يرفعون يدًا إلى السماء،
يتقوى صوتي،
لأني بإيمان أسبح الله.
وعندما يطوفون في موكب،
يرتفع عقلي ويفرح بنقاوتهم،
وكذلك لساني يفرح بسيرتهم.
فإن ذرف أحدهم سحابة من الدموع بسبب خطايانا،
فسوف يُسمع له في الحال.

لأنه هؤلاء القديسين تشبهوا بالمسيح نفسه،

ومنه أخذوا منازل في البرية.

لأنه لا يمنع كنوزه الصالحة

عن الذين أتوا في الساعة التاسعة

أو الساعة الحادية عشرة،

ولكن كسيد صالح يعطى الأجرة الأولى للعامل،

الذي أتى وعمل في الكرم في الساعة الحادية عشرة.

لأن الكنز يُفتح عن طيب خاطر،

والغنى يُعطى لمن يريدون أن يُقبلوا،

ويزينوا بالمجد،

الذي هؤلاء دائمًا مزينون به،

وينالوا نماذج صالحة ممجدة،

ويصيروا مماثلين لسيرتهم.

❖ فإن أسرع أحد ليذهب ويتزين بالزي،

الذي لبسه أولئك،

فسوف يزيد غناهم.

وإن أقام أحد بجوارهم،

ففي الحال سوف يبدأ يهب للمصلين،

كما يهب هؤلاء لكل الطالبين،

ويعطون الجميع،

مما لهم.

فلنتقدم ونأخذ منهم عطاء طيبًا،

وصلاة ونعيمًا.

ولنأخذ محبتهم،

المجدة أكثر من الحجر الكريم،

والزبرجد المجد،

وبدلاً من اللآلئ فلنأخذ إيمانهم.

وأنتِ، أيها القوة المجدة،

التي بها يطوف هؤلاء على الجبال والمغائر وشقوق الأرض،

اعطني قوة وثبتي لساني،

لأستطيع أن أتكلم بسيرة هؤلاء،

ولكي لا أنسى شيئًا من جهادهم المنير.

ولهذا فلنلق عنا أسلحة الشيطان،

مطهرين بالتمام قلوبنا،

صانعين في أنفسنا أجنحة حمائم،

ولنرتفع إلى العلا،

لنصل وننظر تعاليم هؤلاء،

الذين تركوا المدن وضوضائها،

واشتهوا الجبال والبرية.

❖ لنمض وننظر مساكنهم،

وكيف يجلسون كموتى في القبور.

لنمض وننظر النعيم،

الذي يتنعمون به دائمًا بتعقل في وسط الجبال.

لنمض وننظر شفعاء العالم،

الذين اشتهوا أن يعيشوا في البرية.

لنمض وننظر أجسادهم،

وكيف أنهم بشعرهم يتزينون.

لنمض وننظر مسوحهم،

التي يلبسونها بفرح، ممجدين الله.

لنمض وننظر وجوههم،

وكيف أن أنفسهم تضيئ بجدية.

لنمض وننظر معهم الملاكة،

مسبحين ومرتلين بفهم كثير.

لنمض وننظر كؤوسهم،

الممزوجة بدموعهم.

لنمض وننظر موائدهم،

المملؤة أعشابًا برية.

تقدموا لننظر الصخور،

التي يضعونها تحت رؤوسهم.

لنمض ونأخذ من شَعرُ القديسين،

ليكون لنا السيد معزيًا.

❖ فاللص إن رآهم،

يخر في الحال ساجدًا،

لأنهم بالصليب دائمًا مزينون.

وعندما ترى الوحوش مسوحهم،

تفر في الحال، لأنها ترى فيهم معجزة عظيمة.

يدوسون كل زاحف بأرجلهم،

لأنهم منتعلون بإيمان الخدمة.

وعندما يبصرهم الشيطان،

يرتعب في الحال،

ويصرخ متألمًا ويفر في الحال،

إذ أنه نصب آلاف الفخاخ،

ووقف مترقبًا،

ولكنه لم يقدر أن يؤذي الأبرار.

لأنهم ليسوا كسالى،

مثلنا نحن الحمقى،

ولكنهم بشجاعة كانوا يحاربون العدو،

حتى حطموه تمامًا تحت أقدامهم.

ولهذا احتقروا سيطرته،

ولم يخافوا كل حيله.

إن أظهرتَ لهم كنزا،

يعتبرونه لا شيء،

ولكنهم يحتقرونه،

دائسين إياه كحجارة.

لأن كنزهم في السموات،

مع الملائكة القديسين.

جوع ما ، لا يحزنهم،

لأن شبَاعَى بخبز الحياة،

أي المسيح، الذي نزل من السموات المقدسة.

وكذلك العطش لا يلهبهم،

لأنهم دائمًا لهم في أنفسهم،

وكذلك على لسانهم ذكر المسيح،

النبع الحي.

لا يستطيع الشيطان الماكر أن يقلق أفكار أحدهم،

لأنهم وضعوا أساسهم على الصخر.

❖ يسكنون المغائر والشقوق،
وعلى الجبال المحيطة بهم،
ويحبونها كأسوار عالية.
مائدتهم هي كل الأرض،
وكذلك الجبال،
وطعامهم هو الأعشاب البرية.
أفضل مشروب لديهم هو المياه الجارية،
وأما الخمر فمن شقوق الصخور.
كنائسهم هو ألسنتهم،
التي بها يصلون دائمًا.
في ساعات النهار الاثنتي عشر،
يصلون إلى سيدهم.
التمجيد الذي يرتلونه على الجبال وفي المغائر،
يقدمونه كذبيحة مرضية لله.
هم لأنفسهم كهنة،
وبصلواتهم يشفون أمراضنا،
لأنهم يشفعون فينا دائمًا.
لا يفكرون في الأمور العالية،
ولا يطلبون المتكآت الأولى،
بل مجدهم هو التواضع،

فصاروا لذلك مماثلين للمسيح،
الذي افتقر لأجلنا نحن البائسين.
لا يرتاحون نهائيًا في العالم،
لأنهم يرجون الراحة هناك.
فلنصر نحن أيضًا مثل ساكني الجبال،
وشركاء لسيرتهم.
لأن هؤلاء يطوفون مع الوحوش،
ويطيرون كالنسور على الجبال،
ويرعون كالإيل مع الوحوش.
مائدتهم دائمًا معدة،
لأنهم يأكلون زرعًا وعشبًا.
وهم كمصابيح طوافة على الجبال يضيئون،
وكل من يقتربون إليهم برغبة شديدة،
يستضيئون بنورهم.

❖ فالآباء في البرية كحائط متين،
لأنهم يشيعون السلام في المكان الذي يسكنونه.
فأينما حل أحد هؤلاء الآباء،
فكل السلام يحيط به.
يُحلّقون فوق الجبال كالحمام،

وعلى القمم الشاهقة والمغائر كالنسور.
قد يزعج القصرُ الملكَ،
أما هم فشقوق الأرض متسعة لهم.
فرغم لبس الآباء القديسين للشعر،
إلا أنهم يسرون به أكثر من البرفير.
وحتى إن بلى البرفير،
فالمسوح تدوم بصبر الآباء القديسين.
نبذوا التعاظم،
واعتنقوا التواضع العظيم.
أبغضوا كل مجد العالم الباطل،
وهاهم يمجدون بواسطة كل الناس،
لتواضعهم وشدة وداعتهم.
ولا الملوك يتعزون بمثل هذا العزاء،
الذي يشعر به الآباء في البرية،
لأن المسيح هو فرحهم.
يأكلون مثل الوحوش عشبًا في البرية،
إذ أنهم يرجون أن يتمتعوا بالفردوس.
وعندما يطوفون على الجبال،
يتكئون على الأرض كما في النعيم،
وعندما ينامون،

يقومون عاجلاً ويسبحون كأبواق المسيح المشتهى.
طغمات الملائكة دائمًا معهم،
تحيط بهم وتحفظهم على الدوام.

❖ نعمة الرب دائمًا معهم،
ولا تتركهم للعدو ليحتال عليهم.
عندما يحنون ركبة للصلاة،
يكونون مجرى مياه من دموعهم.
وعندما ينتهون من تمجيدهم،
يقوم الرب ليخدم عبيده.
في الصباح، يبسطون في الحال أجنحتهم ليطيروا في كل المسكونة،
لأن مسكن الآباء القديسين غير ظاهر،
بل هو موجود في جنة عدن.
وحيثما حل بهم الغروب،
وأدركهم الليل،
فهناك ينامون وهناك يقيمون.
لا يهتمون بالقبور،
لأنهم موتى ومصلوبون للعالم لأجل رغبتهم في المسيح.
لأنه حيث يحل أحدهم صومه،

فهناك في نفس المكان يصير قبره.

بعضهم، بينما يحنون ركبهم للصلاة،

رقدوا في هدوء أمام السيد.

وآخرون، بينما يستندون إلى الحائط،

أسلموا الروح إلى سيدهم.

وآخر، بينما يسير على الجبال،

مات فصار مكانه مدفنه وقبره.

وآخر، بعد ما رشم ذاته (بعلامة الصليب)،

دُفن معتازًا في نعمة السيد.

وآخر، بينما يرعى في مرعى سيده،

نعس ولفظ أنفاسه على مائدته.

وآخر، وهو واقف على الجبل ليصلي ويسبح،

جاءه الموت وأنهى صلاته.

كل هؤلاء ينتظرون الصوت الذي سوف يقيمهم،

فيزهرون كزهور تفوح عطرًا".

❖ وعندما تخضع الأرض وتسلم موتاها،

سوف ينبت هؤلاء في الحال،

ويزهرون مثل السوسن.

وحينئذ، عوض التعب الكثير،

الذي احتملوه في هذا العالم محبةً في السيد،

يهبهم حياة أبدية.

وعوض الشَعرُ يهبهم أكاليل مجد.

وعوض ملابس الشَعرُ،

التي تأذوا بها في هذا العالم الحاضر،

يهبهم ثياب مجد.

وعوض العشب وشربة الماء،

يصير المسيح لهم طعامهم وشرابهم.

وعوض شقوق الأرض،

التي سكنوا فيها،

يهبهم المسيحُ الفردوسَ.

ولأنهم رغبوا في الحزن في هذا العالم،

فسوف يهبهم ذلك الفرح العظيم.

فليس من الممكن أن يظهر أحد بكلمة الفرح الكبير،

الذي سوف يتمتع به كل هؤلاء القديسين،

الذين حزنوا في هذا العالم بمشيئتهم،

وحاربوا الأهواء الدنسة،

وغلبوا العدو،

حافظين وصايا الله العلي.

ولهذا تغبط الملائكة القديسين،

ويقولون لهم: "طوبى لكم،

لأنكم بالتعقل والصبر ملكتم قيادة سفينتكم حسنًا،

من أجل محبة المسيح،

ووجهتموها بأمان على الأرض إلى وصايا المسيح،

السيد الصالح".

ولهذا وصلتم إلى مرفأ الأمان،

وتمتعتم بالمسيح،

الذي اشتهيتموه.

والآن نهنأكم، أيها الطوباويون،

لأنكم تخلصتم من فخاخ العدو،

وأتيتم إلى المسيح،

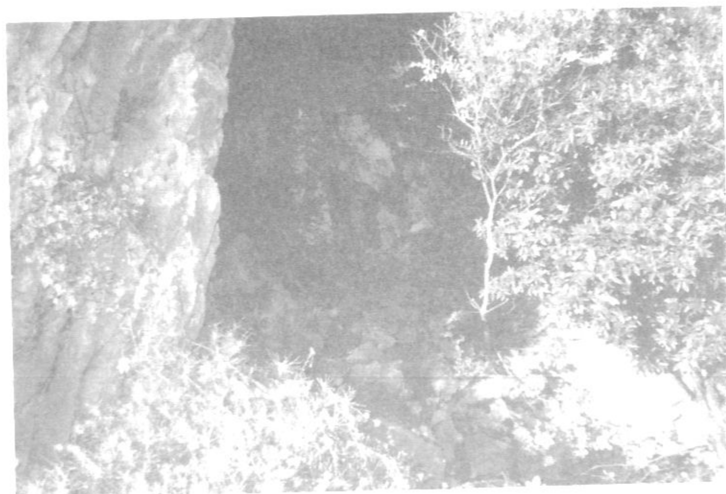
الذي كللكم،

وأنتم الآن وارثون لملكوته".

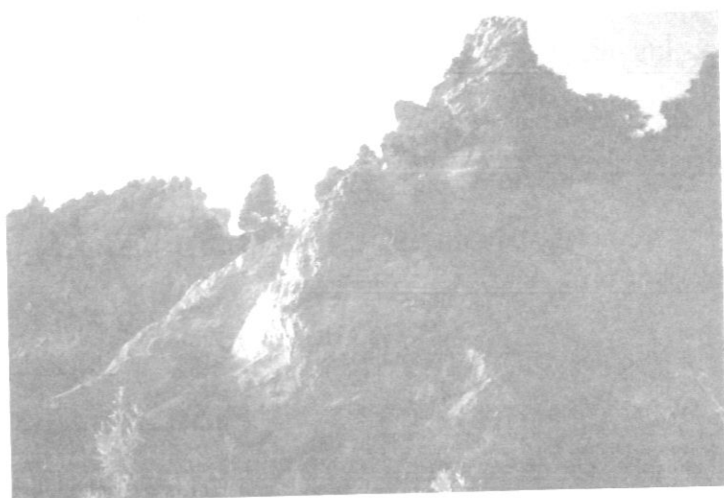
أمين.



المنطقة النسكية حيث توجد مغارة القديس نيلوس الميروفليتى وكنيسته الصغيرة



موضع نسكي موحش وملجأ نساك بعيدًا عن العالم في أماكن آثوس



المحتويات

++

+++++++

الجزء الثاني

الروايات المحفوظة عن نُسّاك آثوس غير الظاهرين

" لا يهتمون بالقبور، لأنهم موتى ومصلوبون للعالم لأجل رغبتهم في المسيح. لأنه حيث يحل أحدهم صومه، فهناك في نفس المكان يصير قبره. بعضهم، بينما يحنون ركبهم للصلاة، رقدوا في هدوء أمام السيد. وآخرون، بينما يستندون إلى الحائط، أسلموا الروح إلى سيدهم. وآخر، بينما يسير على الجبال، رقد فصار مكانه مدفنه وقبره. وآخر، بعد ما رشم ذاته (بعلامة الصليب)، دُفن معتارًا في نعمة السيد. وآخر، بينما يرعى في مرعى سيده، نعس ولفظ أنفاسه على مائدته. وآخر، وهو واقف على الجبل ليصلي ويسبح، جاءه الموت وأنهى صلاته. كل هؤلاء ينتظرون الصوت الذي سوف يقيمهم، فيزهرون كزهور تفوح عطرًا" .

القديس إفرام السرياني



